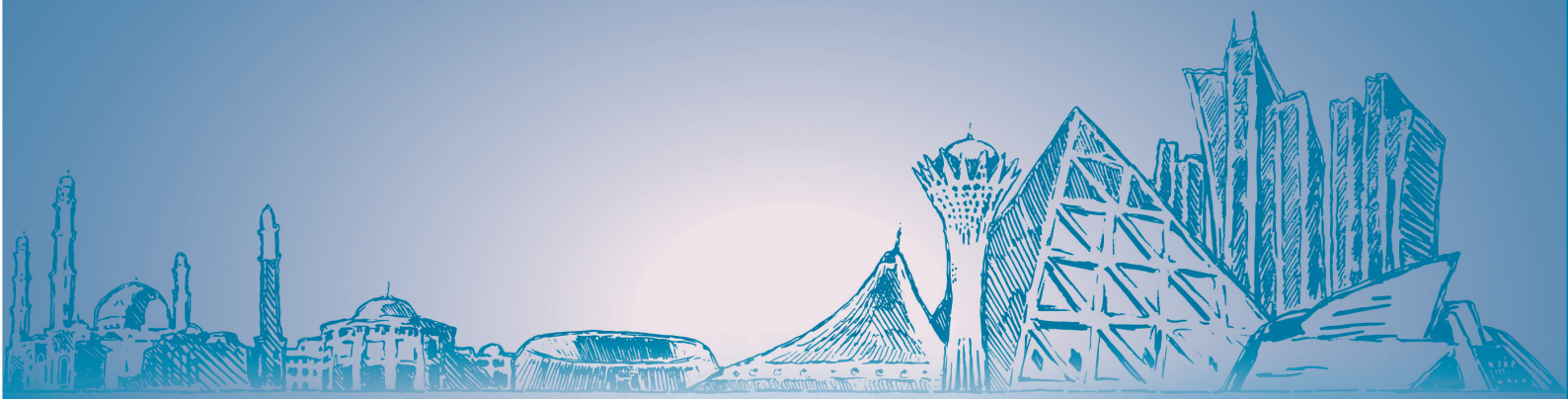


مُختارات مِنَ
الشِّعرِ الكازاخي المُعاصِر



برنامج

(الثقافة الكازاخية المعاصرة في عصر العولمة)

الذى يتم تنفيذه بمبادرة من فخامة/ نورسلطان نزاربايف الرئيس الأول
والمؤسس لجمهورية كازاخستان

في إطار البرنامج الوطني "تحديث الوعي"

مُختارات
مِنَ الشِّعرِ الكازاخي
المُعاصِر

{ إذا أردنا أن نصبح أمة لا مثيل لها على الخريطة العالمية في القرن الحادي والعشرين، يجب علينا أن ننفذ برنامج (**الثقافة الكازاخية المعاصرة في عصر العولمة**). وهنا يدور الحديث حول أن العالم يجب أن يتعرف علينا، ليس فقط من خلال موارد النفط ومبادرات السياسة الخارجية الضخمة، ولكن أيضاً من خلال انجازاتنا الثقافية.

علينا أن نتبع نهج محدد الأهداف حتى تنطق ثقافتنا الوطنية باللغات الست الرسمية بالأمم المتحدة وهى الروسية، والإنجليزية، والصينية، والإسبانية، والعربية والفرنسية. للمرة الأولى في تاريخنا الممتد لآلاف السنين، سوف تنطق ثقافتنا في كافة القارات وبكافة اللغات الرئيسية في العالم }

من مقالة فخامة/ نورسلطان نزاربابييف
الرئيس الأول والمؤسس لجمهورية كازاخستان

"نظرة إلى المستقبل. تحديث الوعى الاجتماعي"

2019

الفهرس

قادر ميرزا علي..... 10

توماناباي مولداغالييف..... 30

أولجاس سوليمينوف.....52

مارفوغا آيتخوجا 80

فاريزا أونغارسينوفا 108

مختار شاخانوف.....132

فلاديمير غونداريف.....156

آكوشتاب باكتيغيرييفا.....176

تيميرخان ميديتبيك.....200

شوميشباي ساريف 230

كولياش أخميتوفا 260

فاليري ميخايلوف.....286

ناديجدا تشيرنوفا 306

إيران-غاييب - (إيرانبيك أورازبايف) 326

سيريك آكسونكارولي.....360

نيسيبيك آياتولي.....376

باكيتجان كانابيانوف 400

ليوبوف شاشكوفا.....420

تينيشتيبيك آبديكاكيموف 440

يسينكول جاكيبيكوف 474

أولوغبيك يسداوليت..... 498

يسينغالي روشانوف..... 520

سفيتكالي نورجانوف..... 544

غولنار ساليكباييفا..... 580

مارالتاي ريميكبيك..... 604

تاناكوز تولكينكيزي..... 628

آليا داوليتبايف 648

أكبيرين يلغيزيك..... 664

نازيرا بيردالي..... 684

باويرجان كاراغيزولي..... 702

يرلان جونيس..... 730



المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

تقديم

الحمد لله فاتحة كل خير وتمام كل نعمة وصلاة ربنا وسلامه على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله الأطهار وبعد، فإننا إذ نقدم هذه المختارات الأدبية الكازاخية للوطن العربي نطمح إلى تقوية الروابط الثقافية العربية الكازاخية عن طريق تعريف القارئ العربي بأبرز الأدباء الكازاخ وأهم أعمالهم التي ترصد تفاصيل الحياة الكازاخية وتدّون مآثر روادها، وتسلط الأضواء الكاشفة على دقائق الحياة الثقافية في كازخستان، إذ يتناول مختارات الأدب الكازاخي أعمال 60 شاعرًا وقاصًّا، تشكل في صورتها العامة لوحة لخريطة الأدب الكازاخي المعاصر.

وتعد هذه المختارات الأدبية الكازاخية، العمل الأول من نوعه حتى الآن في تاريخ الحياة الثقافية الكازاخية، وقد كانت فكرةً حظيت بدعم نور سلطان نزاربايف الرئيس الأول والمؤسس لجمهورية كازاخستان، بوصفها خطوة على طريق تنفيذ برنامج "الثقافة الكازاخية المعاصرة في عصر العولمة". ويشكل هذا العمل الذي تم نشره باللغات الست المعتمدة لدى الأمم المتحدة (العربية، الإنجليزية، الروسية، الفرنسية، الأسبانية والصينية)، نقلة نوعية في تاريخ الحياة الثقافية الكازاخية، ويمكن تصنيفه بأنه منظومة أدبية متكاملة انصهرت خلالها الكثير من ملامح الحياة الكازاخية.

وإننا لنطمح إلى أن تسهم هذه المختارات الأدبية الكازاخية في تقوية الأواصر الأدبية بين أجيال العرب والكازاخ في ظل تنامي تلك العلاقات خلال السنوات القليلة الماضية، كما تضع بين يدي القارئ والناقد والمتذوّق للأدب والمثقف بصفة عامة إعمال الأدباء والشعراء الكازاخ المعاصرين وإبداعاتهم، لتكون صورة من صور التراث الثقافي والإنساني الكازاخي؛ من أجل فتح نوافذ جديدة تطل على الأدب الكازاخي وتيسر التعاطي معه وتكوين حالة من التماذج الفكري والثقافي بين الجانبين، الذي يؤدي إلى

حفز الأدباء والمثقفين إلى تلمس طريق تبادل الثقافات والأعمال الإبداعية القديمة منها والحديثة بين الجانبين، وهو أمر تحتمه طبيعة العلاقات التاريخية بين شعوب المشرق العربي والإسلامي.

تقدم نصوص هذه المختارات الأدبية الكازاخية صورة للواقع الاجتماعي بأبعاده النفسية والفكرية والشعورية والمادية، ولقد مزجت هذه الأعمال بين وصف الطبيعة، والحب، والتأملات الفلسفية، والأفكار التنويرية والإنسانية المتعددة، وتركت موروثاً غنيًّا من الوقائع التاريخية، والقصص التراثية، فيما تحتفي الثقافة الكازاخية بالشعر كما هو الحال في الثقافة العربية. ولا شك أن الطبيعة في كازاخستان بسهولها وسهوبها وأنهارها وجبالها منحت الشعب الكازاخي هذه الروح الشعرية فضلاً عن التقاليد الشعرية القديمة في هذه الثقافة.

فالقصص المنتمية إلى كازاخستان ذات مذاق جمالي فريد؛ لعلها استعارته من البيئة الاستثنائية لهذا البلد الجميل؛ استعارته من أشعة الشمس الفضية، والمروج الخضراء، ونار المدفئة التي طالما قصت الجدات حكايات حولها. ويلاحظ في القصص الكازاخية التي بين أيدينا أن كثيرا منها يتسم بسمات مشتركة.

ومن حق الكازاخ أن يشعروا بالفخر بأدبائهم الذين رسموا أجمل الصور بقصائد متناغمة، وقصص متسلسلة، وحكم بليغة، ووصايا عظيمة، وعبارات فصيحة، وخواطر إبداعية.

إن ترجمة مختارات من الأدب الكازاخي إلى لغات الأمم المتحدة الرسمية الست هي مبادرة غير مسبوقة تهدف إلى تقديم الأدب الكازاخي المعاصر للعالم.

كما سيكتشف القارىء لهذه المختارات أيضًا أن القصيدة الكازاخية المعاصرة تقدم مجهودًا بصريًا يحتضن الأشكال الفنية الحديثة دون إظهار التزام حرفي بالنظريات الجمالية والتيارات الأدبية. ويتبع شعراء هذه المجموعة أوقاتهم ويتبعون إلهامهم من روح شعبهم وطبيعة هذه الأرض باعتبارها حضارة عظيمة.

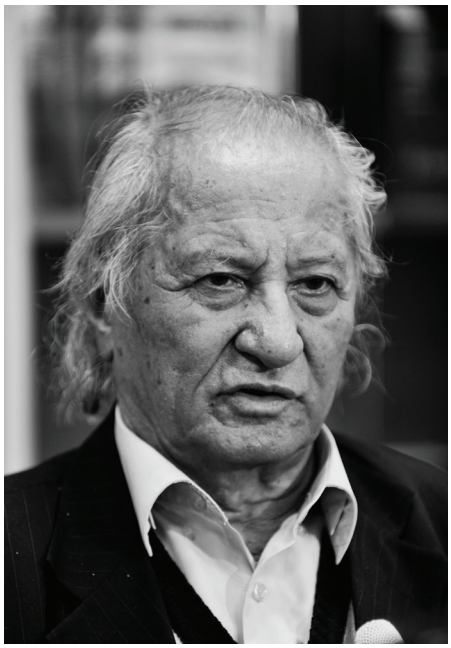
في الختام، يأتي هذا المنشور كنتيجة للتعاون العلمي البناء للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألكسو). إنه استمرار لتعاون طويل الأجل، فيما نأمل أن يستمر ويتنوع في مختلف المجالات. ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يهدينا إلى الصواب في القول والفعل.

أ.د. محمد ولُد أعمر

مدير عام المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو)

قادير ميرزا علي

(1935 - 2011)



- صدرت أولى دواوينه الشعرية عام 1959 بعنوان «الربيع»، وفي السنوات التي تلت ذلك أصدر كتيبات للأطفال مثل «الخواجة الصغير»، «الأرنب المحارب» وغيرها من الكتيبات.
- صدرت له العديد من الدواوين الشعرية مثل «بئر الأفكار»، «سراب السهوب»، «الخيمة البيضاء»، «آلة الدومبرا»، «أرض الميعاد» خلال الفترة من عام 1965 وحتى عام 1976 وكانت بمثابة وحيا فنيا للشاعر وأسهمت بشكل لافت في تطور الشعر الكازاخي بوجه عام.
- تحتوى مكتبة الشاعر على أكثر من خمسين ديوان شعري، ومقالات أدبية ونقدية، وتراجم وكتب مخصصة للقراء الشباب.

- تُرجمت أعماله إلى اللغات الروسية، والألمانية، والإنجليزية، والفرنسية، والفنلندية، والبولندية، والبلغارية، والهنغارية، والمنغولية، والليتوانية، والقيرغيزية والتترية وغيرها من لغات العالم.
- ألف الشاعر الكوميديا الساخرة «التجارة باللحية» والدراما التاريخية «فخ الذئب».
- ترجم إلى اللغة الكازاخية أعمال أوفيدي، وجلال الدين الرومي، وجياني روداري، وفيكتور هوغو، وميخائيل ليرمونتوف، وسيرغي يسينين، وإدوارداس ميجيلتيس وأولجاس سوليمنوف.
- عام 1984 صدرت دواوين أشعار منفصلة مكونة من كلمات لما يقرب من مائتي أغنية كازاخية تحت عنوان «أيام الربيع».
- عام 2010 صدرت مجموعة أخرى مكونة من 20 فصلاً.
- يعد قادر ميرزا أحد مؤلفي أول نشيد وطني لكازاخستان المستقلة.
- أصبحت أعمالة تُدرس ضمن مناهج الأدب في المدارس الكازاخية.
- حصل على جائزة لينين عام 1966، وجائزة الدولة من جمهورية كازاخستان الشيوعية عام 1980، وجائزة منغوليا «أفياس»، وجائزة رعاة العلم والفن في كازاخستان «تارلان» عام 2001.

أسلافي

قضى أسلافي حياتهم كلها كما لو كانوا يعيشون على جمر.
لكن في الحياة كان لديهم السيئ والجيد على حد سواء.
السيئ أنهم تجولوا وداروا باستمرار،
الجيد أنهم أحبوا السهوب الواسعة وأحباءهم.
السيئ أنهم في بعض الأحيان تقبلوا بطيشٍ الكلمات على الثقة،
الجيد أن اللغة بقيت غنيَّة وريّانة على الرغم من ذلك.
السيئ أنهم لم يعرفوا في العمل مع المعولِ مثالاً،
الجيد أنهم رموا بشكل رائع، واستخدموا الرمح بمهارة.

السيئ أنهم تعلموا القراءة والكتابة في الترحال في وقت متأخر
لكن الجيد أنهم أبدعوا كيوياتنا(1) الرائعة.
السيئ أنهم باعوا البنات مقابل الماشية من أجل الدخل،
الجيد أنهم لم يخافوا، وبهدوء سرقوا أحبتهم.

السيئ أنهم لم يعرفوا الزراعة في الترحال أبداً،
الجيد أنهم لم يخدعوا ولم يقدِّروا الكذب أبداً.
السيئ أن قريباتهم أصبحن زوجات لهم في كثير من الأحيان،
الجيد أنهم لم يرموا الأرامل وحيداتٍ في الحياة.

الجيد أنهم عاشوا مع جيرانهم بوئام لقرون،
معاً تجمدوا وتحمّلوا ظلمةَ الحرمان.
السيئ أن أسلافنا لم يصبحوا مستقرّين عبثاً،
الجيد أنهم لم يبنوا أيَّ سجنٍ في العالم.

(1) كيوي: مقطوعة آلاتية في الموسيقى التقليدية الكازاخية.

يا لها من سماء !

يا لها من سماء! يا لها من سماء!
تَنظُرُ وتُحْرَمُ من الهدوء:
كما لو أن نَظْرَتَكَ التي تغمرها الدموع،
تُخفَضُ أمام عيونٍ مشرقة.
تغرغر الينابيع مضطربةً في الوديان،
كما لو كانت دماً يغلي ويندفع في العروق.

يا لها من جبال، إيه، يا لها من جبال!
جبال تنينية تبقر بطون الوديان!
وإلى ضرع الشمس يندفع
الصفصافُ، ويشرب مرتجفاً أشعتها.

يا لها من سهوب، انظروا، يا لها من سهوب!
انظروا، ولا تفوتوا شيئاً:
القمر وُلِد من جديد-بلا نهاية
يَلعقُ نجوم الحَمَل.

يا شبه الصحراء! إيه، يا شبه الصحراء!
تِيهُك المحروق
يتأرجح سراباً مائجاً
والعطش يُمَزِّقُ مثل سكين.

من التلال الليلية يهبط ضوءٌ ونعيمٌ،
وألقٌ تشعّه رموش السماء.
مَنْ يجمع كل المتعة،
يؤلِّفُ عن الحجر الأسودِ أغنيةً.

صحرائي

أيتها الصحراء الكازاخية العظيمة !
لا توجد لدى السهوبِ بداية ونهاية.
أقوياء العالم عبثاً يقسمون
المدى بين الخالق والسهوب ؟!
أيتها السهوب، أنت النبعُ الصافي
الذي أوحى بأغنية حنون.
رغبةٌ مني في إنقاذ كل هذا،
وإيصاله،
لا أخلط ولا أضيعُ
أنشودة الأعماقِ هذه
التي سأعهد إلى المتَلقين بها.
السهوب الرقيقة النائمة كفهدٍ:
الهواء، العشب –
كل شيء ساحرٌ هنا !
إلا أنني لا أفهم كُل شيء حتى النهاية،
الكثير هنا ليس في متناول العقل،
الكثير غامضٌ، الكثير غريبٌ –
للجاهلِ وحده كل الأسرار معروفة.
الأذَن تلتقطُ، والأنف يشعرُ،
والعين اليقظة تنظر إلى الجذر:
لن تكون هناك إجابة على السؤال الفارغ،
لو أطلقت صرخة قوية.
لا، مع الصحراء الساحرة
أتحدث من القلب إلى القلب.
يا سهوبي، في هذا اليوم الصافي
أتنفس عطوراً غير مصبوبة في قوارير زجاجية.
أيتها الأرض، أنتِ حبيسةٌ! وتحتك
تكمن كنوزٌ، وتومضَ تعويذات شريرَة.
كما تغني السهوب –
لا يغنّي أحدٌ –
إنها قُبّرةٌ جَدلَت عشها في أذنيّ؟!

لماذا يَشحذون بإرادة الله السيفَ عليك...

لماذا يَشحذون بإرادة اللّٰه
السيفَ عليك، والنصلُ
فوق قلبك يضيء ببؤسٍ
ويُبرد قلبَك؟
المصيبة لا تزال بطيئة
فوق القلب -وحده وعيدُ الحمم،
يلهثُ، مربوطاً في حلقة
مثل حصان لم يعرف السرج.

والعرق الأسودُ يتصببُ بوجع،
الضباب يتأرجحُ قرب عينيكَ،
تأجيلٌ للموت، تأخيرٌ،
ويضربُ حشايا القلب للمرة الأولى.

لو تكون أقوى من الماسِ
ستخترق الرعشة روحَك كلَّها:
كيف نعرفُ، حتى المرة القادمة
ربما لن تعيش.
بالحياة، كما بمنزل عزيزٍ،
كما بالخيَال احلُمْ.
حقاً المرارةُ واحدةٌ، وغيرُها
لا شيءَ من الحافة إلى الحافة؟

نعم، هناك كلمات أثقل
وأشدّ إماتة من الهراوة،
يَنطقونها دون إشفاقٍ،
بالكاد تكفي القوى لتحمُّلها.
ليُحَذّركَ الاهتمام
بالقلب، أنت أيضاً يا صديقي.
لا تحمل الغضبَ - وقلب شخص ما
سينفجر للأبد فجأة.

أنا سليل المحاربين والصيادين

أنا سليل المحاربين والصيادين،
أستطيع أن أسير على الجليد، إن كان متقلباً أو رقيقاً،
أستطيع التحليق حتى النجوم متوقداً مبتهجاً،
وأكمن في رماد الظلام جمراً أحمر.

للبعضِ محزنٌ، وللبعضِ مُفرحٌ،
هل سينسون، أم إنهم فجأة سينادون بمئات الأفواه-
أنا، مثل نهر، تارة أفيض بلا ضفاف،
وتارة أهدأ، وأعود إلى المجرى.

لدى كل واحدٍ في روحه، في الطبقة الخفية
هناك برودة، أو مرآةٌ مُعْوَجّة.
فجأة سأُضحك الناسَ، ثم أحزنُ -
في الروح اجتمع الخير والشر.

في الوعي أنا طفل، وعجوز،
العشب تراه الروح واليابسة،
عاصفة سعيدة
تهدر في السماء.
لكنَّ الإلهام لا يدوم سوى للحظة.

لا تُحسب خَطاياي، ولا أعمالي،
لكن الشرف طوال الحياة لا يستسلم.
الروح تدفع بالأفكار إلى هاوية السماء،
وهي تندفع نحو الأرض، صانعةً دائرة.

هل هو ابنٌ مَنْ لا يُرجع لأبويه الدَّين المقدَّس كاملاً

هل هو ابنٌ مَنْ لا يرجع لأبويه
الدَّين المقدس كاملاً.
عملي مماثل لفوضى
مع فندق من بزوغ النورِ حتى الظلام.

الأشياء تستمر في تواليها الأبدي -
يأتي ويذهب اليومُ بعد اليوم،
السعيدة تضيء فجأة ناراً،
والحزينة تتشارك بالحزن.

تندفعُ مسرعاً إلى هنا وهناك
ولا ترى الراحة من الهموم.
وكما في الطبيعة يتحرك الماء،
هكذا أيضاً تجري دورة الأعمال.

ما إن أُنهِي عملاً، حتى يحين الوقت للبدء
بآخرٍ، وفهم جوهرٍ آخر.
غير المنجز، كما لو كان جبلاً
يضغط على كتفيّ، ولا يمنحني الراحة.

التعب ليس لديَّ قوة للتغلب عليه
شفتاي بالكاد تتحركان

ليس لتدوين الأفكار بالضبط،
أصبح من الصعب ترتيبها في كلمات.

أنا لست بطيئاً، لا أستطيع ملاحقة
كل عمل، ولا إزالة الأعباء كلها.
الهمُّ يطاردني مثل سوط،
ويضغط على كتفيّ العملُ المجهد.

من الأفكار التي تحدق بي من كل الاتجاهات،
كما لو كانت دوامة الخيل
أنا منفعلٌ ومرهقٌ،
وأسقط ميتاً في الفراش.

ومع ذلك مظهري ولو كان يرثى له
كيف لا تقبل شكواي أنت.
ومن يضمر الاستياء من الحياة،
لن يعرف السعادة بكاملها.

الحياة الصعبة أغلى بمائة مرة،
اِعلم! - من الموت السهل! والسعيدُ
مَنْ هو سعيدٌ بعمله، من هو سعيدٌ بالهمّ،
مَنْ على كتفيه لا يجف العرق.



عندما يُمنح الهدوء لكل ما هو حيّ، أستلقي بلا مبالاةٍ على الأريكة...

عندما يُمنح الهدوء لكل ما هو حيّ،
أستلقي بلا مبالاةٍ على الأريكة،
لأتذكر أبياتي بشكل أفضل:
هي تحفظني، مثل تعويذة.

لغة الشاعر للعشاق مقدسة،
ضوءٌ للعميان، وللصم -ناقوسُ خطر.
الأشعار رسالةٌ مفتوحة إلى الناس،
لا توجد فيها كلمات تتجول جُزافاً.

بالصبر كل سطر قوي،
وثمنه يعادل الحياة بأكملها،
فيه النفَسُ الأخير، دليلٌ حقيقي،
طريقه يكمن في أزمنة أخرى.

تَدَفُّقُ الحياة بالقرب من جذوري،
حفيفُ أوراق لياليَّ وأيامي.
أشعاري منزوعةٌ كحمم
من باطن الأرض، وأنا أندفعُ خلفها.

حرفة الشاعر هي ليست على الإطلاق
التغني بالحسناوات عند البِرْكة.
حركةُ قلبٍ تخلق فجأة دموعاً
تنشأ صدفةً، بصعوبة.

الأرض

نَصَبْتُ اليورتا (2) على الكرة الأرضية،
آلام الأرض هي آلامي.
بعد أن شعرتُ أنني انفصلت عن النوم،
نسيتُ كيف تُغَنّي العنادلُ في الفجر.

عندما تُفضَّضُ الثلوج تحت القمر
من يريد أن يحرقها بالدم؟
الناس، لسوء الحظ!
يسير عبر القرون
عطيلُ وهتلرُ، باتي وجنكيز.

أكثرَ من مرة خنقوا الأرض بحَبْل،
وأكثرَ من مرةٍ أخرجوا دمها منَ الأوردة،
لكن شخصاً ما، ولدته الأرض أيضاً،
ساعدها على النهوض وعمل حاضناً لها.

لا يمكنُ سردُ الآلام التي لا حصر لها،
تلاشت الحضارات.

أذكر أوشفيتز (3) أنا ورافينسبروك (4) ...
كل هذا-
جروح الأرض المفتوحة.

سامحينا، يا أرضي العزيزة،
على مصيرك البائس والتَّعِس...
أنت عاجزةٌ،
أود أن أضعك
على ركبتيّ، وأمسّد علَى جبهتك.



(2) يورتا: منزل قابل للنقل، تقليدي الهيكل، مُحاط بإطار من الخشب المقوس، استخدمته قبائل البدو الرحل في سهوب آسيا الوسطى.

(3) أوشفيتز: أو أوشفيتز بيركينو -معسكر للاعتقال والإبادة أقامته ألمانيا النازية إبان احتلالها لبولندا أثناء الحرب العالمية الثانية.

(4) رافينسبروك: معسكر اعتقال للنساء أقامته ألمانيا النازية.

ربما...

يقولون:
«بدأ الثلج بالذوبان».
ربما، تعرَّق الشتاء؟

يقولون:
«ومضَ البرق».
وربما، غطت الظلمة الشق؟

يقولون:
«المطر بالكاد يقطر».
وربما، كله معصور من السحب؟
يقولون:
«السماء ترعد».
وربما، هَمْسُها حارٌّ جداً؟

يقولون:
«يندفع سامورغ(5) إلى الأعلى»
وربما، يجرّب الفَرْخُ أجنحته؟

يقولون:
«العندليب يغني».
ربما، يبكي المغني؟

(5) سامورغ: في الفولكلور الكازاخي طائر ضخم، قوي بشكل خرافي.

سِرّي

لدى كل واحدٍ منا حزنه الخاص.
بالنسبة لي، أَتَعْلَمُ،
العالم ضيقٌ في بعض الأحيان،
وعندها أنا على استعداد لأشقَّ جمجمتي
بفأسٍ صَدِئَةٍ بدون فائدة لأعوام.

إلى مقبضها القاتم تمتَدُّ يدي،
لكنها، للأسف، ضعيفة ومحرجة.
لا أستطيع حتى أن أقطعَ لساني
الضعيف والشبيه بدودة.

وصل الأمر إلى درجة أني، يا صديقي،
سأكون سعيداً لو أُعلّقُ كبشاً مذبوحاً على الخطاف،
لكن الشنق ليس ببسيط،
اللعنة،
حتى لو كانت الحياة تذهب من بين يديك.

تريد الذهاب إلى الجبال، والقدَرُ يأمرك إلى الوادي،
المستخفُّ يجادل، أما الحكيم فيرفع راية الاستسلام...
ماذا إذن، الآن أنا مستعد لأن أعيش، مثلك:
بهدوء وسلامٍ -فأنا لنفسي لست عدواً.

مهما كانت العاصفة الرعدية،
أيها الجيغيت (6)

مهما كانت العاصفة الرعدية، أيها الجيغيت،
التي تجمَّعت فوق رأسك،
لا تُخْفِ وجهك في خوف،
قاتل ما دمت حيّاً!
فلو تجاوزنا الموت،
وأضعنا النصر،
ماذا سيَظنُّ بنا
أبناؤنا
ابني وابنك.

الأفضل أن تحترق في النار
وأن تقع تحت نافورة الرصاص
من أن تُضيعَ نفسَك،
من أن تخسر في المعركة.
يا صديقي،
أن يجثو على ركبتيه
يمكن لأي جيغيت،
لكن فقط،
لكي يُقَبِّل
أرضه المقدسة.

(6) جيغيت: (باللغة الكازاخية) فارس، شابّ، فتىً.

أمي، كل شيء يبدأ منكِ

أمي، كل شيء يبدأ منكِ –
الكلمة الأولى، وبيت الشعر الأول.
أنتِ أول من أجاب على هذري،
والأرض رأيتها من يديكِ.

أمي، كل شيء يبدأ منكِ –
أغرق في سماء عينيكِ.
أنت أقل من الآخرين تذمرتِ مني،
وها أنا أخافك وحدك.

أعطيتِ الكثير، وأخذتِ القليل
ولم تفتشِي عن مصير آخرٍ.
أمي، أنت بداية موطني.
كيف ستكون الدنيا بدونك؟!



الأنشودة الغنائية الأولى

الحسود يموت،
لكي يسكت صوت الرغبة.
البطل يموت في المعركة،
بعد أن لبى الواجب المقدس.

يموت اللصوص
باندفاع واحد من مدية.
الحسناوات يمتن،
في الأحضان اختناقاً.

يموت الحصان في السهوب –
وينتشر الغبار خلفه.
الشاعر يموت متعجباً،
ولا نحفظه في أبصارنا!



لا أحتاج إلى ذهبٍ،
ولا إلى فضةٍ

لا أحتاج إلى ذهب، ولا إلى فضة،
فقط لو أرى ثمار عملي.
الأطفال يلعبون في الرمال في الفناء،
لو أعبث معهم في بعض الأحيان!

شعرت بانتعاش أكثر قليلاً على منحدر النهار،
الحرارة والنوم ينقران في رأسي،
مثل مسافر أطلق حصانه في السهوب،
أريد أن أستريح على العشب البارد.

تعلَّمتُ في المدرسة الأبجدية والحساب،
تمكّنتُ من إتقان فن الأغنية،
ولكن أرى الفتيان، ويجذبني
أن أطير معهم في الطرقات.

أعرف عن نفسي شيئاً يجهله الآخرون،
أفهم روحي حتى النهاية.
كل حسناء أصادفها، بإمكاني
أن أخبرها كم هي رائعة.

لا التراث الغنيّ، ولا القرآن،
سيواسيانك، لن ينقذاك من الدموع،
حتى لموت عدوي أنا لست سعيداً،
حتى لموت شخص جلب لي الحزن.

كلمة واحدة فقط -ومن الروح، كما من الفرع
تتطاير أوراق الشجر، معرّية الجوهر.
من يستطيع التغلغل في حُزني،
من سيتمكن من النظر في حزني؟

وأشعاري تحترق في النار
وأشعاري تتجمد في الجليد،
ولكن لا كلمة واحدة عن ذلك! كما لو كنت في درعٍ
أجوب الشوارع الواسعة.

تومانباي مولُداغالييف

(2011 - 1935)



- تخرج عام 1956 في كلية فقه اللغة التابعة لجامعة كازاخستان الحكومية. وصدر أول ديوان شعري له عام 1957 بعنوان «دفتر الطالب» والذي أثبت أنه قد دخل الشعر الكازاخي شاعر غنائي ذو موهبة إبداعية لا مثيل لها.
- على مدار حياته قام الشاعر بنشر أكثر من أربعين ديوان شعر وقصيدة وترجمة ومقالة رأي، وكتب في أدب الأطفال.
- من بين أعماله مجموعة الأشعار المختارة «سامحني، الربيع» عام 1971 التي جذبت انتباه القراء بشكل خاص، وأضحت أحد الإنجازات الفنية في الشعر الغنائي الكازاخي؛ حيث اشتملت هذه المجموعة على العديد من القصائد التي تُشرت قبل ذلك مثل قصيدة «كاميلا» عام 1960، «كورالاي» عام 1961، «فتاة من آلتاي» عام 1964، «الأيام تطير» عام 1966، «الدفتر الجديد» عام 1967، «الصيف يدعوني» عام 1969.
- عام 1985 صدر له كتاب شامل لأعماله المختارة مكون من ثلاثة مجلدات. وفي عام 2004 صدرت دواوين شعر أخرى في أربعة عشر مجلدًا، وفي 2005 صدر مجلدان آخران.
- أصدر العديد من كتب الأشعار في السنوات الأخيرة ومنها: «زهور من القمم»، «ويتساقط الجليد»، «لا تنساني» خلال الفترة2006 – 2009؛ حيث كان الشاعر مغنيًا للكثير من المشاعر المشرقة العميقة، كما غني للربيع والحب. وإلى جانب ذلك قام بتأليف كلمات الكثير من الأغانى الجميلة.
- عام 2007 قام بنشر مجموعة لكلمات الأغاني تحت عنوان «وتعود الطيور».
- تُرجمت أعماله إلى العديد من اللغات الأجنبية. كما ترجم إلى اللغة الكازاخية أعمال الشعراء الكلاسيكيين الروس والغربيين ومقتطفات من الملحمة القيرغيزية «ماناس».
- حصل على جائزة لينين من اتحاد الشبيبة الشيوعي عام 1968 عن ديوان أشعار «الدفتر الجديد».
- عام 1982 حصل على جائزة « آباي » من جمهورية كازاخستان على ديوان أشعاره «رسائل إلى القلب».
- حاز على جائزة «فيزولي» الدولية، وجائزة « جمبول» الدولية عام 1992، وهو كاتب الشعب لجمهورية كازاخستان.

إلى المرأة

للنساء في هذا العالم كل الورود.
بعد أن تعلَّمنا منذ زمن الدروسِ الضرورية،
لهنَّ، اللواتي أصبحن تجسيدَ الحلم،
نكرِّس سطورنا الملتهبة.

ليس عبثاً تربي المرأة الرجلَ.
ماذا بدونها الموطن الأرضي والمجد؟
تزلَّ – تغفر لك هي،
وتحصِّنك، وتحكمُ بعقلانية.

تفانيها قيِّمٌ،
سدِّد لها بحب حقيقي.
بينما هي مشغولة عند النار،
أنت نفسك نارٌ، ولستَ دخاناً متطايراً.

مهما مرّت أزمنةٍ،
حطَّمك القدرُ أو رفعَك،–
عيدك الأبدِي على الأرض هي،
حارستك الأمينة وقوتك.

ليتدفق الدمُ في عروقكَ حارّاً،
عندما تستقبلك هي بنظرة.
انظرْ عن كثب: من أشعة الشمس
تلك المرأة، التيً هي لعُمَرٍ إلى جانبَك.

مباركةٌ عتبة منزلك،
حيث تنتظرك محبوبتك في الليالي.
أن تكون خادماً عندها - ليس عيباً
وليس عبئاً - جناحان خلف كتفيك.

مرة أخرى فوق العالم غيومُ
المساء تطير إلى مكانٍ ما.
درب حياتنا بعيدٌ.
بدون رفيقة طريق لا يمكن قطعه.

تعلَّم أن تتغلب على غرورك،
لكي تدرك هذه الحقائق البسيطة:
محبوبتك، وكذلك أمك وابنتك،
ما دمت حياً، هن أغلى من الجميع في العالم.

الليل

لا تعثر على القمر في أوراق الشجر بسهولة،
دفءُ الأرض دائماً فرحٌ للروح.
قطيعُ السحب يتشبثُ بآلاتاو،
وفي النهر وحدهُ ما زالت البرودة حيَّة.

إلى المستقبلِ تناديك الأحلامُ.
ضجيجُ القصب مثل دليل على الوئام الأرضي.
تتلألأ النجوم من أعالي الجبال،
فوق التيجان مبحرةً إلى مكانٍ ما.

وصوتُ فتاةٍ بعيدٌ،
والبساتين التي ضجَّت في ظلمة الليل،
تهدأ فجأةً، خائفةً من أن تقلقَ
منام طفلٍ في مهده المتأرجحِ.

أغنية الطيور

يغادرُ الصيفُ إلى فصل الخريف، الأرمل،
تطير الطيور هاجرةً أعشاشها العزيزة،
تتلاشى في مكانٍ ما في البعدِ، مثل ذكرى عن الطفولة،
أو عن شعورٍ- إرثٍ منسيٍّ منذ زمن.

في هذه البقاع نهضت على أجنحتها بشكلٍ غير واثقٍ،
في هذه البقاع غرَّدت في الربيع فراخها.
صعبٌ هو هجرُ الأعشاش حتى لفترةٍ من الوقت
ولا يمكن لها أن تغير القدر وتبقى.

بأغنيةٍ حزينة تنادي مَوَاطنها،
في السماء الباردة يذوب السرب.
الأمر أصعبُ للناس المبتسمين للقدر في البداية،
أن يتحملوا عذاب حزن الوداع الأخير.



كونوا شهوداً

بعد أن أغلقت عينيّ، أرى وجهك،
أحياناً بمقدور الحلم أن يكون حياً.
كم أنا سعيدٌ - أكِّدُ يا آلاتاو!
والحور، والظل الواعد في المستقبل.

كوني شاهدة، أيتها النجمة،
وقرص القمر الذي لا ينام أبداً.
يا آلاتاوي، أنا سعيدٌ تماماً،
لأني وجدت الحبَ في وطني الأم.

عنه أغنّي اليوم مراراً وتكراراً،
تحت حفيف أشجار البتولا التي تدلل الحب.
من جديد يبتسم النهر لي
والنجوم في السماء من بعيد.

أنا أيضاً أدعو كشاهدين
القمرَ والسماءَ، في الحلم وفي العلم.
الأحلامُ تغوي العشَّاقَ بعيداً،
لكن القلبَ من السهلِ أن يُخْدَع.



ليلة ربيع

عندما تهب من الجبال البرودة،
يغطي التموج الغديرَ،
تغني الأشجار في ظلال البستان،
ثيابها البيض تناسبها.

همسُ البراعم بالكادِ مسموع،
ترتجف الأوراق الفتية،
وكأنها جلست للراحة
على سفحِ شجرة الليل.

الرغبة الحيَّة غير الاستعراضية
في كل شيءٍ يتضح أنها محقَّة.
ها هما اثنان، تعبا دون أن يعرفا،
ما زالا يهمسان كلمات ساخنة.

متدثران بالشفق المتطاير،
وحدهما قلباهما عاريان،
وظلاّهما المتحدان
في موجة حيّةٍ ينعكسان.

القمر يتابع، دون أن يخفي وجهه
خلف دخان الجبل الرمادي،
كيف تثرثرُ النجوم المتأخرة
عن السر الفتي للأبد.

لم يتبقَ للفجر إلا القليل،
وجه القمر أصبح يشحبُ،
وكذلك الظلاَّن المتحدان
لشخصين قلباهما متيمان.

قلبي

لن يرجعَ الأشيبُ إلى الشباب،
الجدولُ الهائجُ كما في السابق لن يتدفق.
لقد حان الوقت لكي تنظر حولك،
وتشفق على قلبكَ وتراعيه.

عيشُ الماضي متعةٌ فارغةٌ
لروحٍ تعبت من القلق.
يذوب العمر، وتطير المرحلة خلف المرحلة:
لم يتمكن أحد من أن يلحق بها.

يا قلبي، يا قلبي، بجرأة نسرٍ
حلَّقتَ تحت الغيوم،
بتعطشٍ جامحٍ إلى العلو
ما زلت مهووساً.

تعودُ أغنيةً، كما في السابق.
لِيُقَدِّر ابني المقطعَ.
لا تندم على ما مرَّ،
لأن الكلمة ضمان الخلود.



الحمَل اليتيم

أغنية جدي-الراعي عن الحملان اللاهية،
مزيَّنة بالحماس الصبياني، لم أنسَها.

كثيرة هي الألحان التي سمعتها بقاعنا العزيزة.
لا أعرف أروع من أغنيتي هذه.

حملٌ خجولٌ، ترعرع دون أم.
خائفٌ دوماً، في عينيه حبَّات من الدموع.

يندفع إلى القرية دون أن يرى شيئاً حوله،
لا يتخلّف عن أولئك الأكثر سعادة منه.

تابعتهُ وشعرتْ روحي بالألم.
حزنتُ في هذه اللحظة على الصغير اليتيم.

ثغت الخرافُ، رحّبت بحملانها،
وكأنها لم تجتمع بها لأيام طوال.

وحده هذا التَّعس، لم يلاطفه في الطريق أحدٌ،
دسَّ وجَهه باحثاً عن ضرعٍ دافئ.

راقب كلَّ شيءٍ حوله، غريبٌ هو وسط الجميع،
دون أن يكفَّ عن الجري المجنون اليائس.

ثغا من الخوف في الظلام الوشيك،
من سيلامسه بحنان، من ستصبحُ له أماً؟

لفَّ المنطقةَ ليلٌ مخيفٌ خانقٌ،
كم رغبتُ في أن أساعدَ هذا المسكين.

هدأ قطيعُ الخراف حتى يوم مشرق جديد،
أسرابُ النجوم الناعسة تنظر إليَّ.

مراراً وتكراراً أسمع ثغاءً خافتاً:
يأملُ البائسُ أن يرى أمه في المنام.

أنا نفسي لم أستطع من الأفكار الثقيلةِ أن أغفو،
وكأن المصيبة جاءت إليَّ أيضاً.

في العالمِ الواسع، وسط الهضاب والصخور،
حملاً أبيض فتشتُ عن أمي التي رحلت.

زهرة الثلج

الأرض بالكاد لامسها الدفء،
لا حرارةَ من الشمس بعد،
ولكن على حافة البستان الربيعي
نظرت زهرة الثلج إلى الضوء.

كأنها تحررت من أَسْرِ
الشتاء، حيثُ يسودُ الجليد.
في الوادي الثلجُ إلى الرُّكبة،
وهيَ، تصوَّر، تُزهرُ.

تنفس الربيع لا يزالُ هشاً،
ولكن ما إنْ تراها
حتى ابتسامة طيبة على الفور
تلامس وجهك.

إنها منعشةٌ، مثل برودة على جلدك،
عندما تبقى معها...
هي شبيهة بمحبوبةٍ
في فستانها الأنيق.

في بعض الأحيان،
الحياة مثل سلسلة جبال

في بعض الأحيان الحياة مثل سلسلة جبال،
إلى قممها أريد الصعود.
في بعض الأحيان الحياة مثل عدو لدود
أريد أن أسحقه.

في بعض الأحيان الحياة مثل سلاسل تلال،
على تلك التلال أريد أن أجمع الزهور.
في بعض الأحيان الحياة تبدو لي عطشى،
أريد أن أرويها.

في بعض الأحيان الحياة تبدو لي ناراً،
أريد أن أتدفأ بالقرب من تلك النار.
أحياناً أنا متأكد من أنه لا يوجد مكان للسعادة،
وفي تلك اللحظة أريد أن أموت.

في بعض الأحيان الحياة هي خليلي،
أريد أن أراه كل يوم.
في بعض الأحيان الحياة قافلة كبيرة،
أريد أن أقودها خلفي.

في بعض الأحيان الحياة مثل زوجة مخلصة،
أريد أن أمنحها الرقّة.
في بعض الأحيان أؤمن أن السعادة قادمة،
للقاء تلك السعادة أسرعُ.

في بعض الأحيان الحياة مثل جمال بتولٍ،
أريد أن أقبّلهُ.
في بعض الأحيان الحياة مثل أمي،
أريد أن أفَرّحها.

في بعض الأحيان الحياة مثل فرحة الوجود،
أريد أن أضحك من قلبي.
في بعض الأحيان الحياة مثل جوهري،
أريد أن أعيش.





الأبُ

لا توجد مثل تلك المعارك في الأفق،
لقد انتهت الحرب منذ زمن،
لكنه حياً -يبدو لي حتى الآن-
أبي الذي لم يعد.

... كان ذاهباً إلى الجبهة.
ولم أبكِ أنا،
كنت في السادسة من عمري - جيغيت(1) تقريباً،
وأخفيت دموعي البطولية،
حتى لا أبكي بمرارة.

وضع كيسه على كتفه.
وأخفي حزنه ليس بدون صعوبة،
لمس على شعري،
ثم غادر ... إلى الأبد.

وبكت أمي بصوتٍ منخفضٍ،
بعد أن سقطت ووجهها على حافة الطاولة،
عندما جاءت من المقر الجنازة
فجأة
إلى المنزل الهادئ.

أيام الصيف، وأسابيع، وأعوام
وفي كثير من الأحيان فكَّرتُ، أنا الفتى،

(1) جيغيت: (باللغة الكازاخية) فارس، شابّ، فتىً.

أنه سيعود-
القوي، والشامخ،
أبي الذي لم يعد.

لا أصدّق أنا، أنه في المعركة الرهيبة
ضاع إلى الأبد،
أنَّ في مكان ما في الميدان تحت شجرة البتولا
نجمته الخشبية.

أنتظر طارداً كل الشكوك.
أنتظر ولن أتعب من الانتظار:
لو أنساه ولو للحظة،
إلى الأبد سأفقده.

أنتظرُ اللقاء الحتمي!
أنتظرُ
أياماً وليالِيَ-
حتى النهاية!
وفي هذا الانتظار الأبدي-
خلودُ أبي!



الحِذاءُ

بعربة ثقيلة محطّمة
امتدت الطفولة في مسقط رأسي.
كانت الحرب.
بقينا مع أمي
وحيدين في كوخٍ باردٍ وخاوٍ.

سلبَ الأعداءُ هدوءَنا وخبزَنا.
لكني أتذكر الخطوات المألوفة:
اقتربت أمي من سريري
ونزعت بصمتٍ الحذاء.

كم من القوة في يديها الناعمتين!
كم هو حلوٌ رعب حكايات منتصف الليلِ!
وفي الصباح ذهبت إلى المدرسة باكرا
في حذائها الكبير المريح.

ثم ركضتُ إلى المنزل،
دون أن أشعر بقدميّ.
لم أستطع أنٍ أخذل أمي حافية القدمين.
وهكذا يوما بعد يوم بشكل لائق خدمنا
زوج الحذاء النسّائي البالي ذلك.
لكني كبرتُ،
وأصبحتْ ضخمةً
على حذائها
قدمي.
لا تبك، قالت أمي،
قبَل الربيع،
ربما،
ننتظر حذاء أبيك...

... أنا لم أطلب من الحياة الكثير.
انتظرت الربيع. انتظرت بقوايٍ الأخيرة كلها.
انتظرتٍ... لكن عبثاً:
أبداً في حياتي
لم أرتد حذاء أبي.

النجمان

طوال الليل لم نستطع أن نغفو،
كنا نتنعم بالنظر إلى السماء.
مثل أحلام شبابي،
تلاشت النجوم منطفئة ...

الليل دوَّر الطريق بهدوء.
وللعشاق
قليلٌ هو الليل-
توهج الصدر الفتي،
كما لو أني كنت أعانق شعلة.

استيقظ النسيم في الغابة،
من الشرق توَرَّدت الجبال.
وفي سماء ما قبل الفجر
لا يزال نجمان يتوجهان.

سعادتان في السماء،
ناران
ذلك النجمان لا يخبوان.
لا تكتبي لي رسائل دافئة،
ولكن في كل مرة في هدوء الليل
ليومضَ نجمانا ...



الفراشة الحمراء-الخضراء

أيها الملك الصغير في العباءة الخضراء،
ابق ولو قليلاً معي!
اجلس على الزهرة القرمزية،
وليومئ برأسه لي.

كم أنا أحسد
جناحيك، وتحليقك فوق الزهور،
لكنك، للأسف، بعيد المنال،
عبثاً أنا ألوّحُ بيدي.

عبثاً على الشاطئ الأخضر،
أجري قافزاً بفرح خلفك،
ترفرفُ أنتَ بسلاسة
تطيرُ على طول النهر الأزرق.

آه، أيتها الفراشة اللعوب،
دعينا نسترح ولو قليلاً،
انظري كيف تنتظرك الزهرة،
اجلسي للحظة، اهدأي فوقها.

كم أريد أن أمسكك،
أريد أن ألمس جناحيك،
لن أعذبك ولن أغضبك،
لن أكون قاسية.

لا تخافي، سأطلقك على الفور.
ستطيرين من يدي،
ومرة أخرى سأبدأ بالمطاردة،
على الرغم من أن ساقيّ متعبتان.

لذلك دعينا نلعب المطاردة،
ترفرفين من زهرة إلى زهرة،
اسمحي لي أن ألتقطك للحظة،
استسلم لي أيها الملك الصغير!

لغة الأم

كلمة سهوب أخرى في المخزون
تعلَّمتها اليوم، يا بُنيّ.
من جاء إلى العالم كازاخاً،
هو كازاخُ
يجب عليك أن تودّعه في الموعد المناسب.

ثم تأتي أيام أخرى-
وسوف تسبر أنت لغات أخرى.
لكن راية أرضك الأم، يا بُني
لا تُفلتها من ساعدك المشتد!

أنا اعتدتُ على الإصغاء إلى جدتك،
فُتِحَ لي ينبوع كلماتها.
من لا يفهم لغة أمه
لن يفهم لغة وطنه.

الكلمات، يا بُني
تدخل إلى مسقط رأسك
آمالاً، وحباً، وعملاً
من أمك خذ لغة الكازاخ
والمصير سيضاف إليها لاحقاً.

أولجاس سوليمينوف

(ولُد عام 1936)



- شاعر وناقد أدبي كازاخي، حصل على لقبي كاتب الشعب وبطل العمل لجمهورية كازاخستان عام 1990. وهو شخصية عامة ودبلوماسي ومؤسس الحركة الاجتماعية المناهضة للتجارب النووية «نيفادا - سيميبالاتينسك» (1989 - 1991) وزعيم حزب «المؤتمر الوطني لكازاخستان» في الفترة (1991- 1995).
- وُلد في الثامن عشر من مايو 1936 بمدينة ألماتي. ودرس في كلية الجيولوجيا بالجامعة الوطنية الكازاخية في الفترة 1959 - 1955، ثم درس بمعهد جوركي الأدبي في الفترة 1959- 1961.
- بين عامي 1962 - 1971 عمل رئيسًا لقسم التحرير بجريدة «كازاخستانسكايا برافدا»، ومحررا بأستديو «كازاخ فيلم»، ورئيس قسم بمجلة «الفضاء».

- في الفترة 1971 -1981 تم تعيينه سكرتيرًا لاتحاد كتاب كازاخستان.
- في الفترة 1981- 1983 رئيسًا للجنة الحكومية الخاصة بصناعة السينما بكازاخستان.
- بين عامي 1983 - 1991 أصبح السكرتير الأول لمجلس اتحاد كتاب كازاخستان ونائبًا بالمجلس الأعلى.
- 1995 - 2001 عمل سفيرًا فوق العادة ومفوضًا لجمهورية كازاخستان لدى إيطاليا وممثلًا دائمًا لدى منظمة اليونسكو.
- من أهم أعماله: «حصان الأرجامك» عام 1961، «أيتها الأرض، اخضعي للإنسان» عام 1961، وكتاب الشعر «عام القرود» عام 1967، «الليالي المشمسة» عام 1962، «ليلة باريسية» عام 1963، «وقت الشروق الطيب» عام 1964. ومن بين أشعاره الغنائية المختارة «الحرس الشاب» عام 1968، «الكتاب الفخاري» عام 1969، «فوق الأنهار البيضاء» عام 1970.
- من أشهر قصائده «كل يوم في الصباح» عام 1973، «النجمة المستديرة» عام 1975، «تحول النار» عام 1983، «باريس - غاليمار» باللغة الفرنسية عام 1981، «تحديد الشاطئ» عام 1979، «من يناير حتى أبريل» عام 1989، «لغة الخطابات» عام 1995، «ابتسامة الرب» عام 1998، «أصل اللغات التركية القديمة» عام 2011، «مقدمة في القاموس الشامل لأصول الكلمات 1001 كلمة» عام 2013، والقصائد المختارة «النيران الآسيوية» عام 2018.
- حصل على جائزة «لينين» من منظمة الشبيبة الشيوعى عامي 1961، 1963. كما حصل على جائزة «آباي» الحكومية عام 1967، وجائزة «لينين» من اتحاد الشباب الشيوعي عام 1967. حصل على «وسام الشرف» 1981، ووسام «الشارة الحمراء» 1984، ووسام «ثورة أكتوبر» 1986، ووسام «بارس» من الطبقة الأولى 2001.

إلى أمي !

عمَّاذا هذه البلدة؟
عن الحب.
عن الحياة الأبدية
تحت السماء الواسعة.
أيها الغروب المتَّئد، ادعني
إلى تلك الأفكار،
حيث لم أكن بعد.
غُرابُ الربيع؟
أم إوَزّة الخريف؟
جناحي جابَ نصف العالم،
في نهر ليمبوبو غاصت ريشتي،
وفي الرياح الساخنة
من جنّات سيلان.
ما هذا الطريق؟
إذا كنتَ على حق
كنْ مع الفخور فخوراً،
هو ليس والد الرذيلة
كن مع الخجول خجولاً:
هو ليس عبداً لك.
هكذا تصرفتُ، أقسمُ، أيها الطريق.
لم أساعد كلَّ من انتظر،
فأنا لست إلهاً.
ما الذي بمقدور شاعر وحيد؟
لم أجد إجابة على كل الأسئلة،
لكني على الناس لم أكذب
على الرغم من أنه كان بمقدوري ...

جراء الذئب

سارَ رجلٌ،
مشى السهوب طويلاً طويلاً.
إلى أين؟ لماذا؟
نحن لا نعرف.
في جوفٍ كثيف رأى ذئباً،
أو بالأحرى، سرحانة[1] ،
أو، بأكثر دقة، أماً...
كانت مستلقية في حرج الشيح،
راميةً قوائمها، فاتحةً فاها.
من حلقها بدفعات
تدفق دمٌ، سميكٌ، كالوسخ.
مَنْ الذي فعل ذلك؟ مَنْ؟ هل كان ذئباً؟ أم كلاب الصيد؟
جراء الذئب العمياء لا تعرف ذلك.
تدافعت، تقلَّبت، رضعت
من أمها الكبيرة العنيدة.
الجراء الجائعة نسيت،
كيف يفوح الحرج برائحة الشبت.
كانت، بعد أن التصقت بأمها، تشرب بشراهة
دماً بارداً كثيفاً.
مع الرشفات دخل إليها التعطش للانتقام.
ممن؟
مِنْ أي أحد.
المهم لن تسامح.

(1) سرحانة: من أسماء أنثى الذئب.

ستأخذ بالثأر
بشكل منفصل،
ليس معاً
وسوف تلتقي -
ومن بعضها البعض سوف تنتقم.
والرجل ذهب في طريقه.
إلى أين؟ ... لماذا؟
نحن لا نعرف.
كان صياد ذئابٍ،
لكنه لم يلمس الجراء،
ولم تدافع الصغار عن أمها...



في ساحة بوشكين

يجب أن يكون الشاعر جميلاً كقديسٍ.
من رأى القديسَ؟ الشخص الذي رأى بوشكين.
قديسٌ صغيرٌ، أسودُ، كحذاء،
مع شفاهٍ عربية ثقيلة.
في حين كان دانتي طويل القامة
أبيضَ، شاحباً، مثل الذاكرة.
زوجة الشاعر-الرائعة ناتاليا.
لم يسمها أحدٌ ناتاشا.
صمدت على اسمها،
عندما انزلق حولها الفرسان بسهولة،
على الأرضية اللامعة للقاعة،
هو، كعبدٍ، نظر من خلف الستائر،
ضاغطاً بشدة على مقبض السكين.
«قل يا سيدي،
ماذا تنتظر!
ليس أنني سأقع في الحب، أوه، أنت
لا تصدق!
إنها تنشينا، مثل أناشا (2) ! ...»
نعم، إنها العنق الأبيض والكتفان،
والصدر المرتفع مثل سقالة!
وخرج العبد
على الثلج في أمسية كانون،
ومات القديس

(9) أناشا: الحشيش.

وهو ممسكٌ بطنه ...
لقد انتقم، بشكل ما كان لينتقم به
لا مبارزٌ، ولا ملكٌ، ولا مجرمٌ
انتقمَ على طريقة القديسين:
صمت،
صمت، وانتهى. وتلك الرصاصة تطير.
في وهميتها كل العزم الشريرة،
لم تكتفِ ببوشكين، وجدت ...
كان هناك الكثير من الأهداف في روسيا،
لم نعرفها، لكنها-
وجدتها. في ذلك الإسطبل،
وقفت حشود
في مربعات النوافذ الصفراء على الثلج،
وبعد قرن وقف أحفادهم
تحت نوافذ أخرى على الثلج
لكي يقولوا كلمات نبيلة
ويسموا الحبيب أو العزيز،
الحشد يحفظ كلمات جيدة،
من أجل قراءتها مع الشعور فوق القبر.
وهو يقف، متجهماً منحنياً،
بعد أن خلع قبعته الأسطوانية، ينظر إلينا.

(9)

كانت هناك نساءٌ على كتفي...

كانت هناك نساء على كتفي،
كانت هناك نساء على صدري.
لكن لقلبي
كانت هناك واحدةٌ.
لقلبي كانت هي وحدها.
كل شيء يلائمها –
حنينٌ في عينيها،
ريشٌ في شعرها،
فمها قاسٍ، عنيدٌ،
وأسنانها ثلجٌ عارٍ.
حتى أصابعها قرقعةٌ ناعمة،
حتى طولها ليس فارهاً جداً،
حتى العام الرابع والثلاثين.
كل شيء يلائمها.
كم يلائمها كل شيء!

أتُحبينني، أيتها الجبال...

أتُحبينني، أيتها الجبال...
أحبي،
باللون الأزرق والأبيض مرتدية
الأعوام
حلّقت فوقي
آخذةً أسماء الأعشاب،
الغالية إلى أبعد الحدود،
في ألوانها الصاخبة
غامسةً
كل ظلال الصمت.
بقلم جبلي
أوجّهُ حقيقة السهول -
مشيت على طول المنحدر الجليدي،
والغبار الثلجي
هبط على المسار الطويل المتعرج
لسنيني.
بجرّة قلم الشهب -
سنوات من الأوهَام.
أتحبينني، أيتها الجبال؟
أحبوا،
أيها الناس!

لا يُمكن إصلاحُك،
ولا تحويلك إلى سهَلٍ،
شقوقك،
أيتها الجبال،
لا تُمحى،
أنت مخطئة للغاية،
أيتها الجبال،
الصواب هو الابتذال،
لا يمكن مقارنتك، أيتها الجبال،
أنت لا تُقارَنين.
أنت لا تهتمين، أيتها الجبال،
يحبونك
أم لا

لغة الآباء، لغة آلاف السنين

لغة الآباء، لغة آلاف السنين
أنتِ في وقت، مثل الصلصال، أُحرقتِ
فيك ضربة سيف وصفير سوطٍ،
كبرياء الرجال واتِّقادُ الزوجات،

فيكِ لهجاتٌ منسيّة
السومريين، الهون، خشخشة الكلمات المنغولية.
أين ولُدتِ؟ في حرائق سيميريتشيي؟
انتقلتِ إلينا من خلال العروق.

تدوينَ، غامرة الجسم
بنبض القلب، وناقوس الروح.
ومهما أدارني القدر،
أقسم بك -سوف آتي إليك.

من الارتحالات البعيدة والسعيدة
يأتي الابن إلى أبيه المنسي،
يأتي في زينةٍ مشرقة وثمينة،
في بداية الحياة أو في نهايتها.

ريشاد، إبن السهوب

أُهديكَ تيوبيتيكا (3) ،
منسوجة بخيط الذهب،
أبوك التفت بعيداً بصمت،
هكذا، على الأرجح، يتذكرون الشباب.

الأم الجميلة تُلوّح بأصابعها،
وتتمتم،
وتتعجب.
ريشاد يشبه إلى حدٍ كبير الإسباني،
ابن امرأة فرنسية
وأدايّ (4)
«هل ستذهبون إلى ولاية نبراسكا؟!»
هناك مروج جميلة،
هناك أشواكٌ، وحرٌّ، وهضاب،
الغبار والخيول هي! سحرٌ!
ستذهبون؟»
بِصَخبٍ تنظر
وبيديها تنحت صورة،
الناس في الصيف يهربون إلى البحر،
وهو يجذبه الذهاب إلى السهوب الجافة.
في الرِّكاب –هوبْ!
رمى السمبريرو (5) !

(3) تيوبيتيكا: قلنسوة، غطاء رأسٍ للرجال مطرّزٌ وملوَّنٌ.

(4) آداي: قبيلة آداي، واحدة من قبائل الجزء الأصغر من الكازاخ.

(5) سمبريرو: نوع من القبعات الواسعة الحواف، مصدرها المكسيك.

ريحٌ، الشعر الأسود إلى أشلاء!
التيوبيتيكا على الجبين،
عَدُوٌّ
ارتفاعات وانخفاضات على مسارات الذئب.

تختنق، اصرخ، يا ولُدي،
شغف الشاعر -بكاء وضحك.
أبوك أخيراً يبكي.
في عروقي يقعقع بردٌ.

كنت لأذهب إلى ولاية نبراسكا
لكن عليّ أن أسارع إلى وطني،
هناك نفس المشهد الهادئ
سأذهب إلى نفسي إلى وطني.

سأذهب إلى مروج آداي،
هناك الأشواك والحرارة والصقيع،
الغبار والخيول نفسها! سحرٌ!
سأذهب إلى نفسي إلى وطني...

أغنية كومان[6]

يا أجدادي
في المعركة ادعموني تحت إبطي.

لن أتجاهل الشجرة الوحيدة.
سأعلّق الحبل
على الغصن الملتوي.
أنا لست أولاً
في المعركة الأخيرة سأسقط.
من لا يعرف ساكاي[7] الذهبية؟

ها هو النجم يُقطع،
رأسي ينحني إلى الأسفل،
بعد أن أعطيت قسمَ الوفاء للمرأة،
أقبّل الكف.
لا بومة، لا غراباً، لا بجعة
لن أؤذي
أيتها الأرواح!
أريني الطريق إلى بالاتون[8] .

سأمتطي الخيل للأبد، الأبد
غير معروف من أين.
فقط آثاراً سأتركها عميقةً
للناس،
حتى بعد هطول الأمطار
كل طريقي يبدو للأعداء
سلسلة كؤوس.
بحيث لا يحترقون من العطش،
مثلي.

(6) كومان: من البدو الرحل الترك الذين يمثلون الفرع الغربي للاتحاد الكوماني-الكيبتشاكي. بعد الغزو المغولي، قرروا المطالبة باللجوء في المجر، ثم إلى بلغاريا.

(7) ساكا: قبائل بدوية من أوربا الشرقية بالأصل، منتشرة بشكل كبير في أجزاء من أوروبا الشرقية وآسيا الوسطى.

(8) بالاتون: بحيرة عذبة المياه في غرب المجر. وهي أكبر بحيرة في وسط أوروبا، وأحد مقاصد السياح.

الدردار

في الوادي - حورٌ رجراج،
ونبعٌ، وعشبٌ،
وظلٌ، كالسّم، سميكٌ،
هنا الجذور ليست طويلة،
والخريف محقٌّ،
أن السنة ستنبت عفناً.
انظر -
فوق الرابية،
حيث تغني الريح،
حيث يسمع عواء الذئب،
متشبثاً بجذوره
في قلبي،
مترنحاً،
يقف الدردار.
لا تكسره لا حرارة
ولا عاصفة ثلجية،
ولا عطش الأيام الهادئة،
يقف،
فاتحاً للقاء الرياح
أكتاف الأغصان السوداء.
والفارس، الذي ابتسم له الحظ،
بعد أن رأى، يبكي
و-يندفع.
في الغور يسقى الحصان
وبدون كلمات
يشكر الدردار.

في قريتنا كان هناك حَذَّاءٌ

حَذَّاءٌ خيَّطَ للجميع أحذيةً
على مقاسه هو،
اعتقدَ أنه بذلك يجعل الناس متساوين،
متعصّبٌ.
وكانت قامته بونابرتية،
وارتداء مثل هذه الأحذية بالنسبة لنا، نحنُ العمالقة،
لم يكنْ سهلاً.

وكل واحد اعتقد أن الحذاء
اخترعه اللّه،
ليكون بإمكان المسلم
أن يصلي أكثر.
(في الصلاة تخلع حذاءك،
هل تفهم؟)
بهذا الشكل: الصلاة -
أغنية الأقدام الحرّة.

إلى المسجد يحتشد
العجوز، والصغير،

عارجين
يجرون وينادون
(والقدم في ضيقٍ).
«الله أكبر!»
صلِّ على النبي -
يأمر الحذاء.
لا يؤمن بالله فقط المتشرد
والجاهل،
لا يؤمن بالله الحذّاء نفسه -
لا يشعر بالضيق.

الله أكبر! لكنه بعيدٌ عنا.
والحَذّاء الملعون ها هو يبتسم.
الآن نصلي بكامل القرية،
من أجل أن يصبح الحذَّاء كبير القدمين.
ومن أجل ألا يكون الخياطون ذوي بطون ضخمة،
والفرّاؤون-صانعو القبعات ضيّقي الجباه.



ليالي آب ...

ليالي آب،
امضي، ولكن تذكري –
ليس هناك ليالٍ أشد سواداً.
غصن شجرة التفاح فوقي مرفوعٌ،
الليل فواحٌ كالشاي.
افتحي فمك
وبخفيةٍ إلى حلقك
سيدخل الجدول،
ويتدفق عبر المدينة الخضراء
هذه الساعة.
غصن شجرة التفاح،
مثل ستارٍ مرفوع،
في السماء السوداء –نارٌ.
ول أن أتذكر
اسم هذا النجم.
المريخ. على الأرجح، المريخ!
عند الحظيرة استجاب الحصان
الجولبارسي الأسود
بهدوء جلجل بحديد اللجام.
بعد الطريق الترابي
تعبٌ. برودةٌ. نعاسٌ.
السماء المرصعة بالنجوم –بمخروطٍ،
مثل خوذة مخرمة،
بأكثر النجوم لمعاناً
ومض وعلق فوق وجهي –

المريخ، على الأرجح، المريخ!
ثمرٌ شفافٌ ناضجٌ
يسحب غصن شجرة التفاح ويسحقه،
ويكسره
ويضطهده.
ليالي آب،
امضي، ولكن تذكري –
ليس هناك ليالٍ أكثر إشراقاً.
ما زال هناك الكثير، الكثير الغامض لي،
الليل فواحٌ كالشاي.
السجاد القديم متروكٌ
على عشب الفستوكة الكثيف،
الظلام يقف وراء جذوع أوريوتشين(9) ،
مثل غراب،
رأسي على السرج ... والسرج يفوح
ثم غباراً...
والسيقان المستقيمة تتقلبُ
تحتي.

(9) أوريوتشين: نوع من الأشجار المثمرة في آسيا الوسطى، يشبه المشمش.

الريف

في ذلك الوقت، عندما يكون الجو دافئاً
بدون دفء.
والفوانيس تنحني تحت العبء،
وانكاراً خافتاً للظلام
الضوء يخدم بأمانة الليل الآسيوي.
أذهب إلى هناك، حيث نقاط السجائر،
حيث الفوانيس التي كسرها العرسان،
حيث في أيار على ظهري صقيعٌ،
حيث الحياة هي قرشٌ، إن لم يكن وقحاً.

هنا تفوح بحلاوة السرقة القديمة،
على السرج صرخة فتاة مهملة.
بحواف الروح أفخر بالقرابة
مع عصبةَ متوحشة هادئة وموثوقة.

ظلام. حركات بيضاء مرئية،
المقعد مشغول، عليه يشعوذون –
واو، امرأة تنفخ لرجل في قبته،
ممزقةً قميص النوم عن ظهره.
غاليتي، مدّي راحتيك
المسي الآكاسيا، أبطئي بصمت،
الآن تعالي إليّ. يعومُ في الظل
وجهك
مثل كرة مضيئة.
القمر بدرٌ.
في الصمت يثرثر الماء.
الكلب نائمٌ. الحارس نائمٌ مع المِطرَد (10) .
الريف. تحت شجرة التفاح –مجرفة.
وكشك خضار، مغلقٌ إلى الأبد.

(10) مطرد: سلاح أبيض قديم، يتكون من رمح وفأس.

الممثل والمدينة ليلاً
بعد العرض الأول

يتظاهر الجسر
بأنه قوس قزح أسود
يتظاهر بأنه مطر لندني.
يصفقون بأيديهم.
ولكنه لا يُفرح:
إنه ضربٌ باطن الأقدام الرطبة.
والمرض يتظاهر بأنه أنفلونزا؛
هذه المرأة لا يمكن الوصول إليها.
يُفتح الباب مع صريرٍ،
يُغلق الباب مع جلجلة.
الرجل يتظاهر بأنه متمدنٌ،
لكن ليس كثيراً، وإنما هكذا،
على الخمسة(11) .
لو أتظاهر بأنني أمير دنماركي!
انصحني، أيها المتمدن،
كيف؟
وافقني، موهبة هو التظاهر.
كيف للحزين أن يتظاهر
بأنه حزين؟
أتَرى هذه الوجوه؟
فيها عنادٌ يائس.

(11) على الخمسة: المقصود هنا على "خمسة كوبيكات».

هي ستكون، متأكدٌ،
حزينة!
هي، من حيث المبدأ، لن تتراجع!
تعانق هي -حتى القعقعة،
وتجلس على الكرسي مع جلجلة!...
نحن البؤساء، ويعجبك ذلك،
أوه، إنه التساهل، الشر.
نحن متجهمون، لكي تشعروا أنتم بالسعادة.
نحن حزينون لكي تكونوا أنتم محظوظين!
تعبتُ من التمثيل حتى الموت،
تفتح بابك
مثل لص
تنام
وترى التصفيق في المنام.
... في الفناء أحدٌ ما يقرع بعصا
السجاد.



المواقد الآسيوية

نحن نذكر ما
يساوي الجميع،
أن في تاريخ البشرية الكثير -
عندما جاء الشامان[12] إلينا ذات مرة في الليل
لأعمال طيبة وأحاديث سليمة.
أشعلوا النار وعلَّموا
حفظ النار و
الركوع للنار،
والعلاج بالنار لعرق النسا والثؤول،
وعلموا التعامل مع الخيل،
والإيمان بالشمس
والتنجيم بالنجوم،
منهم جاء الرقص والغناء،
منهم قدَّستم الربيع فقط،
منهم الحرثُ والزرعُ والخبزُ.
منهم السجاد وطائراتكم.
منهم، المنقِّبين، جاء الماس،
قدّموا القرابين
من الساموديين[13] ،

لكنهم في النار علَّموكم.
الشامان أخرجوا النور من العمى،
ومن صممكم لكم بيتهوفنين،
وهوميروس، بعد أن صهروا من الظلام،
لم يكونوا قد عَلموا ما تم إعداده لهم.
استخرجوا في الركاز الفتي
بقراريطِ

(12) الشامان: سحرة دينيون يدّعون بأن لديهم قوة تتغلب على النيران.

(13) ساموديون: السكان الأصليون في شمال روسيا في القطب الشمالي.

الأسفار المقدسة والمصاحف،
في الأيقونات اليدوية صحاري
وجبال
أعادوا غسل مليارات الأمور.

ومن أجلكم -أنتم كنتم فقط تضخون العسل،
كنتم تذهبون إلى الأوكار، تشربون الأفيون،
بماس الكلمات، بذهب الأسماء،
بكل بلاتين الآمال دفعتم عن الدخان.
على الأقنية الدافئة
والغلايين في أسنانكم
كنتم مستلقين،
للاستلقاء تحت السياج
مرة أخرى -
آسيوياً، عبداً، لصاً
كلباً بين الكلاب الأخرى.
عندما كانوا يقولون لكم -
ادفع،
عندما أشعلتم البول، والتانغي، والمان(14) ،

للدخان
على مواقد الشامان،
الذين اخترعوا المواقد
للدفء.
لا، بالاجتهاد عظيمٌ
عالمي الغريب
الذي وُلِدَ مُنقِّباً!
يا آسيا، بتنقيبك
أنفقت!
مرة أخرى مواقدُ للدخان
ازدهرت

(14) بول، تانغي، مان: عملات معدنية قديمة.

مارفوغا آيتخوجا

(ولُدت عام 1936)



- تخرجت في كلية فقه اللغة التابعة لجامعة كازاخستان الحكومية عام 1965.
- عام 1971، أنهت دراستها بالدورات الأدبية العليا بمعهد جوركي الأدبي في موسكو.
- صدر أول ديوان شعري لها عام 1962 تحت عنوان «بالكوراك». وصدرت بعد ذلك العديد من القصائد الشعرية والكتب مثل: «بداية التسجيل» عام 1964، «سن المراهقة» سنة 1968، «بجعتي» عام 1971، «سمكة المرأة» عام 1973، «حواجبي» عام 1975، «المهد الأبيض» عام 1978، «البريق نجمتي» عام 1980، «حدبة النسر» عام 1985، «ليلة كئيبة» عام 1991، «قلب البجعة» عام 2001، «القديس ألطاي» عام 2005 وغيرها الكثير. وقد أصبح اسمها واحدًا من أهم الأسماء في الأدب الكازاخي المعاصر.

- صدر لها حتى الآن ما يقرب من ثلاثين ديوان شعر.
- ترجمت أعمالها إلى اللغات الروسية، والبلغارية، والبولندية واللاتيفية، والفرنسية، والألمانية، والإنجليزية، والتشيكية، والفارسية، والعربية، والصينية، والأردية، والأوزبكية والقيرغيزية ولغات أخرى.
- تعمل مؤلفة في العديد من المجلات والمختارات الأدبية الأجنبية مثل «مولودايا جفارديا» في موسكو، «مختارات الشعر» في باريس، «اللوتس» في القاهرة.
- شاركت في مؤتمر أدب الشعوب الشرقية الذي عقد بالصين عام 2002 وبالايان عام 2004. كما شاركت في المنتدى الدولي للشعراء في كوريا عام 2006.
- قامت بترجمة أشعار نظيم حكمت وبلال نظيم إلى اللغة الكازاخية وكذلك أعمال شعراء منغوليا، وروسيا، وقيرغزستان، وأوكرانيا وبعض الشعراء العرب.
- تعد شخصية مرموقة بجمهورية كازاخستان وحصلت على جائزة نيكولاي فابتساروف عن كتابها «نهر الدانوب الأزرق» عام 1979 من بلغاريا.
- حصلت على جائزة الدولة من جمهورية كازاخستان عام 2002.

يهبُّ نسيمُ الشمال

نسيم الشمال المنعش،
يُحيي السهوب ذات الأعشاب المتنوعة.
غابة التنوب(1) الممتدة والمترامية،
حول البحيرة
تحفظ الأسرار.
تندفعُ الأشجار الخضراء عالياً،
هنا تشعرُ بحرية التفكير
والنمو.
تقول،
مثيلات لجميلاتنا،
لا يمكن العثور في المناطق القطبية.
أتنعَّمُ بأشجار التنوب الشاطئية
وأتمنى أن أغنيها في أشعارٍ.
أتذكر،
كيف مثل بجعات بيضٍ
أبحرت اليخوت
في كل أشرعتها.
اجتزت أنا
تحديات العواصف،

ولا يوجد خجلٌ
أمام أجدادي.
بوضوح يُسمَعُ
همس ألبتولا -
عني
جواباً أمام السماء.
نسيم الشمال المنعش،
يحيي السهوب ذات الأعشاب المتنوعة.
غابة التنوب الممتدة والمترامية،
حول البحيرة
تحفظ الأسرار.

(1) التنوب: أو الراتنج – أشجار تنتمي إلى الفصيلة الصنوبرية.

اعذريني

يا جبالي الغالية، تالكي!
كم أنت شاهقة
أنتِ حبي وحزني
منذ طفولتي القديمة.
أنظُرُ،
وأنظُرُ،
لا أستطيع أن أشبع من النظر.

يا جبالي الغالية، تالكي!
كم أنت شاهقة!
أنتِ ثروةُ الشعب
ومَعجزةٌ أبدية!
ارفعيني،
معكِ سأكون سعيدةً.

يا جبالي الغالية، تالكي!
كم أنت شاهقة!
أغنياتك
أود أن أسمعهاَ بنشوة.
أن أحترق من حريقكً!
اعزفي أكثر،
سأصبحُ هُطولاً ربيعياً.

يا جبالي الغالية، تالكي!
كم أنت شاهقة!
النسيم يُمسّدُ شعري،
ويقبِّلُ خدي.
اعذريني
لأني من هنا سأرحل.

عند الشلَّال

جَبَلُ تينغري الجامحُ
ينظرُ إلى زُرقَةِ السماء!
هنا لا تسود إلا النسور والرياح،
وتصبُّ المياهُ الصافية.
الشلال استلقى وتمدد على الهضبةِ،
يركلُ المنحدرات.
كم من الروعةِ المشرقةِ فيه –
يجذبُ النظرَ إليه.
يصب في الشتاء أيضاً،
مانحاً البهجة.
أنا أعلم –
هو، كملاك الأرض،
انتظرني طويلاً.
أنا لم ألمس الماءَ بيدي،
بقلبي لمسته.
هنا إلى القمم
حلَّقت الأحلامُ،
ورقصَ شبابي.
الرابطةُ بيننا
في بعض الأحيان انقطعتْ،
كنتُ جاهلَةً،
إلا أنني تمنيت أكثر من مرةٍ أن أرى
كيف يصبُّ هو بصخبٍ.

لكي تبلغه
الأغنية الطائرة من صدري،
لكي تستطيع
أن توقظ المشاعر،
تطايرت بكبرياءَ في السماء.
في بعض الأحيان الشوقُ والعتابُ
أسرا روحي:
«فأنا-
ابنة هذه الجبال،
وهل أنا أقلُّ من أجدادي؟
حتى وإن كنت لم أبلغ القمم بعد،
إلا أنه ينبغي عليَّ أن أتسلق،
غير آبهة بخوانق الحياة،
وأهيجُ شلالاً».
أنا، ربما،
سأرجع ظبيةً
إلى شلاّلي؟
ليكن حزن الابنة مشرقاً،
العالم في ثيابه الخُضْر.
وأنا جئتُ في شباط
تحت حفيف العاصفة الثلجية.
كان عليَّ التغلب على الكثير من المحن،
ناهيك عن الخسائر.
أنت تُحلِّقُ وسط الجليد أمامي،

تتحدثُ بصراحة.
بديعٌ وعنيفٌ شتاءً
مع لحيةٍ كرغوةٍ بيضاء.
هذه المسافات قطعها جدي
مُسميّاً كل شيء.
مهما كان قَدَري قاسياً،
حياتي أقارنها بجدّي.
لا أحني رأسي أمام الشر.
وحدها الأغاني أُقدِّرها.
أتحدث وأكتبُ عن كل شيء
بصراحةٍ وصدقٍ.
يا شلاَّلي،
ويا جبل تينغري!
حتى وإن اقتربت الشيخوخة،
أنا للطموحات البيضِ وفيَّةٌ-
سأصبحُ إنساناً.



تراكمت الأفكار

أنا شاعرةٌ، وأنا وحيدة مع الناس،
يستهويني جوهر الحياة.
الكثير من الأفكار تجول في مخيلتي
وروحي قلقةٌ.
لماذا، مثل الخريف، حزينةٌ أنا
فأنا طوال الوقت أعيش شعراً؟
يزورني وطني العزيز في الحلمِ،
وأتنهدُ عليه في العلم.
أشعر بنفسي فرساً،
مثلها مسافرةٌ دوماً.
ريحٌ معاكسةٌ،
شمسٌ حارقةٌ،
وعن درب القدر لا يمكنني أن أحيد.
سواءٌ أكان الدربُ طويلاً،
أم قصيراً،
أحبه.
درب السهوب-
أندفعُ إلى الحلمِ من الواقع،
بدون حُلمَ رفيع،
لا يمكنك العيشَ.
قد لا أجلب طائراً من السماء،
لكني مثل أخ
سأعانق الفضاء.
لن أتعب من عواصف الحياة -
فأنا أعيش في وطن أجدادي.
لكن الأغلى من مفاتن العالم

قريتي التي رأيت النور فيها.
لا يكفي حماس القيثارة،
لكي أتغنى برابطة الدم هذه.
مثل نهر موزارت الجليدي،
يضرب القلبَ
الحزنُ على البقاع التي غادرتها.
هناك بقي أحبتي،
عندما أتذكرهم، تفيض دموعي نهراً،
لا يمكن للفرس أن تعبر هذا النهر،
سيجرفها تيارُ الحنين.
عشتُ وسط طبيعة رائعة،
مثل زهرةٍ تنمو تحت الشمس.
مهما كان الترحالُ حلواً،
فإن ينابيع الطفولة تغويني.
لم أبكِ الماضي في سن العشرين،
لكني بكيته فجأةً
في الخمسين.
سامحني،
يا موطن طفولتي،
سامحيني
أيتها الأرض العزيزة.
كم أودُّ
لو تطير الأبيات
من قلبي
إلى البقاع الحبيبة.
أنا وحيدةٌ، أنَا مع الناس،
يستهويني جوهر الحياة.
الكثير من الأفكار تجول في مخيلتي
وروحي قلقةٌ.

على القبر

أمي!
ارقدي في الأرض الأم بسلام!
جئتُ إليك - طفلتك.
الحياة أصبحت أكثر حريةً وجدارةً،
إلا أنكِ لستِ معي.

أشعرُ بقلق روحك،
على الرغم من أننا اليَوم في عوالم أخرى.
يبدو أنه ينفذ تحمُّلُ
فراق الأحبة.

كمْ نحنُ
المشتتون،
المخفضون أجنحتنا من الحنين؟!
نفتشُ عن أثركم في السماء الواسعة
وأفكارُنا قاسية.

بالأفكارِ أستقبلُ الفجرَ.
قلبي يخفق برعب في صدري،
كأنني أترقبُ بشارةً،
لا يمكنني الرحيل عن قبرك.

لكن الحظ ليس في عجلة
يلوح لي بجناحه.
على أرضي الأم أقفُ وأبكي،
أفكر بحزنٍ فيما مضى.

ها نحن قد تحدثنا بصمت.
ابتسمت لي عبر الظلام.
وأنا أرحل عن قبرك
سأحملُ معي حفنةً من التراب الأم.

الحجر العائم

هذا الحجرُ العائمُ جميلٌ ومستديرٌ،
الموجات تتزلف إلى الحجرِ،
نافخةً ذيولها.
بالقرب من البحيرة جاثمٌ هو منذ آلاف السنين،
بعد أن نجا من آلاف مؤلَّفة من المعارك.
السهوبَ الجافةَ،
الأمطار والثلوج
عاماً بعد عام تترك عليه آثارها.
مُرَقَّشٌ بأكمله بنقوش كالجروح،
لا يستسلم للنائباتِ والزمن.
كأن غرانيت البحيرة يؤمنُ بالخلود،
وقصص الغارقين في القاع يحفظهاَ.
تهدي ألوانِ الفجرِ
للحجر شروقاً جديداً -
بطيف لا مثيل له في اللوحات!
أنّا أحب هذا الحجر،
لا يمكن أن أنساه.
أنا ذاهبةٌ للقائه
أجري على المنحدر.
لماذا هو عزيزٌ بهذا القدر،
أنا نفسي لا أعلم،
إلا أنني أنادي سيرامِ
كما أنادي صديقاً وفيّاً.
وعندما نتمكن من أن نكون معاً،
تُشفي روحي
وأنسى كل شيءٍ.
هذا الحجرُ العائمُ جميلٌ ومستديرٌ،
الموجات تتزلف إلى الحجرِ،
نافخةً ذيولها.
بالقرب من البحيرة جاثمٌ هو منذ آلاف السنين،
بعد أن نجا من آلافِ مؤلَّفةٍ من المعارك.

عندما تعودُ الطيور

تعود الطيور إلى أعشاشها في الربيع.
القلب بلهفةٍ يستقبل أسرابها.
قالت لي أمي:
«عامٌ من الحياة انقضى-
هذا ما تعنيه هذه العودة».
ولكنّ ما إنّ أسمعُ حفيف الأجنحة،
وصيحات الطيور في السماء،
حتى يثور دمي،
وتزداد قواي،
وتولُد أغنيةٌ جديدة.
أنتظر دائماً بفارغ الصبر هذه الفترة-
وصحوة السماء والأرض.
ما إن تنشر الشمس عطاياها بسخاءٍ أكثر،
حتى أرى الطيور في سماء الربيع.
ها هي تطير وتصيح،
وأخرى تضجُ...
ليس هناك ما هو أروع من هذه اللوحة.
طويلاً في السماء يجوبُ
النظرُ المذهول،
والروح تنتظر عندلةَ العنادل.
بمودَّةٍ تقطر الدموع من الأغصانِ.
والجبال تغنّي مع المغنين الصادحين.
طوال الليل دون انقطاعٍ
لم أُغلق عينيَّ،

مع الطيور أحلّق في السماء.
أيتها الطيور، أيتها الطيور!
من جديد نطَّقتِ المرتفعات،
وزهَّرتِ لوحةَ الطبيعة.
تغدو الحياة أكثر بهجةً ونشاطاً،
ومياه البحيرة أكثر ألواناً.
بدونِ حواجز
تحطّين في مواطنك،
ولا تعرفين الحواجز عندما تحلّقين بعيداً.
أنتِ تعيشين محتفظةً بدروب الترحال.
أحسدُ الأسراب المجنِّحة.
بفارغِ الصبر أنتظر دوماً
قدوم الربيع
وانتعاش الحياة في الطبيعة.
أنتِ من جديد إلى كازاخستان
يجب أن تعودي-
لتحتفلي بالنيروز(2) مع الناس.

(2) نيروز: عيد الاعتدال الربيعي لدى الشعوب التركية (21 آذار/مارس).

آباسيوناتا (3)

مثلَ حزمةٍ من زهور الحقولِ،
تهيمُ مترنحاً من المتعة، –
هكذا هو بيتهوفن العبقري في ألحانه –
يتقنُ صنع المزاج.
اللحن يتغلغل فيك إلى الأبد.
والمشاكل تبقى في الماضي.
الأصوات من السماء،
مثل الماء الحي،
تتدفقُ في كل عروقك.
أصواتٌ حزينةٌ،
والقلب يشعر بالارتياح،
والمشاعر تطيرُ مجنحةً.
وأنت نفسكَ تُحلِّق
عالياً، عالياً.
الروح منغمسة في المتعة.
نَفَسُ الوقت،
ومضات المشاعر–
كل شيءٍ مسموعٌ
في هذه الموسيقى، –
وتيارات الأفكار،
وآلام الناس،
وتغريد الصيف الدافئ.
تحليقٌ جريءٌ للأفكار،

(3) آباسيوناتا: السوناتا العاطفية –الاسم المعروف لسوناتا البيانو في مقام فا الصغير مصنف 57 لبيتهوفن.

بدايةٌ للأعمال الخيِّرة!
أملٌ
في أن الإنسان سيمتلك من جديد
الحلم
الذي أضاعه منذ زمن؟
هناك يُسمَعُ
صوت الرجال الشجعان،
روحُ القضية العادلة،
انتصارات على الظلامِ،
نشيدٌ مهيبٌ،
على الكذب
الذي تملَّكنا!
تجرفُ تلك الموسيقى
قمامة الحياة -
الأوغادَ،
الخائنين،
الثعالب،
ولحقبةِ الخيرِ
تفتح الفضاء،
الذي باهتمام
ينظر في وجوهنا.
مثلَ حزمة من زهور الحقولِ،
تهيمُ مترنحاً من المتعة، -
هكذا هو بيتهوفن العبقري في ألحانه -
يتقنُ صنع المزاج.

جزيرة البجع

وهم يعبرون خائضين عبر النهر،
دون أن يهابوا المخاطر،
رمى أجدادُنا دون خطأٍ -
تمكنوا من أن يصيبوا عين اليحمور.
اقتفوا آثار الحيوانات
في مناطق بعيدة عن منازلهم،
لكنهم لم يرموا قط
ظبيةً في حمْلِها.
في حب فتاة جميلة مثل البجعة
وقع الصيادُ يستاي.
تركَ الصيد
وبأغنية فتنها.
بالأغنية
التي أصبحت مجنِّحةً.
ومن وقتها لم تعرف النسيان.
مَنْ يحب إبداع يستاي
هو نفسه
شاعرٌ حقيقيٌّ.



جايكونور

جايكونور-
أغنيةٌ عن حياة مُحَلِّقة
تطير مسرعةً إلى منطقة مجهولة.
أَلْهبَنا نورها،
مثل مصباح عبر السحب،
بليغٌ من آركا - يستاي النبيل.
استلهمَ حكمة كاراوكتيل(4)
وفتحت للشاعر قمم لا حدود لها.
حلَّقت أفكارُ يستاي المجنِّحة
ووصلت إلى قلوبنا عبر القرون.
أبناء آركا قدَّروا مغني الأغاني،
أهدوا الوطنَ مواهبَ عديدة:
كل الكازاخ أحبوا أغاني بايجانوف(5) ،
والآن تتألَّقُ مايرا كيري(6) في أستانا!
التقطَ الخلف أغنية يستاي،
وسارروا على طريق الفن على خطاه.
وأنا هذه القرية، كابلة، أغنيها،
بلا أنانية وبلا شوائب أغنياتي.
أنا شاعرةٌ!
انا مواطنةٌ
أغني للناس!
أغمسُ ريشتي
في دموع من عيني.
أوه، يا قَرية يستاي!
أليس موطني هنا -

(4) كاراوكتيل: قرية في منطقة تسيلينوغراد في محافظة آكمولا في كازاخستان.

(5) بايجانوف جاياو موسى: شاعرٌ وموسيقيٌّ ومغنٍ كازاخي شهير (1929-1835).

(6) مايرا كيري: اسمها الحقيقي مايرا محمد-كيزي (مواليد 1965) – مغنية أوبرا كازاخية.

في تُركِستان الشرقية
أبصرت النور.
ليحجب الحزنُ في عينيَّ
ألوان السعادة.
نحو الشعرِ المشرقِ سأبحرُ من الظل.
شاقَّةً طريقي نحو الكلمات الرفيعة،
كما لو كنتُ أندفع خلف السعادة،
منذ أعوام طفولتي بروح شاعرية أعيشُ.
تجنبتُ دوماً الهذارَ والهراء.
خَلْفَ يستاي
ناداني الحلمُ إلى الطريق.
واجهتني أحزانٌ وعواصفُ،
قادني خلفه
واساني، ولم يَدَعْنِي أحيدُ عن دربي.
ضفة نهر إيل
ذكَّرتني بالماضي البعيد،
بأنه في وقت ما
من هنا مرَّ أجدادُنا الأمجادُ.
صورةُ الوطن
ملأت بالحبِ السطور،
وألحانُ يستايَ غنَّاها إيل.
هو وَهبني هنا التميمة،
وهنا ترك تأملاته.
ضفةُ إيل أصبحت بالنسبة لي المكان الشاعري،
وللمرة الأولى أنشدتُ أنا هنا عن الحب.
هنا امتلكتُ موطني
الذي حلمتُ به،
وأصبحت أغنياتي للناس مسموعة.
أنا في موطنِ الأجداد
أصبحتُ سَعيدةً،
ليس عبثاً أنني عدتُ من البلدِ الغريب.

مدينة كولجا الرائعة
منحتني العزاءَ،
والأفكار السامية
منحني إياها جبلُ تينغري.
مطرُ النجوم
تحوَّل هنا إلى قصَائد
تحملُ
صيحةَ نسرٍ شُجاعة.
يا يستاي الخالد الذكر،
أنحني أمامك!
مثلك أنا، لا أَقبلُ الشر والكذب.
بِحُبِّ الابنة أعترفُ أمام الجميع -
أنتَ منذُ زمن في قلبي
تعيشُ خالداً.
لم يستطيعوا أن يشيدوا لك نصباً تذكارياً في كاراوتكيل،
لكن أغانيك، كما في السابق،
يغنّيها الناس.
وأنا أعرفُ -
لن تتمكن العواصف
أن تغطي بالنسيانِ
صورتك المشرقة.
عن كورلان سيغنّي
أبناؤنا وأحفادنا.
أنتَ روحنا الجامحة
التي تعيشُ على مرِّ الزمن،
أنتَ أغنيةٌ ساميةٌ
تضمنُ الانتصارات،
أنتَ شاعرٌ عظيم،
كازاخٌ حقيقيٌّ!

قَلْبُ البجعة

تَمُرُّ الأيامُ في خسائرَ وآلام،
في أشعة الغروب أرى الأفق.
قممُ الجبالِ تشعُّ شمساً.
لكن في قلبَ البجعة إلهامٌ
بكلمات الأغاني يصنعهُ الحزن.
أحلامي،
مثل الثلج الأبيض، نقية.
تعشعشُ في قلب البجعة
المتْعَبِ من الحزنِ الأبدي.
كثيراً
ما تتسابق مع آلاتاو،
تُقْلِعُ بجرأة إلى السماء،
يا شعوريَ المشرق،
وفي سماء الوطنِ تطيرُ طويلاً
مُجبِرةً القلبَ علىِ الإيمانِ بالمعجزات.
أحياناً وسط صمتَ الليلِ،
مثل البجعاتَ،
تصرخُ مذعورةً
من مرارةِ كلّ ما مرت به،
تودُّ الهروبَ من الكوابيس.

أفكار وأمنيات كثيرة تجمَّعت
في الصدر الذي أرهقته الآلام،
إلا أن فرحاً يشعُّ فيه أيضاً
يضيءُ المسافات أمامه.
تُشرقُ الشمسُ،
ومن ثم تغربُ...
من كان بائساً
برؤية هذا النور؟
أرغبُ بمثل انَسجام الطبيعةِ هذا
في قلب شجيٍّ
في غروبِ العُمرِ.

ليبقى الصوت

أنا لست محكومةً لزمني،
كل شيء في أيدي تينغري.
تدفقُ الأنهار يجري بصعوبة،
إن لم تأخذ هي بدايتها في الجبال.
أنا لست عجوزَ السهل الهادئ.
أبي
جبلُ تينغري-تاغ.
أسقُطُ شلالاً من القمة.
في الحياة أتلاطمُ
وفي الأَشعار.
بجرأة مهَّدت الأَشعارُ
المجرى الصاخبُ نحو القلوبِ.
عواصف الزمن
لن تقيد أجنحتي.
ولدموعي
لن أسمح بالسقوط.
جمعتُ أعداءً
أكثر من الأصدقاء الحميمين والأوفياء.
طَعْمُ الحياة
مع مرور السنين أكثرُ مرارة،
والناسُ الطيبون أقل.
ربما، بإمكاني أن أدفن المشكلة؟
ولكني لا يمكنني أن أخرج عن مسار القدر.
لتبقى الروحُ صريحةً
وصوت الحقيقةِ
لا يخبو في صدري.

فاريزا أونغارسينوفا

(1938 - 2014)



- شاعرة كازاخية تمثل الاتجاه الروحاني الفكري للشعر، تخرجت عام 1961 في معهد جوربيف التربوي (جامعة أتيراو حاليا)، ثم اشتغلت بالتدريس في مدرسة القرية. وانتقلت للعمل بمجال الصحافة عام 1966. وعملت مراسلة لصحيفة «العمل الشيوعي» المحلية.
- بين عامي 1968 – 1970 عملت مراسلة خاصة لجريدة «لينينسكايا سمينا». وبعد أن انتقلت إلى مدينة ألماتي، أصبحت رئيسًا لتحرير جريدة «الرائد الكازاخي» خلال الفترة 1978–1970، ورئيساً لتحرير مجلة «الرائد» خلال الفترة 1978– 1995. وتم اختيارها لتصبح نائبة بمجلس برلمان جمهورية كازاخستان في الفترة 2004 – 1995.

- من أشهر دواوينها الشعرية «ساندوجاش» عام 1966، «جيمتشوج مانجيشلاك» عام 1969، «الوقت الذي لا يهدأ» عام 1972، «الموجة البرية» عام 1973، «عصافيري» عام 1974، «أنا في قلبك» عام 1975، «حُبك» عام 1977، «الإنترفيو» عام 1983، «الشفاء» عام 1985، «يوليو» عام 1978، «يوميات القلب» عام 1984.
- ساهمت أعماله التي تم جمعها في عشرة مجلدات وكتبه الشعرية الأخرى إسهامًا كبيرًا في الاتجاه الفكري لتطوير الشعر الكازاخي الملائم لروح العصر.
- حافظت على المهام الفنية للشعر الكازاخي ولكنها أدخلت تنوعًا في أشكالها التقليدية وأثرتها بالأبحاث والتجارب.
- ترجمت العديد من أعمالها وصدرت باللغات الأجنبية. كما عملت هي نفسها في مجال الترجمة الأدبية وترجمت إلى الكازاخية أشعار بابلو نيرودا، وأليكسندر بلوك، وريما كازاكوفا ويفجيني يفتوشينكو.
- حصلت على جائزة الدولة من جمهورية كازاخستان عام 1984.
- حصلت على لقب كاتبة الشعب لجمهورية كازاخستان.

قريةٌ على الطريق

زخارف العشب والزهور سارعت إلى السجاد،
إلى منازل اليورتا البيضاء كأكواب من الخزفِ؛
يدخّن الموقد، وبهدوء الأحاديثُ
تدور بالقُرْب حتى وقت الليل.

عندما تخرجُ في الربيع من الهضاب،
سترى منازل اليورتا في جايلياو الخضراء،
ولدفء المنزل ستغني مجد الأرض
بروحٍ واحدةٍ بدون موسيقى وكلمات.

طلع الفجر، كأن الوقت لا يزال باكراً،
الصبْيَةُ يهرعون - مشتاقين للنهار،
لكي يدفعوا بكعابهم الكبشَ،
المسرَّج على طريقة الحصان.

وكل واحد على مجد المستقبل غيور،
يعضُّ شفتيه بتفانٍ،
يُصوِّرُ أنه في البايغي[1] هو الأول.
والريح؟ وحدها المنافس!

هنا الشاي أكثر لذة، لأنه طقوسي،
يشربه المسافر والمقيم على مهل،
كما لو أن عبء السنين الماضية عن الكتفينِ قد سقط،
وإلى دربٍ جديد تنادي الروح.

على الصهوة نولُد وعلى الطريق نعيش.
وقت التوقف مرَّ بسرعة،
وحده خيالُ الظلِّ على أطراف القرية،
حزينٌ يُلوّح طويلاً بأكمامه.



(1) بايغي: واحد من أقدم وأشهر سباقات الخيل لدى العديد من الشعوب التركية.

القطار يقترب

القطار يقترب. ضرباتُ القلوب تَسبق
قعقعة العربات على تقاطعات السكة.
إلى أين نحن ذاهبون؟ في رحلة مجهولة
مَنْ يودّع مَنْ هنا؟

والسماء بدخان وردي
اختلطت مع دخان القاطرات،
والشعرُ ينتصب،
والغصَّة وصلت إلى الحلق.

وداعٌ؟ كيف ذلك؟ هل حانَ؟
نتدرب على الوداع،
ما دام لم يأتِ بعد-
عقرب الثواني يجري بخجلٍ.

عن أننا لدى الحياة على الحدّ،
أعلن الصفير الحزين.
معك لمدة شهر، على أي حال،
افترقنا كما لو كنّا إلى الأبد.

وداعاً وتذكرني!

فوق الجحيم نقش: «مخرجٌ إلى المدينة».
لكن الهذيان يمسك بالعنق،
ومعه كلانا حنينٌ مضاعفٌ.

لقد مثّلنا رحيلك،
كما في مسرحية، وعندما حانَ،
نسيتُ الكلمات والإيماءات،
والبديل-حزنٌ.
بدون كلمات رسمتُ صليباً:
الكلمات، قبل أن تزهر، تتلاشى.
فجأة صاح القطار:
«كان! كان!
عُد-أعود!
أعود-عُد!»



تفكير كازاخٍ عجوز

أسرجوا لكامل السباق حصاناً ...
(أفٍ- مشي!
جففه الغبار
لسان شفة ساكسوالينا(2) يخدش)
الفارس يمارس الفروسية فوق السهوب الريشية،
وطقمُ الحصانِ يَلمعُ، والسيفُ يغني.

لقد مزقنا بطن الفجر بالحافر،
وبعد أن استولينا على الشمس، الحارة والضخمة،
عدنا إلى القرية،
كل الأحزان منسيّةٌ،
العالم كله مفتون.

كما في الشباب اندفعت المشاعر إلى الحرية!
كبح الحصان، الجيغيت(3) العابث
سيطلق الصقر المرفوع على الثعلب
ومع غضبٍ مقدَّس،
وبصراخٍ أجشٍ
سيدوس ما يدنس أرواحَ الأسلاف،
لكنه دمثٌ أمام العجوز، عيناه مسبلتان،
وضوء الأفكار ينير الوجه.

(2) ساكسوالينا: لقب المرأة النحيفة الطويلة.

(3) جيغيت: (باللغة الكازاخية) فارس، شابّ، فتىً.

أوه! الشباب يأسر حسناوات السهوب:
لا حاجة للتوسل - متهورة في عاطفتها
مالكة قلب الجيغيت في قوة
الأعناق تحترق. هل ستعود اللحظة؟
يا إلهي، أيعقل أنها لن تتكرر
الأمسية المحبوبة، والليل، والفجر،
عندما وأنا نصف نائم أسمع في الرد
على المداعبة الرقيقة تنهد الحبيبة،
وهمس الطيور، والفجر القافز قليلاً.

مضت، ولن ترجع، ولن تنسى تلك الأيام...
في الشقوق إرادة سخية ورغبات.
صقرٌ أنا، أرى بوضوح بعيداً
سموا قبل الأخير يدعى الشيخوخة.

ظننتُ أنِّي سأجد شبابنا في الشباب
لكن لا ... -لم أجده وجنّت روحي
وارتبك العقل!
وأخفق العقل!

لكنني صقراً كنت أنا -
لا يمكن لفرخي أن يكون غراباً.
أنا أعلم - لا يمكن ...

توهجٌ

بترفٍ يتنعم الجحيم،
اليوم هو ذلك الغروب الوحيد،
حيث يحقُّ لنا أن نتنعم بالتوهج.

في أمواج الرمل نبحرُ نوحاً مشرداً
ومعنا طائرٌ، ووحشٌ، وعنكبوتٌ، وزاحفٌ -
وفقاً لإرادة الأمواج والرياح عشوائياً.

قبل انقلاب الشمس تقوينا،
النجم الذائب باللهب لا يَرِنُّ،
غروب الشمس يدخل رسمياً في سمته،
القطيع يُخشخش بالذهب حافره،
وتهمس القوائم الذابلة.

الملاذُ - منحدرٌ بائسٌ، وهناك عجوزٌ،
يَمُدُّ يديه،
عالَمٌ قُزَحِيُّ الألوان،
غضٌّ ومتعدد الجوانب يهوي جرواً
إلى الأسفل بأقصى سرعة.

العالم الفطري
خرج بدون زخرفة.
نُلاحقُ ظهور جاياياو،
ونقود قطعان الخيول إلى العشب،
والهواء حمماً منصهرةً نستنشقه بشراهة،
كما لو لأول مرة.

ضوء النهار يتشقلب فوق الحافة،
من الأفقِ يندفع إلى المدى.
الْحَرُّ سُلطةٌ ممدودةٌ فوق السهوب الأبدية...
لدى منزل اليورتا الأبيض الثلجي ما زال هناك موقدٌ،
والدخان المنتصبُ يسندُ السماء.

رومانسية

مقطعٌ صوتيٌّ مقطوعٌ وصرخة،
نغمات حلقيةٌ
أسرت الروح.
في شباك الأسماء اصمت، أيها الشاعر.
لن يدمر الأغنيات جذع، –
مثل عمود، يسند الشجرة
باراتاشفيلي، ليرمانتوف وماخامبيت.

شياطيني الثلاثة،
ملائكتي الجريئة الثلاث،
المدفونة في التراب،
لقد عدتِ إلى فوق،

لكي تقتحم صوتي
الغارق بحزنٍ أبدي
كل أحزانكِ الثلاثة، كالنمور.

هكذا في بعض الأحيان لا تميّز حياتي عن أغنية،
أجلس طوال الليل بدون نوم... بومة مهجورة،

و «الروح الشريرة» ترتعد،

ويتلاشى «لون السماء»،
ما دام الكدر،
لا تجتاحه كلمات.

كايساكي[4] ، روسيتش[5] ، إيفيرتس[6] –
نحن كلنا بشرٌ،
والمنسجم هو الحزن وحده،
وليكن فردوس المباركين عميقاً،
ستنهض شياطيني الثلاثة من نومها.

عندما تحفر روحي صدري
في داخلي بمخالبها
كيلا تنقطع الأحاديث الثلاثة التي بدأناها،
لا شيء –الجسد مريض،
كنا ضيوفاً،
على أشياءَ هالكةٍ للغاية،
وبهرجاتِ عيدٍ.

أنا مشغولةٌ جداً الآن،
ينبغي عليّ أن أسرع
وأمد حقيقة حبها في كلماتي
كسرابٍ، تعوم، وتنادي الوجوه القريبة...
من أتاه المسيح؟
ومن أتاه اللّه؟
عندما يخبرني طعم
الفطيرة النحاسية الهزيلة،
أنه سيعاش أجمل وقتٍ،
وأن رحلة الدنيا قُطِعتْ،
سأقول، بعد أن أصبحَ شفافة:
– لم أكن فقيرة –
واحدٌ في وجوه ثلاثة ملاكُ الشعراء فوقي.

(4) كايساكي: قرقيز–كايساك – أحد المكونات العرقية للكازاخ.

(5) روسيتش: الاسم الشعري لسكان خقانات روس، صيغة من اسم عرق "روس".

(6) إيفيرتس: سكان المملكة الجورجية القديمة التي كانت على أراضي جورجيا الشرقية التاريخية، والتي ذكرها كل من المؤلفين الجورجيين والأرمن والأثنيين والبيزنطيين.

شوكُ الجِمال

في الصحراء لقاءٌ موعودٌ مع شوك الجمال.
بينما كنا نفتش عن القدر، حلَّقنا في السماء،
تنعمنا بِجَمالها، بدرجة ما الأفضل،
شاعرٌ وفيلسوفٌ وراعٍ وحاجٌ- هائمٌ.

الصحراء تتدفق، بالضبط مثل الساعة الرملية،
متجاوزةً، عابرةً طرق القوافل تلتفُ؛
هناك قليلٌ من الحياة هنا -مع عشرات الشجيرات الشائكة،
تتدلى على الطريق نباتات البلسم ناشرةً إبَرَها.

غير أشجار النخيل الثلاث،
لا يمكنك العثور على واحدة في النهار مع النار،
وحدَها نباتاتُ علف الإبل عديمة الرحمة،
نظفر بنظرة إليها وننتعش ثانيةً
بعد أن نتذكر جذورها الشاحبة ذات الأمتار العديدة.

الممتدةُ بخمولٍ ولمعانٍ فوق الرأس،
السماء الصحراوية باللامبالاة ستعارضها الرمال.
الروح فجأة تهتز متشبثةً بالجذع المليء بالحياة،
الذي من عطش الإزهار يخترق الشقوق.

بالشوك المزهر أتسكع عند الرياح على الطريق،
مثل ساق خشنة،
أتمسك بجذوري في الأرض.
أنا أيضاً أريد من الأعماق أن أنمو متعددةَ العروق،
في الرمال البائسة والأبدية للخلود -خضرةً.

بكاءٌ على حصان مسروق

آه، أيتها الجبهة المضيئة
لِوَقواقِي الصغير،
لحصاني !
أوه، قرحة في كبد اللص !

منذ الطفولة اعتقدتُ أن رَحْلَ
الجمل يحصل عليه قعود...
بصق اللصوص على الأنظمة!
سرقوا!
وفي هذا الوقت -
في الخريف - قبيل صيد الصقور.
فكَّرتُ بأنِّي سأنهي الصيد
وأصلحُ الثياب البالية
لفصل الشتاء.
ولكن لا، حصاني الحائر
فكّوه وأخذوه بعيداً
إلى الجحيم !
إلى أي طرف للأرض؟
إلى قطيع غريب!
إلى أين أذهب؟
أوه، أنا الفارس المترجل -
موتٌ بدون حصان في السهوب !

اذهب إلى حيث الشمس لا تذهب،
وبضمير اجلدْ نفسَكَ
بالسوط !
القانون يقول
لمن يسرق حصاناً :
الموت !
المو - و - ت !
لماذا اخترتني ؟!

سحابةُ ورقٍ قطنية
في السماء الكتّانيّة

جميع الأغصان مجنِّحة،
مستعدة للتحليق إلى السماء.
أعشاب الربيع تشعوذ فوق النبيذ الفتِيِّ
للندى الرنّان
مع أغنيتها غير المسبوقة.
الوديان الزغبية، مثل أغطيةٍ بالألوان
على الحرف في زخرفة طَرْفاءٍ شعثاء،
مُداعِبَةً، مُقَبِّلةً ومُتَلَطِّفةً، جماعات الطيور
تنظر، عائدةً إلى الوطن
من تجوالٍ بعيد.

وضرعُ الأرض يمتلئُ بالحليب،
والشمس بودٍّ تنظر ـ
ثورٌ صغيرٌ صغيرُ القرون،
الحياة يحتفل بها الجميع ـ
على الأرض اصطفت في صف
أعماقٌ، ووديانٌ، وطرقٌ، وقممٌ، وأغصانٌ.

للجميع، للجميع مذهلٌ هذا الربيع.
الرمال الصامتة، التائهة في الرمثِ(7) ،
بارتباكٍ وخجل تَحمرُّ في سعادة غامرة من النوم،
على الإطلاق غير شبيهة
برمال الشتاء في صحراء كاراكوم.

وفجأةً خلف تلة حدباءَ
وسط العلامات الأخرى
تندفع صرخة أخرى
من حنجرة البركة:
الناقة تتخبط،
وأُطلِقَ إلى النور
حوارٌ أزرقُ
أحدبُ، مثل التلة.

(7) رمث: أو الحمادة- جنس نباتي من الفصيلة القطيفية، ينتشر في غرب ووسط آسيا.

نور موقد الوطن

أيوجدُ من يمكن التنافس معه؟
أجيبيني، أيتها التلال !

تجيب: «أسرعوا» !
الشتاء ليس بعيداً.
ليست المرة الأولى التي نبقى فيها.
الريح سعيدة فقط بالمحاولة ـ
«تُفَجِّرُ عقول المسافرين».

الريح أيضاً تجيب:

«أنا لا أركض في الليل» ـ
هنا المشاغل كثيرة:
نجوم مليارات الشموع
تضيءُ كل مساء...
أهبُّ، ببساطة أُقلِّص فمي.
السهوب منها ستأخذ النار...
والنجم عليها يضحك،
بشعلة زرقاء تحترق
ومعي تقول:

«نحن في الفضاء اللامتناهي ـ
مجوهرات
لا نمزح مع النار
نلمع، لكننا لا نشتعل،
في الليلِ لا نغلق أعيننا...
قرناً في أرق نعيش.

لا نشبه السهل ... »

هنا السهلُ كوَّم الطين،
مثل أسد يرفع لِبْدَتَه

يقول لي: « فكّر!

استدعِ النجم للإجابة -
كل شيءَ هنا يخضع للشاعر.

من الذي تحتاجه أكثر على الطريق ؟»

أقول: «الشعراء يدورون
ويتهادون من بعيد.
أكثر شيء نحتاجه على الطريق

نور موقد الوطن».

وانشقت التلال، وانتصبِ
سرابٌ أحمرُ بلّوراً شفافاً.
حفظتني ذاكرتي من خلطِ
النجوم والسهول، التلال والرياح.
لو استطاعت فقط إخراج أرجلها الرقيقة -
ها هو المنزل القديم يظهر.

صوت الْجَدّة، لم يَمسّه فسادٌ،

تُسمعُ: «لا تُبَرِّدوا الموقد !»
خدم ثلاثة أجيال -
نحن تغيبنا، في حين هو لم يَخْبُ.

الفحم يسخن تحت الرماد الأشعث،
تدوي في البوقِ دوامة السهوب، شيطانية،
سوف يُفتح الباب بقوة، ويقتحم البرد،
ثم - الجارات، عند كل واحدةٍ قِدرٌ.

لم يحدث أن كان الشتاء منذ ذلك الحين أشد وحشية،
دون أن تترك الملقط من يدها،
كما لو أننا مرتبطون بقرابة وثيقة مع بروميثيوس،
توزع الأم الفحم على القدور.

حتى نيران الكون اللامتناهي،
لا تقهر شذرات النار،
المأخوذة على الطريق من الجوهر الخالد،
ولا تحوّلني بعيداً عن منزلي.

اليورتا

كما لو أني رجعتُ إلى عصور أخرى،
كما لو لم أكن هنا من قبل،
في قلبي لن أهدّئ ولا بأي شكل الانهيار.
الشمس تنظر إليَّ من السقف.

هنا، ما زلت أذكر، قمَّطوني.
اعتقدتُ أنها رائحة القماط...
بذلك العطر العالمُ كله مليء...
هذا الشِّيح يطرد الحزن.

المِظلة سأرميها من الأعلى من أجل ذلك.
الهواء العلاجي لصبغة الشِّيح،
بروح حجرية، حجرية وثابتة،
الرئتان ممتلئتان، أخرجه.
من هو الذي قَيّد هنا الحصان ؟
حصانٌ حقيقي، كما لو كان من صورة.
كل تجويف هنا وبستان
معروفةٌ لي من القمة إلى القاع.

الحصان بفارغ الصبر مع ارتعاش في ساقيه...
في لحظة سأجوب هذه المنطقة كطيرٍ،
ومقدَّرٌ، حقاً هنا أن أقتل ـ
شرفٌ أكثر من أن أحتضن الخوف.

«لنا؟» ـ سأل التدفقُ الريحَ،
أضلاعٌ من خشب، لِبّادٌ على السطح،
كل أنصاف الكرة، التي تتحرك، وتتنفس،
بقبّعة اليورتا يغطى الرأس.



أوغلاندي (8)

عن جبل أوغلاندي سمعتُ منذ الطفولة،
عندما عشتُ في الجوار تقريباً،
لكن الطفولة مع المراهقة طارتا بعيداً،
وها أنا أتيت إلى هنا ليلاً
قبل الشتاء، أفتش عن زاوية،
قريبةٍ إلى الجبل، حيث الآثار القديمة تآكلت.

تحت العين الساهرة للنجوم الصارمة،
مبتلعةً كتلة الدموع المالِحة المُرّة،
سرتُ إلى القمة تحت رعايةِ بيكيت،
وحتى الآن لم أكن مشغولة للغاية:
قاطعتني صيحةُ صوتٍ غريب
حتى مرَّ الصيف.

وراء الممر ممرٌ جديد
خفيٌّ ظهر من بعيد.
هكذا يُخَصُّ الفَتِيُّ وحده بالمخاطرة.
تجولتُ أنا، متعثرة ومنزلقةً،
وتذكَّرتُ أنه لا يمكنك أن تستدير
مَنْ تراجَعَ، ينبتُ بدون ضوء.

(8) أوغلاندي: وفقاً للأسطورة الكازاخية، على جبل أوغلانيد يقع قبر القديس بيكيت.

بدا أن الليل لن يمنح الفرصة أبداً
بقرارٍ من يوم القيامة
عذبَّتني الذاكرة أو الضمير.
سار إلى جانبي مائة حاج آخر
غير مدرجين بين الأحياء،
وكل واحدٍ منهم حمل قصةً ممزقة.

من أرجاء الأرض المعذبة كافة
جاءوا إلى هنا للنوم إلى الأبد؛
أنا - مع البَرَكةِ للمبيت.
سأعود... أسدد الديون، وأنهي الطريق،
وسأعيش بكرامة... وليس كيفما كان
والتحدث حتى الرحيل.

بيكيت، أنا فقط أطلب الشجاعة !
أنا لم أَنْحَنِ أبداً للقَرْس -
لنجمة واحدة، وها هي سقطت.
أطوف بين الأضواء الميتة
أوه، ساعدني لأخرج من الرمال !
أوه، ساعدني لأن أبدأ اليوم من جديد !



الأشعار لا تَهرم -
يهرمُ الشعراء

الأشعار لا تهرم - يهرم الشعراء،
وهل يندم الشعراء على ذلك؟
من قفص التجاعيد، مثل حلم ذهبي،
طيرُ نار الحب الأبدي يطير.

أوه، الشباب الأبدي في حوزة البرد -
ثلجٌ على الأصداغ، والأرواحُ ساخنة،
كما كان من قبل، كما هو الحال في العشرين، قادرة على التوهج.
الشعراء لا يجيدون الكِبر بأرواحهم.

وهكذا يحدث في بعض الأحيان
لفتىً أشيبٍ بروح فتية.
الساعات انهارت، وتفكَّكت مثل قماش.
ما تم قياسه، بهدوء أظلم:
بدا أن الفضاء من القفزة يتجعد،
لكن الشيخوخة دخلت إلى متاهتها الماكرة.

وبعد أن شدَّت بعقدة الحداثةَ والقِدم،
ظهرت، الغيرة البغيضة للأرق،
ونفق الموت تحت هاوية كل السنين
فُجِّر بالأغاني - وأصبح الشاعر خالداً.

مختار شاخانوف

(ولُد عام 1942)



- شاعر كازاخي شهير وشخصية عامة، تخرج عام 1969 في المعهد التربوي بمدينة شيمكينت، وبدأ مسيرته المهنية محررًا بجريدة «كازاخستان الجنوبية»، ثم عمل بمناصب قيادية في العديد من الصحف الوطنية الدورية بمجالي الإذاعة والتليفزيون.
- خلال الفترة 1993- 2004 عمل سفيرًا فوق العادة ومفوضًا لجمهورية كازاخستان لدى جمهورية قيرغزستان. ثم عضوًا بمجلس برلمان كازاخستان في الفترة 2004 – 2007.
- نشرت أول قصيدة له عام 1959 بعنوان «سرداريا». ثم صدرت بقية دواوينه الشعرية مثل: «السعادة» عام 1968، «القمر الشاب» عام 1970، «نسور في السماء» عام 1974، «مملكة الثقة» عام 1979، «حماية الحب» عام 1982، «التخبط في القرون» عام 1988، «زجزاج الحضارات» عام 1997، «الكازاخ الجدد» عام 2001 وغيرها.
- من أشهر قصائده «تاناكوز» عام 1970، «سيحون- داريا» عام 1974 وهما مكرستان لسنوات الشباب. وقصيدة «البحث عن الجذور» عام 1975، «مملكة الثقة» عام 1977 وغيرها من الأعمال التي أحبها القراء.
- كان الاعتراف بنشاطه الاجتماعي مرتبطًا بأحداث أكتوبر عام 1986. كما شارك بشكل مباشر في الترويج لمبادرات الاحتفال بعيد «النوروز» في كازاخستان ابتداءً من عام 1988، وكذلك في تنظيم أعمال جمعية «اللغة الكازاخية».
- ترجمت أعماله إلى أربعين لغة أجنبية. وقد نشرت العديد من أعماله في كتاب المقالات الذي أصدره بالتعاون مع جنكيز أيتاماتوف تحت عنوان «بكاء الصياد على حافة الهاوية»، ودراما «ليلة إحياء ذكرى سقراط»، ودراما «سر جنكيز خان» والتي عرضت على مسارح العديد من الدول وتحولت إلى فيلم من جزءين تم عرضه في استوديو أفلام دوفجينكو السينمائي بأوكرانيا.
- ألف العديد من الأعمال الأخرى مثل: «مأساة بحر الآرال»، «العودة إلى الوطن»، «تعليمات دجيكيتو»، «أغنية عن أبي»، «الحلم الخفي»، «وعدت أن تعود»، أغنية الشباب»، «أغفر لك»، «حبي الأول». وقد ارتقت هذه الأعمال بالشعر الكازاخي إلى آفاق جديدة وانتشرت على نطاق واسع بين القراء.
- حصل على لقب فنان شعب كازاخستان عام 1996، وفنان شعب قيرغزستان عام 1999، وحصل على جائزة اتحاد شبيبة كازاخستان عام 1972، وجائزة لينين من اتحاد الشباب الشيوعي عام 1982.
- عضو نادي اليونسكو، حاصل أيضًا على وسام الاستحقاق في العالم التركي عام 1999.

الأمهاتُ الأربع

احمِ مصيرك من مرض فقدان الوعي
- فلدى الإنسان في الطريق الطويلة والصعبة،
بالإضافة إلى الأم التي ولُدته،
هناك أربع أمهات، مثل أربعة أجنحة:
الأرض الأم-جوهرنا وحجر الأساس،
واللغة الأم، التي وصلت إلينا من الآباء،
ثروة الروح والأعراف - الأثر الطيب،
المتوهج لنا عبر ظلمة الأجيال والأعوام،
تاريخ الوطن - مهما كان
مريراً وحزيناً، مؤلماً وصعباً...
لا يوجد مساوٍ لتلك الأمهات المقدسة الأربع:
بدونها، رأسك متشردٌ.
من هو غير قادر على فهم عظمة الأمهات الأربع،
من لم يحب، لم يحفظ أمه العزيزة!
الريح الفاقدة الوعي تبدد الرماد الفاقد الوعي
والشخص الذي نسي أمهاته الأربع.
الشعب الذي لم يتمكن من حماية مقدساته الأربعة
لن يتمكن من أن يشعر بسعادة القدر أبداً.
الأمهات الأربع -مثل مصير الأعزاء:
إذا كان العيش فقط من أجلها
والموت فقط في سبيلها !...

معجزات نمور الهيمالايا،
أو قصيدة عن الصمود الإنساني

رهيبٌ الاعتراف:
تقريباً كل واحدٍ منا
ينبغي أن يخاف
أولاً وقبل كل شيء
من نفسه ...

أذكر
منذ بضع سنوات مضت،
بينما كنت في الهيمالايا،
التقيت بصائد نمورٍ شجاع.

... ها أنت ذا تسير
على سفح الجبل،
في غابةِ أشجارٍ كثيفة،
وفجأة، بشكل غير متوقع
في طريقك
من العدم –
نمرٌ مخططٌ
بعيون مفترسة رهيبة.
ما الذي ستقوم به ؟
سألني هو.
أنا في حيرة
هززتُ كتفي.
ـ الشيء المهم، ـ

تابعَ هو،
قف بشكل معتدل
وانظر
مباشرة في عينيه،
وبأي حال من الأحوال
لا تَنْحَنِ
في هذا وحدَهُ –
خلاصك!
وإذا انحنيت،
بشكل مماثل
لحيوان بأربع أرجل
فهذه النهاية –
أنت ضعت.
هو على الفور
في قفزة قوية،
مثل نابضٍ مفتوح
ينقضُّ عليك ...
والعلماء في حيرة:
لماذا يكره النمر
عندما يصبح الإنسان
شبيهاً
بالحيوان؟

يبدو لي
الله نفسه
يُلهم النمر
أن يتّبع مبادئ صارمة
فيما يتعلق بالإنسان.
وبهذا الشكل سبحانه،

ربما، يُحذّر
الجنس البشري
من مخاطر فقدان
العمود الصلب
للثبات الأخلاقي...
في ألماتي،
مدينة شبابي،
زوجة رجل أعمال كبير
من الدوائر العلمانية،
مستعرضةً بغرور
معطفاً ذهبيًّا لها من الفراء
ادّعت بفخر
أنها ترتدي
النمر الأخير
لجبال الهيمالايا.

لا أريد ولا بأي شكل
أن أصدّق كلماتها.
جبال الهيمالايا كبيرة،
متعددة الوجوه،
وحكيمة بغموض.
هناك يجب أن تبقى
النمور.



أغنيةٌ عن أَلَمٍ مُشْرقٍ

الشاعر يستاي الذي ابتكر أغن ية «خورلان» المحببة للناس، في عمر الـ 72 بعد أن استشعر دنوّ أجله، استدعى صديقه المخلص نورليبيك. لدى نورليبيك الذي رماه الحصان، كانت ساقاه مكسورتين، ولكن، عند سماع دعوة الصديق، اهتز في العربة لمدة يومين، مسرعاً إلى يستاي. رفع يده المرتعشة على الإصبع التي كان يلمع عليها خاتمٌ ذهبيٌ ممحوٌ من الزمن، قال الشاعر: «أقنع كبار السن لكي يبقوا على إصبعي الخاتم الذي أهدتني إياه خورلان. أنا لم أفارقه منذ 51 عاماً ... ليبقَ معي حتى بعد موتي ...»، ثم بكى: «أوه، يا حبيبتي، كيف تمكنتِ من أن تضعي مشاعرك العظيمة في خاتمٍ صغيرٍ!»

ذات مرة جاءت إليَّ امرأةٌ لديها مصيبة.
تدفق كلامُها مريراً وحاراً:
«ماذا عليَّ أن أفعل مع حاملة دمي،
مع ابنتي الحبيبة، إنها تذوب كالشمعة؟
طوال حياتها كانت تُبْحِرُ شراعاً غير مرئيٍ،
مصائرها وآمالها وأحلامها،
وعندما التقت بالحبيب،
لم يجد الجمالَ المطلوب.
لقد ترعرعتْ بهدوءٍ،
مشرقةً بعقلها و –روحها طيبة،
وسط صديقاتها كانت أعجوبة
مثل لون الربيع، نقيةً وجميلةً.
لكنَّ الفرح مع الحزن طائران قريبان،
في روحي مسكنهما الضيق.
وكان لا بد للمصيبة أن تحدث –
الحب جرحها في وقت مبكر جداً!
حتى هذه الأيام لم نكن نعرف الأحزان،
وذلك الجرح يجثم على قلبي.
الآن أنا حارسةُ الألم والحزن،

قَمَرُ الأمَلِ فوق بيتنا لم يطلُعْ.
ثلاث سنوات... هي للألم فترة لا نهاية لها،
لا يُقاسُ الفرح بسلسلة السنين.
فنانٌ، سعيدٌ وعابثٌ،
في روحها -موسيقى، وضوء.
وحقيقةُ أنه متزوج، ولُديه ستة أطفال،
للأسف، لم تكن مقبولة إلا لي.
سنةً بعد سنة أتعذب وأبكي.
هي تصر على أنها سعيدة للغاية.
أيَّ فرسانٍ، هل سيمكنني أن أشرح،
رفضَتْهم ابنتي بابتسامة على شفتيها،
هي... مثل ظبية بريئة
تفتّش عن الخضرة في مروج محروقة ...
وأنا أؤكد لنفسي أن كل شيءٍ لا يزال ممكناً،
وأن الحياة والسعادة ستكون أمامها
لكنّ الروح حزينةٌ وقلقة،
عاصفة ثلجية حولي، عاصفة ثلجية في صدري.
أما بالنسبة لها -فلا يوجد محبوبٌ أكثر منه،
تبكي في الليل، حزينةً، كالقمر.
ولكنْ ما إن يُطلَّ الفجرُ
حتى تؤكد من جديد على أنها سعيدة.
روحها أرقُّ من زهرة الربيع ...
كيف يمكنني أن أنقذ بستاناً بالكاد أزهر؟
قدِّم لي نصيحةً بلغة شاعر،
قُل الكلمات التي يقولها القلب... »
وذهبت الأمُّ مليئةً بالحزن،
في مصيبتها هي مُحقّةٌ بطريقتها،

لا تزال كلماتها في الروح تدوي،
وذهبَتْ إلى العقل كلماتها عن الابنة،
أما أنا، ففكَّرتُ: القرونُ خلفي،
ولكن كم من الأرواح يسمو بها القدر!
الحياة لا تَذكِّر، ونحن لم نلاحظ
أن هذه القمم مشغولةٌ بنفسها.
وحدَهم الشعراءُ غنَّوْا عن أحبائهم،
لم ينس الناسُ أسماءهم،
أشعارُ يستاي دفَّأَتْ روحي
تَذكَّرها كلُّ من أحبَّ بصدق.
يستاي الذي عذَّبه المرض،
عندما سمعَ الموتَ من خلال حفيف أوراق الشجر،
استدعى إلى نفسه صديقه الوحيد،
هكذا قال، وفقاً للشائعات:
«يا نورليبيك، كم من الأعوام ونحن معاً
عبر الأيام حلَّقنا في رِكابٍ واحدٍ.
لن أتنازل عن حياتي دون قتال،
لكن الموتَ قويٌّ، وأتنفس بصعوبةٍ.
وحدَكَ أنت، كما يجب، فهمتَ الشاعر،
لذا استمعْ إليه في اللحظة الأخيرة.
هنا، على حدود الظلام والضوء الأبدي،
تذكَّرْ، يا صديقي، أدركتُ الحقيقة:
الحياة هي أيامٌ يدفئها الحب،
وبدون الحب -روح الناس ميتة،
عن ذلك يعرف الشعراءُ «الأغبياء»
ويُترجمون الكلمات الحكيمة.
لغة النهر والجبال من الكلام العالي

معروفة لي – لقد تحدثت معها
نصف قرن أنا، نصف قرن من اللقاء الأول،
في أحد الأيام أحببت خورلاني.
وهذا يعني – أنِّي عشتُ. ولم أعش عبثاً
مع حُلمي بها نهضتُ ونمتُ،
طوال السنين كنتُ سعيداً في كل ساعة،
طوال السنين تعذَّبت في كل ساعة،
نسيتُ العالم، محترقاً بالحب،
لكن أَلَمِي رائعٌ وخفيفٌ.
على دموعي يَحسُدني العاشقُ
الذي للتو أزهر شَبابه.
حتى وإن كان القدَرُ عليَّ قاسياً،
فأيُّ ألَم أشَدُّ من ألَم الفراق؟
حتى ولو انفصلت الطرقُ، لكنني أكرر مرة أخرى –
لم أستطع أن أبقى على قيد الحياة، إلا من خلال التفكير بها.
خاتم خورلان نصف قرن يضيء لي،
معه صرَعْتُ كل عاصفة،
لنصف قرنٍ لم تُبعِد نظرَها
عن يدي، حيث شَعَّ نورُها.
عُرْفُ الأجداد، أستحق ذلك،
ليتراجع أمام رجائي –
ليذهبْ خاتم خورلان معي
في الطريق الطويل، إلى مسكن الظلال.
سأغادر سعيداً، كما كنت من قبل
وفي ساعة الموت مُشِعّاً بالحب،

كنت وَفيّاً لأملي الوحيد
أن تؤدي كل الدروب إلى خورلاني.
إنه ليس حُلماً ما يمكن في الحياة تحقيقه.
حُلمي هو للخلود شقيق.
خورلان معي، أحفظها ...
أغلقَ عينيه وزفرَ: « لقد حان الوقت ...»
عندما سمعَتْ خورلان عن هذا،
صرخَتْ: « يستاي أعرفه،
عاش ومات شاعراً حقيقياً -
أحبَ وغنَّى على حافة الموت».
قالت هذا، والمرأة العجوز تبكي،
والشال على كتفيها أضاءت، كما القمر
ولكن في تلك الكلمات عاشت قوة،
كتلك الممنوحة للحب وحده.
مرت سنوات ... و، متنازلاً للموت،
بعد أن سقط للحظة ألم الجحيم،
فجأةً طلبت من يستاي أن يغني أغنية
عن رقَّة نظرةِ عيون الأحبة.
وبالفعل -الرقَّة ومضت في العين،
همست وهي تتنفس بصعوبة:
« حُبِّي لا حدودَ له، مثل البحر ...»
أنا أُسرع إليك ...
وتجمدت... الروح...
نعم، لا يلامُ العشاق على الحب !
أن تكون مخلصاً للحب - يعادل المأثرة،

أكبر المصائب حب التعساء،
الذين حبهم غيرُ مُقدّرٍ على القلب.
يا أمي، أخبريني، لماذا نحتاج إلى مضاعفة الجروح،
وبدون ذلك هي كثيرة،
مِنْ أولئك الناسِ الثملين بالكراهية،
ولا يغفرون الرقَّة الحية.
ربما سيبدو الطريق غيْرَ أبديّ،
لكنّ نُورَ الحب لا يُمنح
إلا لمن هو بخاتم الحقيقة محددٌ،
ولمن يُصلّي للنور وحده.
أتوسل إليك
لا تَسْحق العشاق،
بدمعةٍ أو بكلمة مشاعر - لا تُدَمِّر،
الأجنحة الرقيقة للطامحين إلى السعادة،
ومقدَّسة هي حساسية أرواحهم.
تَمنَّ لهم الرقة والتوهج،
وأن يكون الزمن أقوى من المحن،
بحيث لا يباعد بينهم حتى الموت
أولئك الذين يعيش فيهم الحب الخالد.

دعوة إلى الشجاعة

(رداً على الجيغيت (١) الذي اعتبر نفسه تَعِساً)

أنت بكيتَ، أيها الجيغيت،
مستذكراً دروب الحرمان،
متمنياً الخير الذي نسيتَ أن تسدده.
أنت بكيتَ، أيها الجيغيت،
وأنت تُجلس أولادَك في حضنك،
على شبابٍ صاخبٍ،
لن تعيده.
أنت بكيتَ، أيها الجيغيت،
على أصدقاءَ قدَّموا الخيانة،
محصين الأخطاء،
مشتمين نجاحاً عابراً.
والجدران الشائكة الحادة،
مشاركةً بعيونها
في الإساءات،
أنت بكيتَ، أيها الجيغيت،
لكنِّي لم أوافق على بكائك!
أنا أعرف القدرَ،
الذي لم يكن بالنسبة لك بخيلاً.
أنا أذكرك
مستهزئاً بتعرج الدروب.
لكن مَنْ أصبحت،
لو أن الدموع تصادقت معك؟

(١) جيغيت: (باللغة الكازاخية) فارس، شابّ، فتىً.

وما الذي فوق جبينك:
قبعةٌ أم وشاحٌ نسائي؟
وإذا كانت قبعة،
أنت من جديد حَطِّمْها بشكل معروف،
أحاديث حزينة
امسح، كأنه وسَخٌ من وجهك.
وتذكّر الأبناء،
الذين ينظرون بدهشة وهدوء
إلى الدموع في العينين،
واليدين المترهلتين لأبيهم.
أنت بكيتَ، أيها الجيغيت،
ما الذي بقي من الكبرياء المشرِّفة؟
أين أصالتك،
التي تُلقي بالأعداء في الرجفة؟
هل يحتاج القلب الحار
إلى رفيقٍ –
الضعف؟
هل للحقل المزهر
قرصات الأعشاب مخيفة؟
ومَنْ قال لك،
إن كل فشلٍ تعاسةٌ؟
إنه في الطريق الصعب
لا يتعثر التولبار(2) أبداً؟
إن القميص الأبيض
لا يصبح متسخاً في الاحوال الجوية السيئة؟
إن أسنان الماعز
هي الموت للحورِ الهائج؟

(2) تولبار: حصانٌ مجنّحٌ (أو طائرٌ) في أساطير العديد من شعوب آسيا الوسطى.

من قال لك،
إن كل الناس طيبون وجميلون؟
إن الحقد منطفيء،
كبقايا حصادٍ قديم في الحقل؟
إن الحقيقة واحدة
كل الذين يعيشون على الأرض أحياءٌ،
الأمانة الساذجة
من الأكاذيب، كطفل، يحفظونها؟
هناك مهانٌ -
يعني، هناك من أهانَ أيضاً.
هناك ذليلٌ -
يعني، ليحيا من أذلَّه.
ارفع معنوياتك، أيها الجيغيت!
ليس من الصواب أن تبقى جانباً،
مكفهراً في استياءٍ،
مثل خنجر ملقىً في الماء.
على هذه الأرض
للجسورين الكثيرُ من العمل.
انسَ الدموع
واطرد الحزن من صدرك.
وهل مصيبةٌ
إنْ سبقك الحلم مرة أخرى ؟
الحلم لدى الجيغيت
لا يستطيع أن يقفز إلى الخلف !

وفق قانون العودة

(إلى أسانالي أشيموف)

... أُعلن لك من دون رسميات أنّي وقعتُ في حبك. أنا لم أشعر بمثل انجذابي إليك إلى أحد قط، حتى بدون استثناء أخي الشقيق، والله يعلم كيف تم ذلك...

(من رسالة فيودور دوستويفسكي إلى تشوكان فاليخانوف)

عزيزي فيدور، صديقي، أبعث إليك
نظرتي الأخيرة ونفسي.

تتحجَّرُ الثرثرة،
حيث الأَسْوَدُ والأبيضُ يتّحِدَان
في فوضى واحدة.
وشعبي الممزق بالكامل
سيحملني إلى ظلمة القبر.

حتى وإن سكب القوة سدىً،
يخاف شعبي من أني في القبر،
مع الأمل العام، سأذهب إلى الحساب.
لا يزال هناك من سيعيدنا!
عندما ستقرأ هذه السطور،
سيكون العشب قد رفع العصير...

حسابي ضخم للقوانين المؤقتة،
كالانهيارات الجليدية تندفع على طول المنحدر.
أنت كنتَ مصدر حبي.
لك، الأخير، روحي وخط يدي.
هناك أنهار في العالم – من بلد إلى بلد تنقل الثروة والزرقة.
من المستحيل كسر إرادتها الحرة، –
ضاع فيها أذكى الأمراء.
لترفدَ الحياة وتهز برأسها، متمسكة بطبعها الفخور،
العظماء منا مثل الأنهار.
من يمزح بسهولة مع رجل عظيم؟



نظرية التفاهم

الأسود من الحزن في هذه الغرفة بسيطٌ.
جاثمٌ، مُنْهَكٌ من الألم القديم،
هنا يموت ليو تولستوي.
وصلت الزوجة.
انحنت نحو الرأس.

« سامحني، سامحني!

أنا المذنبة »...
أما هو، فقد كان صامتاً.

فكَّرَ: «صديقي العزيز،
لا تبكِ
حزني لا يقل عن حزنك،
لا تذرف هذا الكم من الدموع،
أنا على حافة القبر.
فأنا أحببتك،
لكن كل شيء تحول إلى مصيبة.
كنتُ معذباً بصممك.
لم تستطيعي أن تدركي...
أنا أعلم، أن تكوني زوجة
تولستوي - صليبٌ ثقيل، ولكن الحمل الأثقل
الذي كان عليَّ حَمْلُه -
سوء فهمك.
فقد كان بمقدورك أن تفهمي، لكنك لم ترغبي في ذلك.
كانت لدينا حياة طويلة، ولكن ها هو الفراق.

أنا أسامحك، وسامحيني أنتِ... »
وأغلق عينيه، مائة شرٍّ مكتشف،
كم هو محزنٌ عندما لا تفهم زوجتك.

تولستوي لم يعد موجوداً

أوه، أيها العبقري الذي رحل،
كم كنتَ بائساً أنت،
يا أحكمَ الناس!
أين تجد الحنان،
الذي سيقبَلنا بتحيزٍ؟
مَنْ في الحرِّ يُنعشنا، وفي البرد يُؤوينا؟
ثلاثة أبعاد للحياة موجودة - الارتفاع،
العمق،
المدى.
عدم فهمها هو جوهر الظلام والصمم!
فمن الروح إلى الروح لا توجد مسارات ممهدة،
غير مفهوم - لا توجد لعنات وحشية!
الطريق من الروح إلى الروح يشبه المبارزة:
صعودٌ حادٌّ...
الطريق إلى دائرة الناس.
سوء الفهم، ماذا عنك؟
مصيبة السُّذّج؟
ولكن عدم الرغبة في الفهم ... إثمٌ ثقيل!
أوه، كم من أنصاف الطرق أعرف،
أوه، كم من الينابيع التي رواسب الطمي فيها إلى القاع!
سوء الفهم -خائنٌ وقاتلٌ،
جلاّدٌ يعذِّبُ وسط الظلام والصمم.
مَوْقِدُ جوردانو يتلوى وراءك،
ومحكمة غاليليو - أيضاً أنت.
اِنهار بيرجان - سال أنت بالوهقِ،

أظلم على أوغولبيك ضوء النجم.
باللعنة كنتَ دائماً ملوناً.
لا صفح عنك،
لا رحمة بك!
آباي ضرَبْتَه في وجهه بقفا يدك،
أويزوف بلغته في الوقت أيضاً:
لم تُزح الغَيْرةُ عنه عَيْنَيْها،
وها هو يلمسه الهمس:
« روايته لا تلمس على الإطلاق،
ولا تصل إلى الارتفاعات الحقيقية ».
ابتسم أويزوف لكن بمرارة:
الشعب **سيحكم**، و**سيفهم** الشعب.
فكان!
كان كذلك –
لن نغلق هذا الحساب!
أي عمًى هو أن تنظر ولا تعرف!
هل الذي لا يفهم هو بريءٌ؟
والجريمة هي عدم الرغبة في الفهم!
سوء الفهم – ضباب الأيام الباردة
يحجب الأفق، يطفئ الشمس نهاراً.
وهنا –
المواهب الشابة تذهب للقاء الناس.
طالما هو شابٌ،
وحيٌّ، نفهمه، نفهمه!...



الحاسة السابعة

وها أنتَ قد تزوجتَ
أنا سعيد من أجلك
لكن ليس وحدهم الناس،
بل حتى الذئاب مع السرحانات،
والقرود المضحكة،
يهربون من الشعور بالوحدة،
يربطون مصائرهم،
لكي يصبحوا
سنداً أميناً
لبعضهم البعض.
أن تتزوج، كما الآخرين،
وأن تنجب أطفالاً -
لهذا، لا يحتاج الأمر
إلى عقلٍ كبيرٍ.
المسألة برمتها في أنه:
بأي مظهرٍ
غداً عروسك
ستتجه نحوك.

الناس من الأزمان السحيقة
رغباتهم العابرة
الساخنة والعاصفة

يخلطون بينها وبين الحب
لأن مثل هذه الرغبة
ترشُّ الشرر أيضاً.

لكن ليس للجميع
مقدرٌ فهم
أن في عالمنا البشري الغافل
الحب هو القمة الأعلى
والتسلق إليها
هو فقط بمقدور محظوظين قليلين.
وربما، للأسف،
من بين عشرات الآلاف
اثنان فقط
يستطيعان التمسك
بالحافة الحادّة
لهذا العيد المثير الآسِر
عيد السعادة
عيد البهجة الأبدية
التي لا تكلّ.

التقارب الجسدي وحدهُ -
بدون تقارب الروح -
حزنٌ لا محدود.
لهذا السبب في العالم
الكثير من الناس الوحيدين،
يعانون من لا أجنحة

أنصافهم.

لديهم لا تحدث أبداً
إقلاعات فريدة من نوعها،
وأعياد غير مفسرة.
مجردون تماماً
من بهجة القدر هذه،
هم تعساءُ،
وعند ابتسامتهم في العيون
يمسحون في كثير من الأحيان خفية
دموعاً مريرة.

وعلى كلّ مفترق طرق
لدرب الحياة
دائماً يقابلك
سؤال عنيد:
هل أصبحت الزوجة
صديقاً حساساً
لروحك
صديقاً
لدوافعك الحميمية؟
هل تشعر هي
بأفراحك وعذاباتك،

بحاستها السابعة؟

إذا كان لا
فإن كل طموحاتك
مثل محاولات
إضرام نار الطموح
في يوم عاصف.
وهذا يعني،
أنك موجودٌ
بعيداً جداً
عن الهدف المصيري
بعيداً...
كم هو صعب المنال،
كم هو صعبٌ،
كم هو غامضٌ،
كم هو متعددُ الوجوه،
الحب
المحق على طريقته والانتقائي.



فلاديمير غونداريف

(1944 - 2012)



- وُلد عام 1944 بمقاطعة نوفوسيبيرسك، وعاش في كازاخستان من عام 1961 وحتى وفاته عام 2012.
- شاعر وكاتب نثر وكاتب سياسي ومترجم.
- عمل في الإذاعة بمدينة تسلينوغراد، ثم مستشارًا أدبيًا للقسم الإقليمي المركزي لاتحاد كتاب كازاخستان، ورئيسًا لتحرير مجلة الفنية والأدبية والاجتماعية والسياسية «نيفا»، الصحيفة الجمهورية «شارع العاصمة».
- عضو في اتحاد الصحفيين واتحاد كتاب كازاخستان وعضو مراسل بالأكاديمية الروسية للشعر.
- فاز بجائزة (بافيل فاسيلييف) الجمهورية الأدبية، وجائزة «ألتن كالام» من محافظة أستانا، وحصل على وسام بوشكين من روسيا. كما تم منحه وسام «الاحترام»، وشارة الشرف لإسهاماته في مجال الصداقة» من الوكالة الاتحادية لرابطة الدول المستقلة تحت إشراف وزارة الخارجية الروسية. كما حصل على العديد من الميداليات الأخرى.

- قام بتأليف العديد من الدواوين الشعرية مثل: «قريتي الخشبية»، «لوحة الشتاء»، «النهر المضيء»، «قطرة في البحر»، «استمرار الحياة»، «أعيش على كوكب الحب»، «الروح تتطلع إلى السماوات»، «غصن البرق»، «اعتراف القلب».
- ألف كتبًا فنية ووثائقية مثل: «الحياة على الأرض الساطعة»، «رعاية الأرض»، «قلوبنا مكتوبة هنا»، «في قلب وذاكرة الأجيال» وغيرها. وبين المغنيين هناك الكثير من الأغانى الشهيرة مثل «قريتي»، «أنيري، يا مدينتي أستانا» التي تم تأليفها من أشعاره.
- حب الوطن الأم، والانغماس في أسراره، ووحدة الدم مع أرض الوطن تجعل شعره الغنائي شبيهًا لشعر يسينين.
- تأليف سيناريوهات للأفلام الوثائقية، وأفلام تليفزيونية، وأعمال في أدب السفر، وقصائد للعروض المسرحية.
- من بين أكثر أعماله المثيرة للاهتمام شعر «الألحان الكورية واليابانية». فلم يقم الشاعر بنسخ السيدجو، والهوكو والهانسي، وهي من أنواع الشعر الغنائي الكوري، محاولًا أن يبنى صيغته الشعرية الخاصة .
- ترجمت أعماله إلى اللغات الكازاخية والأوكرانية والألمانية والسلوفاكية والفرنسية والإسبانية والبرتغالية والكورية.
- ترجم إلى الروسية أشعار كاجيبايف، وأورازوف، وأسيلبيكوف، وخاسينوف، وبيكبوسين، وشياخميت وشايميردينوف.
- ترجم من اللغة التركمانية أشعار كوربانوف، ومن اللغة الأوكرانية أشعار رومانشكو وسيمونينكو. ونشرت أعماله في العديد من المجلات والدواوين الشعرية المجمعة.

حان وقت الحب

حان وقت الحب!...
أتسمعون، لقد حان الوقت!
أيها الشعراء، ابتعدوا عن القلم،
أزيحوا نظركم عن أوراقكم:
يحلّ المساء - مشعوذٌ وساحرٌ.
اسمحوا للريح بالدخول،
افتحوا النافذة،
اشعروا بالخيط الحي
للحب، الذي تفتشون عنه عبثاً في أنفسكم،
إنه في جميع الأنحاء، هو في كامل قدر
الأزهار،
الطبيعة،
المرأة،
الأرض -
في كل شيء يعيش شعور الحب:
في غصن القَيْقَب، رقيقٌ مِثْل يَدٍ،
وفي الحرِّ البارد للنبعِ،
في رعشة عيونٍ تنظر إليك،
العالم كله في انتظار التحطيم،
في السرِّ غير المعلن لصبيٍّ
يصطاد لحبيبته الغيوم.
ألوان الجمال المتلألئة
مليئة بالحب
وباللذعِ الحار،
فيها رقَّة ريشة بجعة ...
حان وقت الحب
(ما دام ممكناً...حان الوقت).



زهرةُ الثلج

شموعٌ جليدية –مثل نتوءات فضية –
ترنُّ وتَخزُّ الصمتَ بصوت عالٍ.
فغرت أفواهها، ودفعت الستائر،
تحدِّق النوافذ مستمعةً إلى الربيع.
وفي الأعالي –اندفاعٌ أبيض مُبهِجٌ،
تَهذر الغربان الصاخبة.
والشمس تمرَّدت وتضحك،
ساحبةً كالأوتارِ أشعتها.
خاصرة الربيع تحت الشمس تَهتزُّ في دلال،
وتُؤرْجِحُ الرياحُ أبريلَ في السهوب.
وها هي زهرة الثلج الرقيقة المتجمدة،
نشوانةً، تشرب قطرة ثرثارة.
ولن تسقط قريباً لتتدفأ
زهرة الثلج في دخان منتصف النهار.
لكنها بقلبها النقي صدَّقت الربيع –
وأنا أحسدها قليلاً.

تعبٌ

تعبٌ –
من السعادة المصطنعةِ.
تعبٌ –
من فائضِ القوى الزائفة.
تعبَ رأسُ الأرض من التأرجحِ
على الرقبةِ الرفيعة
لمحورِها.
تعبَ البنفسجُ الساذج
من النظر إلى العالم
بشكل طفولي بنظرة زرقاء.
تعبت الديوك منَ القيام بالإيقاظِ،
تعبت الكلاب من النباح بصوت أجشّ منَ أوجِرَتها،
تعبَ الغروبُ
من الاحتراق بموقدٍ في روحه.
تَعِبَت القطرةُ منَ حفرِ
صلابة الحجر.
تعبت النجومُ من تحويل عيونها
إلينا.
تَعِبَت الأيدي
من التحدث بالأيدي
تعب من الترحيب
بي أهلي ...
كل هذا لأنكِ تعبتِ أنتِ
من حبي ...

زنبقُ الوادي الأسودُ

لماذا لا تنسجم معي
يا زنبق الوادي الأسود الناعم والهش؟!
لماذا تمرُّ دون أن تلاحظ
عالمي الذكوري؟
كيف فتنتني!
المنازلة خطيرة بالنسبة لي،
ها هو الربيع سيسترخي...
وليكن.
كل شيء بالنسبة لي سيان.
بيدك أنت تُمسد آخرَ،
يا زنبق الوادي الأسود،
يا زنبق الوادي الأسود،
تجوب في القرب رياح أيار،
مدركةً كل شيء في العالم.
وحدَها علاقتنا
لا تستطيع ولا بأي شكلٍ أن تفهمها.
أيتها الرياح، أيتها الرياح، -
زنبق الوادي ذو العنق الأبيض هو الأثمن لي.
... لماذا لا تنسجم معي
يا زنبق الوادي الأسود،
يا زنبق الوادي الأسود؟

بـــاخ

حتى وإن لم يكن تحت السترة البالية
قميصٌ جديدٌ،
لكن الابتسامة الفخورة ستجمد
على الشفاه المنتفخة.
نعم، لا ثروة ولا نقود
لدى عازف الأرغن باخ،
ولكن من هو أعظم هنا
من باخ الأسمر؟!
في جيوبه الفارغة لا ترن إلا
نوتة ضائعة.
آهٍ، ها هي، أعطني إياها،
أعطني إياها!
لتخترق، هي السامية إلى الذروة،
شخصاً ما
هكذا، بحيث تسقطون جميعكم على الأرض
أمام الملاك، أيها السادة!
– ومن هو الملاكُ هنا؟
أليس باخ نفسه؟
هو العائلةَ الفقيرةَ
قادرٌ على إطعامها بالموسيقى
ولكن ليس بالخبز اليومي.
لكنْ – يَدْوي!
وكيف يَدْوي!
القدَّاس الاحتفالي.
تهمس الجوقة القوطية

تحت السماء الصامتة...
أوه، كم هي غاضبةٌ روحُ
يوهان المريض،
النوتات، مثل طيور إلى التحليقِ،
على عجَلٍ يطلقها.
هو لا يبتعد لا ليلاً ولا نهاراً
عن أُرغُنّه،
في الحولِ شتاءٌ رطبٌ،
وهو كالشمعة يذوب.
... أنا عند النصب هنا
سأقف بهدوء...
ونجوم ليل ليبسيك
تبعثرها عاصفة ثلجية بطيئة.
وعند المكتب جاثماً،
تقريباً على الحافة،
باخ المتعبُ والسعيدُ
ينهي تأليف الفوغا.



سأقتحم ذاكرتك ...

سأقتحم ذاكرتك،
سأقتحم ذاكرتك،
أنا المجنونُ وغير المدعو،
لا العزيز، ولا المحبوب،
لكي أغرق في الغموض
بعد ذلك، كالعادة،
وأحمل معي
مرارة شفتيك المريرتين.
وعلى الأعشاب المُسكِرة
الزرقاء اللينة
أود أن أستلقي
وأنام بشكل صبياني.
أرغب في أن أتشرب
ملاطفةَ الشروق غير المسبوق
للعينين المفتوحتين
لجوهر ينبوعك.
وعندها لن تبدو الأرض
لي ضيقة.
أنا، المشوشُ،
أقول لك الآن:
اهدي، اهدي
أغنية البجع،
لطائر الكركي
المُحرج لي ...

مُدوَّنةُ الشتاء

وقائع الصيف العابرة
من جديد أنهتها الطبيعة.
وفُتحَ في شفافية الضوء
العرضُ،
العمقُ
الارتفاعُ.
في الغضب المشرق للضوء ذات مرة
تتعرى الروح بقدسية.
والتعطُّش المحبوب للعمل
من جديدٍ وصل إلى أطراف الأصابع.
وهذا يعني - نجا
النقاءُ والحبُ لديَّ.
تبدأ، مثل الشفاء،
في العالم مدونة الشتاء- سعادتي.
فقط ما هو طيبٌ في الماضي نتذكره،
والمستقبل جلاءٌ واضحٌ.
وفي الصدر بعد التساقط الأول للثلوج
بياضٌ نقيٌّ.
أود أن تملأ نضارةُ الثلج
أحلامَنا وشؤوننا،
بحيث لا تضيع الرقَّةُ سدىً،
بحيث لا تُمحى.
بحيث تستطيع أن تلامس الروح المصلوبة
أيدي عاصفة ثلجية لينة.
متعة الثلج الأبيض الأول
تُكَرَّسُ لها مشاعري.
... مدونة الشتاء المُلهمة في كل مكان
تتردد بلطف في الصدر.
الإحساس بالمعجزة البيضاء،
لا تُمَرّرْهُ بقلبكَ، من فضلك، مرور الكرام.

الرسَّام

أنتَ، أيها الوحيد،
اختبأتَ في زاوية،
في كآبةِ باب بارد.
خذ أيها الرسَّام، فحماً أسود
و - ثلجاً أبيض أبدعْ به!
ارسمْ وجهَ عذراء،
لم يعرف الدموع المريرة، -
وسيغدو هذا البيت أكثر دفئاً،
والروح -سينعشها البرد.
دع البعوضات تطير إلى النور،
وهل ستُلاحظها؟
ومرة أخرى الرسَّامُ مليءٌ بالقدرة
ومليءٌ بضَعْفه.



والطريق مثل شريطٍ

والطريق مثل شريطٍ،
يعانق الحقل.
ها هو الصيف يتلاشى،
مثل بلوزتك.
فوق البُعد المنصرف -
بريقٌ مصفرٌّ.
رائحة اللوز المرة
تنضحها لنا الغابة.
الشمس - ميدالية قاتمة
على قميص السماء.
الوقت يذوب
في اللازورد الجاف.
تذبل ظلال الشجر
على أكمامك.
وحزن الذبول
كم هو حادٌّ،
كما لو أنني أحترق
على جمر مَوْقد،
ودُخاناً أرتفعُ،
أرتفعُ... أ...ر...تفعُ...

الغروب

يا غروبي...
قبل حلول الليل الأبدي،
بلهب الحزن القرمزي،
ماذا تتنبأ لي، أيها الحزين؟
أليس ما أعرفه أنا عن نفسي؟
إلى دعوة ما وراء الغيوم
تندفع روحي إلى السماء،
ممتصةً الحزن الدنيوي في نفسها.
تكفهرُّ معالم الحقول،
كي تندمج بسرعة مع الشفق، –
هكذا تذوب في ذاكرتي
كلمات، وأحداث، ولقاءاتٌ، ووجوهٌ.
يؤسفني: أني في الماضي
لا أستطيع إصلاح أي شيء.
ولأن الذاكرة في صدري
تؤلم، وتنزف، وتبكي.
مرَّت حياتي كلها في خير وشرٍّ،
سعيت إلى الأفضل، لكّني
كنتُ –ولم أكن على الأرض،
في الماضي لا يوجد شيء لألخصه،
أو لأغيره، أو لأشطبه.
في الروح ارتباكٌ وقلقٌ.
الحبُ أنار طريقي،
ولكن هل جلبتُ أنا الضوء لأحد؟
كل ما مضى حصل في يوم،
فقط في يوم واحد حصل القَدر.
وخفيةً توَّزيع الضوء والظل
تحوَّل إلى ظلام دامس.
ولكن حتى لو أني عشتُ دونً جدوى،
وليس حسب وصايا الله، –
يا غروبي
لا تتلاشَ أكثر...

رقَّة

لانهايةٌ
اتساعٌ،
نُصوعٌ...
في وئام معي تتنهد الحقول.
وهلْ تعرف أنت أي رقَّة
يمكن أن تكون لدى مَن هم مثلي؟
في لحظة نادرة تنفتح الصَدَفَةُ،
الغلاف يطير بعيداً،
وتذوب في الأصابع الكئيبةِ
رقَّةٌ،
ناريةٌ، مثل الليل.
وتحلّقُ العصا الزائدة
تهدأ، قلقةً، الأعوام
وتتدفق من العيون المائلة
رقَّةٌ،
دافئةٌ، مثل النجم.
ومن ضبط النفس الأحمق
صُنْ أنت قلبي.
مثل غُبيراء(1) تحمرُّ الشفاه،
تُسكبُ الرقّةُ عصيراً.
لانهاية
كحتمية
انعكست في مصيرك.
لتلمسك للحظة
رقَّتي البارعة.

(1) شجرة معروفة، سميت غُبَيْراء للون وَرَقِها وثمرتها إذا بدت ثم تحمر حُمْرة شديدة (لسان العرب: غبر).

الصباح الأبيض

يندمج مع السماء البيضاء.
الصباح والسماء
لا يمتلكان حدوداً على الإطلاق...
وفي مكان ما في السهوب،
أو بالأحرى،
وراء السهوب
فوق الغابة
فجأة وبمرارة
بدأت الطيور الكبيرة في البكاء.
تدفق البكاءُ
سويةً مع الضوء الساطع
حتى في النسيج الشمسي –
خيط الفراق مجدولٌ.
إلى الحقول ذهبتُ أنا،
إلى مناطق ما بعد النهر،
لكن خلفي
تدفق وجرى
في آب هذا البكاء.
كيف تبكي
منتحبةً هذه الطيور! –
مثل الأطفال الصغار،
مستشعرةً الخريف،

مستشعرةً ثقل الرحيل.
الأشجار صامتةٌ،
مرتديةٌ أثوابها المهلهلة،
وتتساقط أوراقها،
فاقدةً تذهيبها...
أنا بإحساسي
ممتلئٌ حتى العمق بشكلٍ لا مفر منه.
أقبِّلُ الراحات
والأيادي البيضاء.
... أخشى أن تبكي
فوق منتصف النهار الساطع
ليس طيور أحدٍ ما
وإنما
طيور فراقنا الغريبة.



الثانيةَ عشرةَ إلا خمس دقائق

لا حاجة لمطاردة المستقبل
والاندفاع إلى الأمام قدُماً:
أصبحَت الثانية عشرة إلا خمس دقائق
والهاوية وراء الزاوية الأولى.

فمع القدر لا تعترض،
عبثاً أمامه الصلوات:
لحظة -والعقارب تنطبق،
على وجه الساعة المصير.

ولكن بروح التقاليد الأبدية
وفي نكران الذات المقدَّس
يوماً بعد يوم من الضروري العمل -
وعدم تأجيل الحياة إلى وقت لاحق.

وإضاعة الوقت بلا قيمة،
الخمول والكسل عيبٌ.
لو أن إنجاز أكثر مما تستطيع،
تجيده في الوقت المخصص.

والاعتراف بالحب في النهاية
دون أن تشيخ بروحك وإلى الأمام،
ما دام الوقت الثانية عشرة إلا خمس،
ويمكن القيام بالكثير.

إلى قُرَّائي

مهداة إلى زينيدا تشوماكوفا ...

في ذكرى اللقاء الإبداعي الرائع في متحف جيزكازغان التاريخي-الأثري

في 14 سبتمبر 2011

ربما كنتم قلّة، لكنكم موجودون.
شكراً على الشرف الممنوح، –
عندما تمكنتم من حفظ سطوري الساذجة
في قلوبكم.
فأنتم أقرباء روحي،
الذين لا يوجد أغلى منهم لديّ.
أخذت الكلمات من السماء والأرض،
من شباط، عندما كانت الثلوج ضحلة،
من أوراق البتولا الذهبية،
بصباح الندى للعشب المشذَّب،
عندما أبحرت رائحته العطرة
بطيئةً إلى غروب الشمس،
من حبوب القمح الناضجة
التي بلونها الناعم تضيءُ السهوب،
من النبع المختبئ في الدغلِ،
من أذن الفأر(2) والتوت.
وحتى في أيام الأسبوع المملة – وفرة
القادم حاولت أن أخمنها.
معكم في الأحزان حزنتُ،

(2) أذن الفأر: جنس نباتي ينتمي إلى الفصيلة الحمحمية من طائفة ثنائيات الفلقة.

تغلّبتُ على المرور الخطر،
غضبتُ عندما سلبكم البيروقراطي المراوغ
كل ما تملكون.
وسعدتُ بكل تفصيلٍ
عندما سَموتُمْ فوق أنفسكم،
وتمكنتم بالابتسامة من إسعاد الآخرين -
ليس قلب الأغلى.
فيَّ جُسَيْمٌ من كل واحد منكم،
أنا أعيشُ مبتهجاً ومختنقاً،
لأن بيننا رابطة خجولة، -
ففي سطور الحب الحميمية
فضحتُ مشاعركم على أنها مشاعري،
والشرارات من ناركم
منذ أعوام عديدة تلهبني.
تعلَّمتُ منكم كل ما هو جميلٌ
وأصغيت إلى الإرشادات الطيبة.
ولكن لو تصرفتُ بشكل تعسفيٍ فجأة،
اغفروا لي علَّتي،
حدثَ أنني صدَّقتُ أصواتاً غير صحيحة، -
في ذلك وحدي أنا المذنب.
بلا تحفظٍ فتحتُ روحي،
بدونكم أنا أعمى، بلا إحساس، بلا جناح،
على أنكم استطعتم أن تعتبروني منكم،
شكراً لكم يا قرّائي!

آكوشتاب باكتيغيرييفا

(ولُدت عام ١٩٤٤)



- شاعرة كازاخية وشخصية عامة. تخرجت في كلية اللغات بالمعهد التربوي الكازاخي للمرأة عام 1966.
- صدر أول ديوان شعري لها عام 1967 تحت عنوان «الصفصاف»، وذاع صيتها بين الجمهور العام بفضل أشعارها ومنها: «ناز» عام 1969، و «أنا سعيدة» عام 1971، و «أفكر بك» عام 1973، و «الجناح الأبيض» سنة 1975، و «أغنية السعادة» عام 1978، و «فتاة الأورال» عام 1980، و «ذات الجناح الأبيض» عام 1981، و «أكجيلين» عام 1985، و «سيريوس» عام 1990.
- عام 2001 أصدرت مجموعة من الأشعار المختارة تحت عنوان: «طيور النورس البيضاء».
- عام 2004 صدر كتابها «إخلاص البجع» باللغة الروسية.

- جسدت الكاتبة الروح البشرية في مجموعة متنوعة من الأدوات اللغوية وهي تكشف ببراعة الطبيعة العميقة لهذه الروح.
- يتمثل الأساس الثابت والطيب للعقيدة الشعرية للشاعرة في حب الوطن، وطبيعته، والاهتمام بمصير اللغة الأم، وطبيعة المواطن المعاصر.
- أسرت أعمال الكاتبة القراء ليس فقط بفضل نقاء الطاقة الشعرية، ولكن أيضًا بفضل الصور النبيلة والغنية؛ حيث تدير الكاتبة حوارًا أمينًا مع القارئ، وتتبادل معه الأفكار بصراحة، وتنقل اللوحة الحسية بصدق.
- قامت بتأليف العديد من المقاطع الغنائية، وحصلت على الجائزة الأدبية العالمية «ألاش» وهي شخصية مرموقة في كازاخستان.

سنونو السهوب

لقد أثَّرتِ في روحي.
كم هو مؤلمٌ أن أتذكركِ!
سهوبي لن أعرفها...
أين أنتِ، يا طيور السنونو؟ أين أفتش عنك؟

في السابقِ هنا، كما في بساتين الجنَّة،
انسكبَ غناؤك العذب،
سكنتِ دوماً في التلال،
يا فرحنا، يَا حمايتنا من الدموع.

أيتها الأجنحة المقوسة مثل حواجب
حسناوات فتيات،
هل ستعودين في الربيع،
أم إنكِ غادرتِنا إلى الأبد؟

أؤمن بشدَّة وأعرفُ شيئاً واحداً -
لم تؤذِ أنت أحداً،
ربما خبأتِ في مكَان ما عشك،
بعيداً عنَ مرمى نظر النسرَ.

تمكنتِ من أن تستشعري
أن الثعبانَ تسلل زاحفاً في القربِ،
فحملتِ السرب كله معك،
واختفيتَ من السهوب العزيزة.

رنين الفضة كان مسموعاً في صوتك،
ومع ذلكَ فقد نجحتِ في التمكُّن
من أن توفي دين الطيَب بالطيبِ،
وهذا ما لا يجيده البشَرُ أحياناً.

لقد أثَّرتِ في روحي.
كم هو مؤلمٌ أن أتذكركِ!
سهوبي لن أعرفها...
أين أنتِ، يا طيور السنونو؟ أين أفتش عنك؟

ومرة أخرى عن الحب

عن الحب أودُّ أن أتحدث،
فعنه لا يمكن الصمت،
لا توجد سعادةٌ ولا حياةٌ بدون حب -
أنا مستعدةٌ لأن أقسم عن ذلك أمام الناس.

إذا كانت الأمور صعبةً عليك، إلا أنك قويةٌ بروحك،
فليبتسم لكِ على أغنيةِ الربيعُ.
لا توهبُ الحياة إلا لمرةٍ واحدة، لن تتكرر ثانيةً
والحب بدون شغفٍ لا يحتاجه أحدٌ.

ما إن يولُد الحبُ، حتى تُشرق نظرتك،
بالإحساس الجديد تغدو فَرِحاً وسعيداً،
وستحظى بالاحترام على الأرضِ
عندما يصبح كل جارٍ لك أخاً.

أحِبّ الشروق الذي يَهَبُه لنا المشرق،
قدِّرْ كلَّ برعم كما ينبغي،
واعرف من الأساطِّير عن الحسناوات
من قَضتْ من الحب مثل زهرةٍ ذابلةٍ.

لكننا في النساء نُقدِّر الأم والزوجة،
فبودنهما حياتنا الطويلة بلا جدوى،
لا تُنسجُ الأساطيرُ عن أولئك الوقحين
الذين يفتشون في الزواج عن المنفعةِ وحدها.

عن الحب كتبتُ وسأكتبُ،
واليوم أنبري للدفاعِ عنه.
وهل بمقدورِ زوجة لا تحَبُ زوجها
أن تقول كلمة عن حبها لوطنها؟



حديثٌ مع أمي

أفْتَقدكِ يا ضوئي.
لو ليوم أزوركِ،
لكنا صمتنا عنْ الأحزان الماضية،
وجلسنا على انفرادٍ.

ولكن هل لديك القوة، يا عزيزتي،
للقيام بحديث طويل؟
مع أن مظهرك ما زال لطيفاً،
هل سيبدأ جدالٌ محزنٌ؟

لم تكوني موافقةً عندها،
لم تلحقي بي،
تخليتِ عني إلى الأبد،
إلى بيتٍ عانيت فيه من أحزانٍ جمَّة.

لم تصدقيني يا عزيزتي
أن الوحشية تعصفُ في كل مكانٍ،
وأن صغارَ المواليد
يُعْطَونَ فجأةً إلى أقارب بعيدين.

لم أكن أعلم، يا أمي، أني هنا
سأعرف الرعبَ والألم،
وأن زوجي سيكون وغداً...
وحدها الأزهار في البستانِ تواسيني.

ها هو الحزنُ ينهمرُ على الورقةِ،
كل الرسائل بسرعة أمزقها،
كي لا يمسحها تدفقُ دموعي،
فأنا أنتحبُ طويلاً وبمرارة.

يحدثُ أنك تأتين إليّ في المنام،
وما إنْ أسألُك النصيحة:
«أين الحقيقة؟»-حتى تنحني صوبي
وتقولي: «هي غائبةٌ هنا أيضاً...»



أغنية قلبٍ مضطرب

لا أريد أن أُصادق إلا مَنْ
هو في الصداقة والعمل صريحٌ.
الذي كلمته عادلة ورزينة،
الذي يصون الحقيقة بشجاعة.

لا أريد أن ألتقي إلا مع مَنْ
هو فقيرٌ، لكن روحه واسعة.
مَنْ يؤمنُ بالحلم والسعادة،
مَنْ لم يقدِر على أن يُداهنَ الأوغاد؛

لا أريد أن أصادق إلا مَنْ
يخفق مرتعشاً قلبهُ،
الذي سيفرحُ لو بسخاءٍ في مصير الغير
صبَّ الأمل.

أريد أن أكون مع الذي عَبْرَ السنينَ
يمضي في الحياة مستقيماً،
ويزيل النميمة جانباً،
ولا يندفع خلف أحمق.



في المتحف

ها هي الأطباق الخزفية خلف الزجاج.
من أكل فيها، لو نسأل هذه السهوب.
عاشق الحياة مضى في دربه،
مدركاً ثمنَ كل ما هو جيد.

وهنا حزامٌ من فضّة،
يعودُ إلى حسناء نبيلة.
هل كانت الحياة لأحلامها جيدة؟
ومن وقع بتهورٍ في حبها؟
هنا مِزقةٌ مما عاش به الناس.
أصحاب المعروضات غير معروفين،
أسماؤهم أخذتها معها دورةُ الأزمنة
منذ زمن بعيد إلى الهاوية.

هل حلمتَ، أَجبْ، بيوم سلام
أنت، أيها السيف، الذي طعنت الأَعداء فِي السهوب؟
... قال متى -فالفارس على ظهر الخيل
بقي طقم الحصان ...
لقد ذهبَ كل ما كان.

العدالة

العدالة - الموقف منك مقدَّسٌ
يهرع الناس إلى هناك، حيث تبدين لهم.
لو أن إيفرست تقارنت معك بالارتفاع،
ولكن ليس الجميع سيصل ارتفاعك.

مثل الكثيرين، أكررُ:
أنت رائعةٌ!
لا توجد لديَ مقارنات أخرى.
في الاجتماعات، حيثُ كل شيء لا يكون إلا بالإجماع
كم مرة لم تستطيعي أنتِ حبس دموعك!

شقّي أنت، أيتها العدالة، الطريق مفتوحةً
بدونك الزهورَ أيضاً تتجمد من العواصف الثلجية.
أين كنت عندما الجيغيت الجيد
التقَى فجأة بفتاة سيئة؟

أخبريني لماذا لا تعيقين قوة الشر؟
لا تأتين لمساعدة الخير لماذا؟
بدونك، لكل من يعيش، ولأولئك الذين في القبر -
لا يوجد بدونك سلام في أي مكان لأي شخص.

العدالة ليست سوى عدد قليل من الحروف
لدى الكثيرين
أمامك ليس عبثاً تراكمت الآثام.
لو التقيتك رفيقةً على الطريق
لفتحت لك روحي كلها إلى القاع.

أنتِ تُتوَّجين بالنصر في كلِّ معركة
تعترضين بحزم طريق قوة الشر
حتى وإن لمْ أقابلك كثيراً
على أي حال كوني حتماً على الأرض!



الصفصاف

العواصف الثلجية بأكمام طويلة
لامستك في الطريقِ
وأنت
تحت تغريدات العنادل
سارعت في الربيع إلى التزهير.

في كل مكان
محتفلةً بميلادك،
عقدت أكوام الجليد حلقات الرقص.
ووحده الارتباط بالأرض الأم
أنقذك من الشدائد.

والرياح القاسية انحنت لك،
بتدفقٍ أرعبَ الصمت.
قل لي، أيها الصفصاف،
ولو كلمةً...
لكنك ما زلتَ صامتاً.

بدلاً من البرد القاسي
يظهر شعاع الشمس في المنزل.
لكن من أين، قل
تأخذ الصمود،
من أين شجاعتك؟...

إلى أبي

ترعرعتُ زهرةً بيضاء الرأسِ،
مداعِباً الفتاة الصغيرة وضاحكاً،
أنتَ، يا أبي، تبحثُ عن كلمة رقيقة،
أسميتني صبياً صغيراً أكثر من مرة.

كنتُ ابنةً وابناً،
على آثاركَ مشيتُ خلفك،
متسلقةً
على ظهر الحصان،
قاطعةً بالسوط الهواء الأزرق.

كانت أمي بدونك عاجزةً:
لم آكل أنا،
كنت أنتظرك.
ثم، عانقتُ رقبتك،
في حضنك غفوتُ.

نظرتك دافئة.
أعطيتني الماء –
كان الماء لي أحلى من العسل.
إذا عدتَ من العمل –
كيف قابلتك دائماً!

ربطنا الحصان معاً،
أمسكتُ اللجام على عجل.
أنتَ ضحكتَ وقلت:
يا أروعَ عروسٍ
سأُخطِّبُك للائقٍ لك!

لكن على الجدار عُلِّقت بندقية بفوهتين –
لم آخذها قط.
لم أذهب إلى الصيد،
لكني
لم أذهب معك قط.

لم ألعب لعبة «بابكي» عند المساء.
أيامي تدفقت بشكل مختلف.
وذات مرة
ضفائري على كتفي
انسابتْ مضيئةً وطويلةً.

ليل الشتاء

عمَّ مساحات الليل
صمت الشتاء الهادئ.
أشعُر بعَيْنَيَّ
مُتعبتيْن
من البياض الناصع النقي.

لحظة الفجر لم تقترب بعد.
ببطءٍ من زيارةٍ إلى البيت
في الوقت المهيب هذا
عدتُ معك.

البيوت والأشجار والطريق،
جامعاً كل شيء والجميع،
يَلُفُّهم قليلاً
ثلجٌ متساقطٌ باندفاعٍ.

ثلجٌ! ثلجٌ!
طوال العام
انتظرناه في جهتنا.
وها هي تستلقي هبة الطبيعة
على كتفينا، لكَ ولي.

يد شخص قريب.
آثارٌ تحت ظلِّ الحَوْرِ.
شالي الريشي

أكثر رقةً وأكثر دفئاً
من الثلج.

دخلتُ إلى المنزل،
لكن ذلك الثلج الأبيض
لم يعد يشبه نفسه.
كان هناك يوم، عندما فجأةً، أيها الشجاع،
عانقتني بسعادةٍ، بحبٍ.

عندما لم تسمح لي أن أنطق بكلمةٍ،
بشفتيكَ أحرَقْتُ شفتَيَّ...
في يدي أُمسكُ بالشال -
وعلى الأرض يتساقط الثلج.

مرة أخرى-مثل عناقٍ حار
الآن تمكَّنت من أن تأسرني ...
مرة أخرى - كأنَّ ثوب حرير
ينزلقُ من على كتفيَّ ...

نداءٌ إلى النورس

ما الذي جذبك إلى السهوب؟
لا يوجد بحرٌ هنا.
بأي دعوة ذُهِلتَ؟
ترتجف في بؤبؤ عينك دمعة حزن.
أم إنك، يا طائر النورس، عاشقٌ أيضاً؟

أي أحزان تجمّعتْ في صدرك؟
تدورُ بيأسٍ وحيداً،
ويرفرف جناحاك ثقيلينِ فوق السهوب.
أم إنك، يا طائر النورس، عاشقٌ أيضاً؟

أي حزنٍ طمسَ عينيك،
أي جرحٍ نُدُبته أصابتك؟
من أعطاكَ القدرةَ على الطيران حول العالم؟
أم إنك، يا طائر النورس، عاشقٌ أيضاً؟

روح الفضاء الأزرق بيضاء الجناحين
هل ستبقى إلى الأبد، يا طائر النورس، حراً؟
إلى أية رياح اندفعتَ عبر الجبال؟
أم إنك، يا طائر النورس، عاشقٌ أيضاً؟

الْمُهْرُ الجامح

يا أبي! كم حَلُمتَ أنتَ بِخَيْلٍ! ...
على أمل أن المصيبة ستمضي،
وجميع الأمراض سوف تهدأ في الربيع،
أنتَ طلبتَ الاحتفاظ بِمُهرٍ
من أفضل فرسٍ في القطيع.

أردتَ أن تمطيه في البايغا (1) فوراً،
وأن تستقبلَ عليه مولُدَ اليوم في السهوب...
يا أبي، من كان يدري أنك
لن تركب حصانك أبداً...

الحصان الذي أصبح منذ رحيلك
خوَّافاً، جامحاً، غاضباً بشكل غير عادي.
لقد فقدَ صديقه وحريته،
في إسطبله
صهلَ في بعض الأحيان.

لكن في صباح أحد الأيام، باكراً باكراً،
هائجاً، ومُفعماً بقوى جديدة،
قطعَ
بقفزة واحدة الوهقَ (2) ،
وحطّم السياج المجدول...

(1) بايغا: نوع من رياضات الخيل التقليدية لدى الشعوب التركية.

(2) الوهق: حَبْلٌ تُشدُّ به الإبل والخيل لئلا تَنِدَّ (لسان العرب: وهق).

أيُّ غريزة أخرجته من المنزل؟
أيُّ أُفُقٍ تراءى له؟
لكن الحصان طار إلى فضاءات غير مألوفة
إلى ظلال فجر السهوب.

... لكنه في السابق شرب الماء بهدوءٍ من الدلاء،
جارحاً حُلمَه في نفسه.
... لو أننا نحن هكذا،
بحبنا للحرية طوال حياتنا
نبقى متمردين على القدر! ...



أخبري يايك (3)

أخبري يايك-أيتها الفتاة الوحيدة،
مثله، متقلبةً وحرةً،
على أشرعته البيضاء يكتب
قصائده، مثل زَبَدِ موجة.

أخبري يايك-تتشبث كنورس
هي على صدر مياهه العزيزةً،
حيث دون أن تلمسه بجناحها،
تعلّمتْ أن تنطلق إلى السماء.

كم هو صعبٌ على الإنسان بدون حنين
على ضفاف نَهْره الأم!
أخبري يايك-ابنته سَتأتي بسرعة
على الرغم من الأشياء الصغيرة المزعجة كلّها.

كانت الحياة قاسيةً معها.
وكما يغضب يايك في الربيع،
قاذفاً المياه من ضفتيه،
هكذا قذفتها الحياة على الموجة.

لكن العواصف هذه كانت ومرَّت،
جرفتها أمواج الحياة وحملتها بعيداً.
ابنة يايك تمضي في الحياة بشجاعة،
كما تمضي السفن في مجراها الأم.

تحملُ رأسها عالياً.
تعيشُ كما هي.
تعيش مثلك -دون أن تغير مسارها.
تغني موّالها. تحنُّ -لكنها تغني ...

(3) يايك: نهر الأورال -نهر يفصل بين قارتي آسيا وأوروبا، ويمر بروسيا وكازاخستان.

عندما يكون هناك محبوب

إن طارت طيور الإوَزّ حول البحيرة صائحةً...
ليس لهذه البحيرة جَمالٌ
إذا لم يكن هناك محبوب،
فالربيع يكون خريفاً،
في الخريف بردٌ وبساتين فارغة.

إذا تدفقت الموسيقى فجأةً بلا حدود،
إذا كان القلب مع القلب يتحدث بسهولة،
ويغني لك الشيخُ بارتعاشٍ ورقَّة، -
يعني
أن حبيبك ينتظر ليس بعيداً.

إذا كان حبيبك يمشي في مكان قريب،
السماء صافية ومشرقة بشكل خاص.
تنظرُ نظرة ساحرة
مذهولة،
مثلما تتنفس البراعم على الأغصان بصعوبة.

هل تنظر إلى القمر في أعالي السماء -
زوبعةٌ ترفع القلب عالياً.
حسناً، في الحياة من الصعبِ
أن تكوني دوماً عروساً،
وأن تكوني محبوبةً ليس بالسهل أيضاً.

قولي لي

قولي لي، كيف همُ الجميع لديكم هناك متساوون
أمام الرب، كما نقرأ في الكتب،
أم إن لديكم أيضاً كذّابين بارعين،
وضحايا في قيودٍ بالية؟

الوسيطُ مع المدير يقفان هناك،
يتنعمان بالنعمة السماوية؟
لا أحدَ يطلب عند بوابات الجنّة
الآن توصيفات مع الختم؟

قولي لي، وهل هناك لديكم دائماً ربيع،
الزهرة بجانب الزهرة –في ترتيب السهوب؟
هل كل ذنب يُغفَرُ،
أم إنه، كما لدينا، يُغْفَرُ بالرشاوى؟

لدينا يَرمى الأولادُ أمهاتهم.
على شمسنا الكثير من البقع.
يحدث أن الشِّبعَ هو الأكثر مكراً
... ولكن هل شرابُ الجنة مجّاني؟

من أمامك الجنَّة، ومن ورائك الجحيم.

لن ينتفض حصانُكَ الأبيضُ في خوف.
ولكن، كما هو الحال هنا، من الملائكة
ينتظر الجوائزَ لديكم هناك كسالى الكازاخ؟

... عندما يوارى النعش الثرى،
الروح تسكن في الحقيقة الأخيرة.
قولي لي، هل لديكم تسود الوشاية
وبنفس الطريقة تزدهر النميمة؟

أنتِ بعيدةٌ عن صَخبنا
دون أن تعرفي الحروف، كنتِ أنتِ نفسك حكيمةً.
ماذا يمكنني أن أفعل إذا
اصطفاكِ الله أيضاً، يا أمي؟

تيميرخان ميديتبيك

(ولُد عام 1945)



- تخرج في المعهد آباي التربوي الكازاخي، وهو شاعر كازاخي، ومترجم، وكاتب مقالات، وصاحب العديد من القصائد مثل: ((وريقات قلبي))، ((قبل الطريق))، ((مسافات بعيدة))، ((الحالة))، ((موجات سماوية))، ((ريش الحمام))، ((الأساطير القديمة))، ((أريد أن أتشارك معك))، ''أغاني السنوات المصيرية))، ((ألحان الأتراك السماويين)) وغيرها الكثير.
- قام بنشر العديد من الكتب مثل: ((آباي الخاص بي))، ((من هو وريث تقاليد الآباء؟))، ((هذا العالم متعدد الجوانب)) التي اشتملت على مقالاته الصحفية، وترجمت أشعاره إلى اللغات القيرغيزية، والأوزبكية، والأوكرانية، والروسية، والصينية والتترية ولغات أخرى.
- قام بترجمة أعمال بوشكين، وليرمونتوف، وكولاس، وقوبالا، وجوبا، وبودلار، وفيرخارن، ونيزفال، كما ترجم رواية ((بيت بلا صاحب)) لـ هاينريش بول، وكذلك بعض أعمال فلاديمير نابوكوف من اللغة الروسية.
- وفي السنوات الأخيرة، جذب الانتباه إليه من خلال استخدامه شاعرية الملاحم التركية القديمة للتعبير عن المشكلات الإنسانية المعاصرة، مثل: قصيدته ((ألحان الأتراك السماويين)) عام 2002، وفي هذا الإطار لا يمكن أن نغفل أهم الأعمال التي كتبها مثل: ((مونولوج روح موخامبيت))، ((كولتيجين))، و))القائد تانيوكوك)) والتي كانت زاخرة بالكثير من الأمثلة عن الشجاعة والروح العالية.
- حصل في عام 1983 على جائزة اتحاد كتاب كازاخستان عن ديوانه الشعري ((ريش الحمام))، وعلى جائزة بيبرس، وجائزة الدولة من جمهورية كازاخستان عن كتابه ((أغانى السنوات المصيرية)).

الطيبة

أنتِ النبعُ، تروين عطشَ
شفاهٍ تشققت بدون ماء.
أنتِ المصباحُ لمنْ يتعذبُ
ويتوه في ظلمةِ البؤسِ.

أنتِ الجنةُ تحت السماء الزرقاء،
أنتِ الأم، ومسقط الرأس،
على الأرضِ التي وهبت القوة،
وربّت ابن السهوب.

أنتِ تشفقين على كل الأرامل في العالم،
تضمّينهن إلى صدرك،
تصبّين في تلك الأرواح المنطَفئةِ
الأسرار المشرقة كالأمطار.

أنتِ تحتضنين اليتامى بقوة،
تقبلينهم على جباههم لأعوام طويلة،
تضعين على كل واحدٍ علامة،
وتسكبين في دمائهم النور.

ومن هذا النورِ في كل مكان
تذوبُ الأنهار الجليدية الأبدية.
وأحجار الأكوام الثقيلة
تتحولُ فجأة إلى رمال.

هذا العالم، مثل طفلٍ رقيقٍ
كأنه يرضعُ من ثديٍ أمه.
شَفَّافٌ هو وواسعٌ،
يحمل نور السماء حتى النجوم.

مثل الرحيق المتدفق من الأوردة.
أيها النور الأبدي، أيها النور الذي لا يخبو،
لن يصيبك شيءٌ
لأنه لا بديل لك.

في سبيل هذا النور حتى لو كانت المقصلة،
حتى لو كانت المشنقة الآن،
ما دام يأتي من الله
الذي زرع الحكمةَ فينا.

حتى لو أطلقوا النار عليه،
لن يصيبوا الهدف بالتأكيد،
هذا النور أقوى من الفولاذ
وهبتهُ يدُهُ.

هذا النور السماوي السيفُ أيضاً
لن يقطعه، لن يجلب السوء،
منذ التكوين يعرفُ الجميع
أن تحطيم النور مستحيل.

إلهام الشاعر

استولت القيثارة الساهرة،
مثل نارٍ يلفظ الشاعر الشرر.
والروح فوق عيوبِ العالم
تقوم بالتحليقِ عند الفجر.

غارقٌ في التفكير بشعبه المحبوب،
وروح الشاعر مغطاةٌ بالدم.
تارةً ينهض، وتارة يكتبُ، وتارة يمشي،
متنهداً من حبه.

تتحطم عظامه وتئن مفاصله،
وعيناه تشتعلان كجمرتين.
على الورقِ، مثل هياكلَ،
تطير السطور النزيهة.

الإلهام هطولٌ من سحابة
تولِّده الرياح،
يعلِّم الروح الضعيفة للمرءِ،
وقلبَه في نفس الوقت.

تجسيدٌ لجوهر شعبٍ
عانى من كل شيءٍ على مر العصور...
لن يستلقي الشاعر حتى الشروق،
يضعُ نفسَه في السطر.

الوابلُ الأسود

آه، إنه الربيع! استقبل الربيعَ!
وابلٌ أسودُ قادمٌ من الشرق.
والسحبُ كلها تجمَّعت في واحدةٍ،
في الانفرادِ تشعر بالوحدة.

وعندما تكون سويةً،
تنصبُّ قاتمةً فوقنا،
كأنها ليست بمياه أمطارٍ،
وإنما أحواضٌ مقلوبة

أو دلاءٌ... لا ينبغي
في هذا الوقت توقُّع الصمت.
السماء، مثل شكوة(1) ،
متهالكة وفارغة.

كأن هناك، حيث برد المشروب،
حُلَّت الحبال وبسرعة.
الوابلُ الأسود لم يُفوّت
شيئاً. قبل غمضة العين

انصبَّ كأنه فيضانٌ قادمٌ،
حتى الجبل نفسه غير مرئي.

(1) الشَّكْوَةُ: وِعاءٌ من جِلْدٍ للماءِ واللَّبَنِ (القاموس المحيط: شكا).

قطَّبَ الوابل الأسود جبينه،
يبدو أنه شعر بالخجل من شيء ما.

المياه تفورُ وتغلي،
اندفعت من الجبال أمطاراً،
وانهمرت من السماء،
وجثمت كالجِمال.

شوَّهت المروج كلها،
كما لو أنها قررت نحرها.
واليوم ليس مجرد مطر،
وابلٌ أسودُ يتدفق مع الحديد.

ومن جذع البتولا أيضاً
يتدفق الماء تياراً.
إنه ليس بوابل، وإنما أمٌّ
تنتظر ولُدها، واسودَّت قبل أوانها.

أغنية القوة

منذ زمن بعيد، في قديم الزمان،
كان في الجبال جحيمٌ مطلقٌ،
وإلى قاع الوديان
تساقطت الحجارة، مثل البرَد.

كان إيقاعها الأبدي مسموعاً،
وكان السندُ متعذراً،
إلا أني نهضتُ وفي أشعة
حللتُ السلسلة الأبدية.

ومنذ ذلك الحين، أتنفسُ الصعداء،
في السماء يولُدُ رعدٌ،
والأرض نسيت النوم،
وهكذا تنكمشُ كلها.

وعندما أطلقت صرختي
وأنا أغني أغنية جريئةً -
على الفور غيَّرت الغيوم وجهها،
مُنزِلَةً على الأرض غطرستها.

غنَّيتُ لحناً جريئاً -
إلى البحيرة، وليس في الغابة،
ملايين مغنيات الريش
هبطت إليها من السماء.

حنيتُ رأسي في الردِّ،
للمتغطرسين متغطرساً كنتُ.
وغابات المتعالين كلياً
عمداً أحرقتُها.

وبحيرات العنيدين
مثل أطباقٍ ألقيت بها على الأرضِ.
والأشجارِ في الغابات ضغطتها
حتى خرج البخارُ الكثيف منها.

اعتدتُ أن أضغطَ حجر الجبل
حتى يخرج الماء من بين أصابعي.
والجملَ، كعظمة ركبةٍ،
بسهولة دوماً نعَّلته.



أغنية المديح

أخطو باتزان، تنحني الأرض،
أخطو بعنفٍ، تتصدع الأحجار.
الأحجار السود والحقول السوداء
متناثرة حولي منذ قرون.

وحين تشعرُ بالقرابة القديمة
وتراعي ثِقل القوافل
تغوص الجبال في الأرض. لا شيءَ
على هذه الأرضِ دائمٌ.

أقود الخيول لتشرب من ماء النهر،
تجف الأنهار لسببٍ ما.
لا يوجد ماء ليروي العطش،
لكي يستقبل هذا الصباح سعيداً.

أعدائي يحلمون بأن يكونوا معي،
يحلمون بأن يصبحوا بسرعة عبيداً،
فقط لأنني أبصُقُ لعابي،
فيتدفق عسلٌ لم تلمسه شفاه.

في البراميل من جديدٍ رغوة الكوميس[2] .
وزقاقي تخدَّرت وتضخَّمت.

(2) كوميس: شرابٌ هام لدي شعوب آسيا الوسطى، أحد منتجات الألبان المخمّرة، يصنع من حليب الفرس.

وهنا يكمنُ المغزى، المغزى الحياتي البسيط،
حيثُ كل شيءٍ من الثروة، ومن المطبخ.

الأطباق من البلوط،
والملعقة من مسمارٍ.
على رأسي قبعةٌ من فأر المسك.
على جبيني نجمٌ، والحياة دون أن تمضي
جرفت كل ما كان لديَّ:

أفضل صقوري قتل ذئباً،
ذئباً عنيداً متعجرفاً.
وقوسي كانت موثوقةً وسريعةً،
من خلف ستة جبالٍ أطلقت سهمها من الرابية.

كالحجر الأسود هرستُ أرضَ العدو،
عجنتها مثل عجينة بقوة،
ومن هذه الحياة لم أتعب أنا،
ولن أغادرها قبل الأوان.

سأتكلم، حديثي سيجرحُ كالسيف،
من الأعداءِ أبصقُ ذهباً.
كان لديَّ في هذه الحياةِ ما أحفظه،
وكان لعابي غنياً بالفضَّةِ.

آه، أيتها الأزمنة! لقد ولّت!
أغاني المديح أصبحت لا أحتاجها.
فأنا كنتُ سيدَ الأرض،
والجبال الشاهقة وانهيار الصخور أيضاً.

أنا خائف!

في شعبي حريقٌ،
يزحفُ إلى روحي.
أردتُ أنا، لم أهرب،
بقيت في بلدي.

لهيبٌ يولّدُ مرضاً
يصيب الجميع بالعدوى.
والزمنُ يزيلُ فجأة
من على وجهه الثلجَ.

إلا أن ذلك ليس بثلجٍ، دمٌ
وكلمةٌ تضرب القلبَ،
وإلى روحي لا تحمل حباً
قذيفةُ أفغانستان.

علقتْ أحلامي،
غير قادرة على المشي من خلال الثلج،
لا ترى الجسور،
لا تؤمن بالنجاح.

وإلى الماء، كما إلى جهنَّم
تتدفق وتنتظر الفوضى.
شعبي ليس بمذنبٍ
في أنها من جديد إلى القتال تقوده.

الأحلامُ على عتبة الشر،
تندفعُ من جديد،
كأجسامٍ مسعورةٍ،
بلا مكانٍ ولا قريبٍ.

وبدا أن النور سيخفت،
في الغابات لم يعد هناك ترابٌ.
وفي البيوت ليس هناك مصابيحٌ
يمكن إشعالها.

إلا أن اللهب في صدري،
والحريقُ في دربي.
ومهما نظرتُ،
لا يمكنني أن أعبر من خلال اللهب.

وعيناي مريضتان،
والدموع تنهمر على وجهي،
وأرى منامات سيئة
وأشياء كئيبة.

يبستْ البساتينُ،
والجبالُ تسقطُ إلى أسفل،
لحظةٌ تفصل عن المصيبة
وحزن الوجوه السعيدة.
أنا خائف!

أضعتُ نفسي

ذات مرةٍ لم أتمكن من أن أقول الحقيقة
وأضعتُ نفسي بلا رجعة،
لم أتمكن من أن أرفع إلى قريبٍ عينيّ،
وأن أبقي كلامي واضحاً وجلياً.

وعليَّ سقطَ حملٌ
كالجليد باردٌ، أثقلُ من الملح.
أضعت نفسي، وأنا خائفٌ
من أني لن أحصل على الهدوء والإرادة.

ما إن حدث ذلك،
حتى غطَّى عالمي الداخلي الكفنُ.
وتحطم عندها مثل زجاجٍ
كان في وقتٍ ما طاهراً وملوناً.

وعقلي ملأه الارتباك،
وصبَّ السمَّ في روحي المخدوعة.
وخلعت عن نفسه عشرات الجلود،
بيد أن الحقيقةَ لم يسمعها أحدٌ مني.

وشيءٌ ما ثقيلٌ طحن أحشائي.
على رأسي تراكمت غيوم
خضراء كالمرارة، وجميع الأشياء
للهروب حمّلتها على نفسي.

إلا أن النميمة سخرت مني،
ولم تسمح الشائعات لي بالمرور.

وصفقت بيديها خلف ظهري
وفرحتْ بحقدٍ كالذئاب.

احترقت روحي وغطَّى عينيَّ الضباب،
لم أرَ حولي كل ما كان مُشرقاً،
قلت لنفسي: ذلك هو الخداع،
وذلك هو ثمن الكذب الذي ينبغي أن تدفعه.

لم أقدِرْ على أن أرفع رأسي في وجه القريبين
وأن أتنفس ملء صدري.
كل حبي وكل ما كمن أكنّه « لكم »
أخذه الكذب وهدمه.

وددت أن أصرخ: « يا إلهي! اغفر لي!
لماذا عليَّ أن أعيش في هذا العالم؟»

أطلقْ روحي،
فمعي ليس هناك ما يُبشِّر لها.

أتعذَّبُ وأعاني منذ أعوام،
ولا أستطيع فعل شيء
كي أستقبل فَرِحاً الشروقَ من جديد،
كي تصبح من جديد الحقيقةُ ملكي.

كلُّ هذا بسبب كلمة واحدة.
أتعذَّبُ في هذه الحياة وأعاني.
كنت ذات مرة أخافها
عندما ستعودُ، أُخَمِّنُ.

حسناء

يا لسعادتي عندما أراها!
قلبي يتمزَّق!
يا فرحي الحلو المفاجئ،
يا فرحي السحري الغامض!

يا له من عذاب – قوة الجمال!
ولكن، أيّ مفاتنَ تُذيبُها في نفسها؟
فهي ليست مغناطيساً، وإنما تجذبكَ إليها،
وصدركَ يملأه لهب الحريق.

كأنها ابنةُ القمر المنير،
كأنها بيتُ شعرٍ مشرقٍ لشاعرٍ،
وبتلةُ زهرة بيضاء من عُمقٍ
ذلك النور الباهر!

أنت مستعدٌ للجنون فيها.
وبقربها تحارُ أفكارك.
تُقوِّسُ حاجبها، جمالها
يسمو بكَ إلى ارتفاعات ساحرة!

تهتزُ رموشها فتضيعُ أنت،
لا تتذكر مَنْ ومِنْ أين أنتَ.
وعندما تمشي هي تحت التاج،
تسيرُ أنت مجنوناً وراء هذه المعجزة.

مستعدٌ أنت لأن تغوص في الهاوية
من أجل لحظةَ قبلة.
لكنك لن تسمع كلماتك الخفية

عندما تهمس: «كم أحبك أنا!»

من الشفتين القرمزيتين كجمرتين
أججتهما الرياح، ترتعشُ بحيوية.
يا له من عذابٍ أن تعترف لها،
وتمنحها حبَّكَ لأول مرة.

ابتسامتها تلفُّ بالذهب،
واللهيبُ الروحي يجذبُ بالفضةِ،
بجعةً تتغنَّجُ في الشارع،
وتجذبُ خلفها مثل قصبٍ.

كريشة طائرة ورقيقة،
إن تكلمَتْ -كأنَّها عندليبٌ يغنّي.
وأنت ما زلتَ لا تعلم أنها
ستتملكَ اليوم إلى الأبد.

تهمس همسات
لم يحلم بها عندليبٌ.
وأنها مُقدَّرةٌ من الله،
وأنها هبطت إليك من السماء.

يا لسعادتي عندما أراها!
قلبي يتمزَّق!
يا فرحي الحلو المفاجئ،
يا فرحي السحري الغامض!

يا له من عذابٍ -قوة الجمال!
يا لها من متعة من الله.
أنت محظوظٌ، لا تتمرَّد،
لأن للحبِ دربه الخاص.

البحر العاصف

الإعصارُ يودُّ أن يلقي
بالشمس والقمر من السماء في البحر،
كي تغوص الأرض إلى القاع
وتعرف ماذا تعني المصيبة.

كل ما هو حيٌّ اختنق فجأة.
البحرُ، مُطلقاً زئيراً غاضباً،
ملايين الأطنان من الماء
حوَّلها عاوياً إلى أمواج.

مثل تنين في قتال شرس،
تلوَّت في تشابك تارةً، وتارةً نهضت،
كل الأمواج فكَّرت في نفسها،
رافعةً رأسها فوق البحر.

ثم هوت إلى الأسفل بتهور،
هادِرةً، واندفعت من جديد نحو السماء،
تلاطمت يداً بيد بلا رؤوس،
وغرقت دون أن تنطق بكلمة.

كان البرد قاتلاً،
وأغرقت الموجات بعضها بعضاً من جديد،
رغت وأزبدت بعيداً
ساقطةً في دائرة لا نجاة منها.

وعلى البحر هبط الظلُّ،
عانى وتنهدَ.
ونحوه اندفع يوم القيامة،
حتى لا يهدأ ولا ليومٍ.

في الإعصارِ لا يمكنها تجنُّب الأمواج،
يرمي السفن مثل قذائف،
مضيفاً إلى البحر شيباً،
ويُضيع السفن إلى الأبد.

بسلسلة فولاذية لا يمكن إيقاف
قوة الأمواج وتنقطع مثل خيوط.
السفن كي تهرب إلى المحيط
ترقصُ على الماء وتتحمل الخسائر.

وتهدِرُ مثل ثيران بدينة،
ومن الشاطئ تندفع إلى البحر.
لا توجد أسماك في العالم
تجادل هذا الإعصار.

يثبت السفن على اليابسة،
والسفن تضرب على الأرضِ.
لا تريد أرضاً بلا غيوم،
حيث بلا رحمة تكبح هدير ما وراء البحر.

كأن السفن تفقد عقلها
وتصرخ مثل جمالٍ شَبِعة.
وهي التي شاهدت العاصفة،
لن تنجرف إلى القيد.

سهام البرق في السماء لن تهدأ،
بسهولة تخترق الماء،
حيث صرخة التنين السعيدة
مثل عيدان ثقاب تطفئها على الفور.

الإعصار يتضخم ويَصفر،
يبعثر الغيوم كالقطن.
ينثرها كالشعر، لا ينام،
ويحمل غضبه من جديد إلى مكانٍ ما.

لا يترك أيَّ تلٍ،
يضرب بقوة واستمتاع صدر التلال.
وهي التي لم ترَ الدموع،
تسكبُ في البحرِ دموعاً خفية.

اعتاد الإعصارُ على المشاكسة،
لا يواجه أيّ عائقٍ،
واعتاد على تحطيم التلال،
ويثقبها كحبات جوز.

مرة أخرى يُرغي البحر ويهدِر،
بحرٌ عاصفٌ غائمٌ.
يحمل النورَ لشخصٍ ما،
ولشخصٍ ما يحمل الحزنَ.

تأبين الزوجة للقائد كوك تيورك

سقط القمر من الجانب الأيمن،
أظلمت الشمس خفيةً من الأيسر.
وليس هناك حماية لدى زوجتك.
أسدي قُتِل ولن يظهر الغضب.

انطفأ النجم على جبينك،
ولكن ماذا حدث لك، لا أعرف.
أنا أمام الله لا ألعن القدر،
فقط دموعي السوداء أذرفها.
آهٍ، يا بطلي، لن تختفي في الظلام،
نورك الأبدي سيخترق أيّ ظل،
كنت في لمح البصر تلتقط السهم ضاحكاً،
وتكسره بهدوءٍ على ركبتك.

كنت قادراً على أن تمسك العدو من رقبته
وتخنقه كأرنبٍ صغيرة،
والنمر بعد أن تمسكه من ذيله ترفعهُ،
وترمي به كطفلٍ صغير من فوق رأسك.

كانت روحك مليئة بالنار،
عندما ينفجر غضبك.
وهذا اللهب التهمني،
وبناره دمَّر روحي.

أم ربما أنك احترقت من هذا اللهيب؟
ومثل جبلٍ رقدتَ منهكاً.

أم إنك وقفت مثل البلوط الجبار، أبيض،
كاتماً صرخة الوداع الأخيرة؟

أم إنك كنت مثل صخرة وسط البحيرة
لم يغرقها الموج؟
الناس يبكون ولا يبخلون بالدموع،
والوطن الذي أحببتَه.

كيف قُتلتَ يا بطلي، لا أعرف!
لكنّي أذرف الدموع مع شعبي.
يا أسدي الذي لا يهاب الموت، يا مدافعي الشجاع،
روحك-سلالةٌ خالدة.

أين هي تلك الأوقات عندما كنت تُربطُ إلى شجرة
فتقتلعها وتحملها على ظهرك؟!
تركت لي الذكريات
وتغادرني إلى بلادٍ غريبة!

أذكرُ كلَّ شيء، فأنا زوجتك،
القضبان الفولاذية حطَّمتها أنت أمامي.
وفجأة حلَّ صمتٌ،
وأحدٌ ما أخذ السُبحةَ الرمادية بيده.

كيف وجدت موتكَ، يا بطلي؟
عقلك كان صندوقاً للنفائس
مع ماسات بحجم قبضة اليد،
مكَّنكَ من أن تحكم العالم كله.
لم يكن صوتك عالياً، مثل المعدن

دوى، مثل كلمة خاقانٍ صلبة.
وها هو يتوقف عن الدوي في القُرْبِ،
وفي السابق كان يداعب سمعي باستمرار.

سبحت الغيوم إلى آلتاي الأشيب،
كم كان شاقّاً عليها ذلك.
ومعها مئات الأسراب من الطيور،
صنعت حلقة الوداع فوق المنحدرات.

بيتك من خشب الحور تيَتَّمَ،
ومن الحزنِ أصبح اليوم أكثر انخفاضاً.
ولأول مرة أصبح مهجوراً،
ومن الحزن تقوَّس سقفه.

وفي اللحظة الصعبة، عندما مرضتُ،
عالجتني بقلب الأسد من الأمراض.
كنتُ سعيدةً للغاية،
ولم أعرف معك الحزنَ قط.

وأنت رأيت عشرة أولاد،
ظهرت الثروة في بيتنا،
لم تقطب حاجبيك قط،
عندما تنظر إلى صورة الأولاد في الألبوم.

غداً سأوقظهم قبل الفجر،
سيخرجون مثل كل الرجال، صامتين،
وسوف ينتقم أبطالُك،
ويسقطون، وسيبلغ القتلةَ غضبي.

في درجة الست والثلاثين

لدى الطفل، ولُدى الحليمِ،
لدى الشاه الذي يرتجف على عرشه المتزعزع،
لدى الفقير، لدى الجبان، لدى الشجاع،
لدى الشاعر صاحب السطر العنيد
الذي عن غير قصد سيلامس قلبك،
لدى المسافر التائه في الصحراء،
لدى متسلق الجبال الذي قهر القمة،
لدى البحَّار الذي أبحر إلى الشمال الغربي، –
لديهم جميعاً درجة الحرارة ست وثلاثون.
لو كان في الخارجِ صقيعٌ والعواصف تدوي،
لو كانت الحرارة تحرق كلَّ حيّ
لو يصبح الشمال الأقصى مكَّة المتقدة،
لكن درجة حرارة الإنسان لن تتغير.
لن يغلي في الست والثلاثين الماء،
لن تختفي من الخزَّانات الرطوبة،
لن تُذوِّب الحديد قط،
وحتى لن تُشعل ورقة.
ولكن لماذا يبكي العالم مائة مرة،
يبتهجُ، يتوقُ إلى انطباعات جديدة،
يتحمّل الإخفاق، يتحطم مع العيش،
يجد الحقيقة، يضعف من الشكوك
ويكدحُ، ويخرجُ عن الطريق،
يغلي ويندفع في الست والثلاثين؟ ...

صورة للذكرى

لن أؤجل
عملي إلى الغد.
لن أمزح مع القدر،
سأذهب اليوم إلى الغابة
وسوف أتسلق الجبال في إثارةٍ،
وللذكرى عن الطبيعة، سألتقط صورة معك.
أشجار البتولا-أمهات، وأشجار الحور-أخوة،
والأخوات أشجار الصنوبر سوف تحيط بي بحشد بهيج،
كما لو أني لم آتِ إلى هنا في زيارة،
وإنما رجعتُ أخيراً إلى المنزل.
البتولا والحور والصنوبر
ستهدِر
بفرح،
بحماسٍ متمنيةً لي الخير،
وسأقف معها أنا
أمام العدسة
ويُطبعُ الحشد البهيج.
في عناقٍ، بحيث يلامس اللحاءُ الخدَّ،
والغصن، مثل راحة،
يسقط على كتفي،
بحيث القرابة المنسية
تستيقظ،
وتحت جناحها من جديد تأخذني.
سأذهب إلى السهوب وألتقي بالأعشاب الريشية،

وأُومئ للمرموطِ[3] المذهول،
والتقط صورة
على كل حالٍ
معكم-
ربما غداً
لن أتمكن من أن أجدكم.
أيها النهر الجبلي الرغوي كسَلمونٍ مُرقّطٍ،
لنلتقطْ صورة معاً -
ما دمتُ حيَّةً أنا.
قد يحدث في يوم من الأيام
أن يجدوا هنا رواسبً أحجار كريمة،
سيُلبِسُ المهندسون النهرَ خرسانةً،
إلى أين ستذهب سمكات السلمون
لتضع بيضها؟
تحت الأشجار المقطوعة
أقاربي يعيشون:
البتولا والحور والصنوبر،
تحت الشمس الذهبية،
وربما من رحلة بعيدة
لن أعود لألتقي معكم.
لن أؤجل عملي ليوم غد.
لن أمزح مع القدر،
سأذهب اليوم إلى الغابة
وسوف أتسلق الجبال في إثارةٍ،
وللذكرى عن الطبيعة، سألتقط صورة معك.

(3) المرموط: هو أكبر حيوان في فصيلة السنجابيات. يعيش في الجحور ويوجد في مناطق كثيرة من نصف الكرة الشَمالية.

أين قلبي؟

قلبي ليس معي، ليس معي.
فرَّ من قفص صدري.
قلبي ليس معي، ليس معي.
عندما هربت الأرض من تحت الأقدام،
عندما أعماني الحزن والشر،
عندما يئستُ، ولعنتُ كل شيء،
أيدي أصدقائي ساندتني.
نجوتُ بعد أن أنقذني الأصدقاء،
قلبي معكم!
عندما تُنعِشُ أصوات الشعر،
قلبي-
وترُ القوس
يرتجف، كما في حُمَّى شرسة،
مستعدٌ لرمي السطور إلى الهدف.
مستعدٌ للاندفاع دون أن يلتفت
إلى قتالٍ بلا رحمة،
إلى معركة دموية.
عندما يذهب إلى المعركة
من أجل الحقيقة
لا يعرف قلبي
الهدوء.
يدقُّ بعنفٍ،

من الحنان يتجمد،
يمتلك الحقيقة
ويضيعها.
ربما هو لشخص ما
يبدو هائجاً.
يمسكه الحكيم بيديه
ويرميه باشمئزاز.
لا أعلمُ،
لكن فقط اليوم
لا تبحث عنه لدي.
فهو على الأغلب هناك،
حيث لا يوجد ما يكفي من النار.
إذا لم يتقلّب
بين الفرح والمعاناة،
إذا لم يكن
مع أصدقائي،
إذا لم ينزل
على مزاغل العدو،
إذا تصرف في الحياة
بخجلٍ وبحكمة،
فإنه سوف يدقُّ في الصدر
برتابة كريهة،
يعني – تجمَّد.

شوميشباي ساريف

(ولُد عام 1946)



- من مواليد 15 أبريل 1946 بمنطقة آرال في منطقة كيزيل أوردا. وهو متزوج، ولُديه ابنة وثمانية أحفاد.
- تخرج من جامعة كيروف الوطنية الكازاخية عام 1971 وهو عالم لغة وصحفي.
- عمل محررا بدار النشر السياسية «كازاخستان» في الفترة 1970 – 1974.
- كما عمل رئيسا لأقسام «النقد والببليوغرافيا»، « الفنون والعلوم» و «الشعر» بمجلة «جولُديز» التابعة لاتحاد كتاب كازاخستان في الفترة 1974 – 1989.
- منذ عام 1989 يعمل كبيرا للباحثين بقسم «دراسات آباي» بمعهد أويزوف للأدب والفنون التابع لأكاديمية العلوم الوطنية بكازاخستان.

- في الفترة1999 – 2006 عمل رئيسا لأحد الأقسام بمجلة «أكيكات».
- شخصية مرموقة بكازاخستان وحاصل على الدكتوراة في العلوم اللغوية. كما تم منحه وسام «باراسات» عام 2011 والعديد من الميداليات اليوبيلية. كما حصل على لقب مواطن فخرى لمدينة أرالسك بمنطقة كيزيلوردا.
- حصل على جائزة «تارلان» البلاتينية، وجائزة «رجل العام». وميدالية فرانز كافكا الذهبية الدولية.
- ألف العديد من الكتب باللغة الكازاخية، ومن بينها «الصبا» عام 1974، « الربيع المستنير» عام 1975، «رياح من جهة البحر» عام 1975، «المصير» عام 1976، «ثلاثة مقاسات» عام 1982، «أغنية القدر» عام 1984، «القرن الذي نعيش فيه» عام 1989، «خبر سعيد» عام 1992، «البحر هو شوقي» عام 1994. كما صدرت مجموعة من قصائده المختارة عام 1994. كما صدرت له رواية «جناحين» عام 2004، ورواية «تارلان» عام 2006، «أنا ابن السهوب القاحلة» عام 2008، ومختارات أعماله «في أحضان وطني الأم» عام 2011، «الشعر الغنائي هو رب الشعر» عام 2012 وغيرها من الأعمال.
- وقد ترجمت أعماله إلى اللغات الروسية، والأوكرانية، والإنجليزية والفرنسية وغيرها من اللغات.
- عام 2002 صدر كتابه «رياح من جهة البحر» باللغة الهندية.
- عام 2009 قام بترجمة كتاب «السوناتات» للكاتب والشاعر البرتغالي الكبير لويس دي كامويس.
- يعد مؤلفا للعديد من الأغاني الشعبية الكازاخية، وكذلك نصوص الحلقات الأولى من البرنامج التلفزيوني الشهير «تاماشا». كما قام بتسجيل العديد من أشرطة الفيديو والأشرطة الصوتية على مدار سنوات.

هناك مثل هذا البلد

هناك يُغنِّي النسيم أغانيَ
يسمعها الجميع
على خارطة العالم ليس موجوداً
بلدٌ غامضٌ.

لتكن الأشرعة مليئة بالرياح،
ليكن اتجاه البوصلة دقيقاً،
لكن لم يكتشف مثلَ هذا البلد
كريستوفر كولومبوس نفسُه.

هناك الحياة من أساطير وأحلام،
وهي تجري،
بحيث لا يعرفون هناك الساعات،
ولا الملل
ولا الهموم.

لا يحجب الظلُّ السماء
والخداع ليس دارجاً.
هناك كل يوم،
مثل أول يوم،
مبهجٌ وطيب.

الكل هناك طيبٌ وودودٌ،
لا يوجد في ذلك البلد سيئون.
يمنحنا الكثير من القوة
صخبه
ونوره.

وحتى لا أضيِّع الكلماتِ الزائدة،
سأخبركم، يا أصدقائي
أني في سبيل حماية تلك المناطق
سأذهب دون خوفٍ أنا.

ولو
بالرغم من الخلاف،
شعوب الأرض كلها،
جميع الدول والقارات
دخلت في تركيبته.

ليملأ الحياة الفرح
ولْتَغِب الأحزان عنه...
يسمى طفولةً ذلك البلد -
هو على الخارطة غير موجود.



رفاق الطفولة

الطفولة إلى الأبد في ذاكرتي.
أتذكر كل شيء:
على الخيمة المتنقلة
الكثير من الشقاء والأخبار الحزينة
والأحلام الضبابية حول المستقبل الضبابي.
والطفولة وحدها سعيدة دائماً!
أمواج البحر حملتنا
مثل الخيول،
أضاء الرحلاتِ النجمُ الأبيض
ولَهبُ الرمالِ أحرقَ الأكُفّ.

حياة الرُّحَّل وهبتنا أكثر من مرة
حرَّ منتصف النهار ودخان الأماسي الحلو.
شوقي للطفولة ولكم
رفاق أول أفراح الترحال.

أصدقائي الحميمون، أصدقاء السنوات البعيدة،
مثل الحليب
نقيةٌ روح الطفولة.
القرابة مع الأرض، في القلب -ضوء السعادة،
مع كل الكون جوارٌ قريبٌ.

تأرجحنا على موجات الحياة.
الحياة قافلة، ومسارها محدد.

كل واحد منا لديه الآن عائلته
وأحزانُه ونجاحاتُه.

ولكن عندما تسلّي ابنك،
ترى في عينيه الصغيرتين، مثل قطعتَي حلوى،
في ابتسامته الطفولية، في عَدْوِهِ
انعكاساً مألوفاً لأعوامك السعيدة.

وكطفل، ستستيقظ فيك مرة أخرى،
وتملأ حياتَك الذكريات:
الصديقُ الأول،
والحبُ الأول،
والتيهُ في سهول الوطن.

وأنت ستبكي، تعانق البكر:
للأسف!
لا يمكننا الرجوع إلى الطفولة،
لا يمكننا الجلوس عند النار القديمة،
لا يمكننا شرب الماء من الأنهار السابقة.

مع الأطفال مثل الأطفال لا يمكننا أن نكون -
نحن نشارك تجربةً عايشناها.
الباب مغلق.
لا يمكننا فتحه
إلى البلد الماضي -
نسينا الكلمة...

المنزل

تقول-المنزل ...
والقلب ينقبض،
لا توجد منازل تشبه منزل الأب.
لو كان العالم كله مفتوحاً أمامك،
مع ذلك لا يوجد مكان أغلى.

تقول - المنزل ...
كما الضوء،
كما لو لمستْ كفَّا الأم!
فبداية الوطن موقدٌ
يشتعل في منزلك الحبيب.

المنزل، الموقد...
كل شيء آخر في وقت لاحق.
والكثير بدأ في القليل.
أنت لا تولُد في العالم، ولكن في المنزل،
هنا منبعُك، بداية كلِّ البدايات.

المنزل هو السند،
جوهر هذه الحياة،
حلوٌ هو دخان القرية الأم.
من هنا انطلقتُ في طريقي.
هنا نظر المصير في عيني.

هنا تعزَّزت أحلام الشباب
ونادتني إلى الطريق الصعب.
سوف أستريح من الصخب الدائر
وأعود إلى هذه العتبة.

منزل الأب لم يختف من عينيّ،
لا يغادر قلبي أبداً.
وعندما تدقُّ ساعة الفراق،
إلى الدرب الأخير
المنزل يهديني.

كل شيء اجتمع -
السعادة والحزن -
في هذا المنزل، الصغير والمتواضع.
لا أستطيع إلى الآن أن أفهم
هل هناك حدودٌ بين الوطن والمنزل؟

تطير إلى النجوم المركبات
الحياة - طريق،
حركةٌ أبدية.
جاذبية الأرض قويَّة -
إنها ببساطة جاذبية المنزل.



الخُبْز

ما أكثر الاكتشافات الحكيمة
والاختراعات الجريئة
التي صنَعَتْها في عصرنا الذي لا يعرف الكلل
عبقرية الإنسان!
قوافلُ المركبات
تطير إلى كواكب الكون،
والمسافاتُ الطويلة
بين الكواكب أصبحت غير موجودة...

حتى الشمس في بعض الأحيان
تمرضُ من أرقنا
وتطلعاتِنا وأفكارِنا.
ومعرفة، الوقت كذلك،
أننا لا نستطيع نحنُ في الطريق
الابتعاد عن الهدف،
إذا حتى النهاية
لم نجرِّب الجوهر ذاته.

في كل يوم نحن معكم
نترقب معجزاتٍ جديدة
وبعد أن تعوّدنا على
أننا كل يوم نكسبها،
نبحث عن موطئ قدم -
سوف نجده في مكان ما!
نستريح فيه -
لو نقلّب الأرض!

ولكن كل هذا:
الفضاء، والليزر، والروبوت –
ما هو إلا عقل ترفيهي
تجربة هامة:
سلف مجهولنا
اكتسب المجد الأبدي
في اليوم الذي فيه اختَرعَ الخبز
لإخوانه الجياع.

سطع وجه الطبيعة،
السماء أصبحت لطيفة،
عندما علم السلف
طعم الخبز الساخن الطيب.
أصبحت للناس مألوفة
الدردشة عند الموقد،
حيث قطعة الخبز
تمدها يدٌ إلى يدٍ.

كم كان على أرضنا
جسارات جشعة ...
كلها عن بكرة أبيها
على الخبز وحده صمدت!
أغني مجد الخبز!
هو بالعناية الإلهية
الإنسان
اخترعه للأبد!



الأغنية

هزَّت التلالُ الأغنيةَ،
مثلَ طفل في المهد
الجبال الزرقاء على راحاتها هزتها.
أسلافي غنّوا هذه الأغنية الطويلة
صابّين فيها بؤسهم الأبدي.

بصرخة التيارات هذه الأغنية
دوت في نيسان،
والقصب الحساس رددها عند الفجر.
أسلافي غنّوا هذه الأغنية الطويلة
صابّين فيها بؤسهم الأبدي.

رياح الصحراء ملأت
بتلك الأغنية المزامير،
أمواج البحيرات جمعتها على الصوت.
أسلافي غنّوا هذه الأغنية الطويلة
صابّين فيها بؤسهم الأبدي.

بستان الجُزر
والتنوب الجبلي الأخضر،
مسارات التجول، والطرق هزتها.
أسلافي غنّوا هذه الأغنية الطويلة
صابّين فيها بؤسهم الأبدي.

آه يا سهوبي!
في كل قلب تنبض حقاً
أغنية الأرض - سميناها المصير.
أسلافي غنّوا هذه الأغنية الطويلة
صابّين فيها بؤسهم الأبدي.

يسمع العالم.
مستبعدةً الأحزان والشدائد،
تصدح الأغنية - هي بالحب الأبدي مليئة.
وهل تتحول السهوب إلى موطن السعادة،
إذا لم تعرف الأغنية، ولم تُغنها؟



صيادو الأسماك

ذهب جدي إلى مهنة الصيد
ومنذ ذلك الحين لم يعد إلى المنزل.
فوق قبره الفارغ يبكي
طائر النورس بريشة الحداد.
وأبي خرج مع شبكة صيد
وراء النجم -رفيق الصياد.
الأمَ التي توهب الحياة والموت
تحوَّل البحر لأبي.

لم يعد ...
وحدها الرياح تحمل
فوق الأمواج أنين طائر النورس.
بجانب الأول على جرف البحر
انتصب مزارٌ مع قبر فارغ.

مسكنان مبنيان من طين،
ارتفعا فوق المياه الغاضبة.
وكأنهما ينتظران من موسم الصيد
الصيادين الذين حلَّت بهم مصيبة.

مزاران وسط الشيح
لا يتراجعان عن المياه الثقيلة
فلديهما تحت القباب سيبرد
بكاء الشعر، ورياح الجو السيئ
ونظر إلى البعد الرمادي لآرال[1]
ابن الصياد من التل المظلم:

(1) آرال -بحر داخلي يقع في آسيا الوسطى بين أوزبكستان وكازاخستان.

هل البحر اشتاق؟
إنها قرابين أرادها الموت نفسه!

للقبور كدَّس الطين
أثار العشب الشره.
لعنَ الهاوية القاسية
وفكَّر أن يتركها.

تخبَّط حتى الصباح من الحزن،
يسمع كيف تقعقع موجة الزّبد.
كان البحر مهده
أسماه أمَّه منذ طفولته...

كيف الخروج ومغادرة هذا الشاطئ؟
كيف تتخلى عن مصيرك؟
هل بالموت وحده يُقاس
بُعد البحر في صواري السفن؟

ها هو مرة أخرى في القارب الطويل الأنف
يجدِّفُ، كما من قبل، دون أن يدَّخر جهداً،
والموجة طارت صوبه بانحراف،
والموجة اصطادها بمجاذيفه.

كانت الحياة مثل يوم صيفي، طويلة
خُلقت للسعادة وحدها.
ومرة أخرى كان وحيداً بروحه
مع هذا البحر،
الأبدي بالنسبة له.

الرحلة البعيدة

« اسمع يا بُنيّ!
لا على اليابسة، ولا على الأرض،
يا بِكري، أنت ولُدت -في عاصفة داوية.
تعذَّبتَ في مخاضها أمك على متن السفينة.
على السفينة التي ولُدت عليها، المبحرة في رحلة بعيدة...»

هكذا قال لي والدي ذات مرة.
يبدو لي أنني نفسي أتذكر تلك السنة:
الخرقة التي دثروني بها
شطفوني في موجة مالحة،
دم الحبل السري اختلط مع ملح مياه آرال.

على الأرض نشأتُ وسط السعادة والحزن.
ولكن مصادفة أن طريقي مثل مصير بحار:
في حياة الأسئلة -مثل شعاب مرجانية ورف صخري في بحر.
ملتزم بطريقي نحو الحقيقة -مثل الطريق نحو نور المنارة الساطع.

تنقض النوارس على الأسماك، متعطشة للكسب.
أنا أيضاً بحاجة إلى الغيوم والسماء والأضواء في الفضاء المفتوح.
أفتش عن الشاطئ العزيز في بحار الحياة.
رحلتي - نحو الحلم: رصيفي لا يزال بعيداً.

من الصعب التغلب على إرادة الجائحة الماجنة.
لقد ولُدتُ أنا على الأمواج.
مهدي ...أمواج البحر.
لهذا السبب ما زلت أعيش بحرية وبفخر
كما لو كنت أعوم على الموجات الرهيبة في رحلة بعيدة.



الحُلم

أيها الحلم - أنت واسعٌ، مثل الأرض.
تارةً حافةُ هاوية، وتارةً سفحُ جبل.
الحلم قِمّةٌ.
مَنْ، إن لم أكن أنا،
يمكنه اليوم أن يقهر القمة؟

واندفعت أنا إلى الأعلى بعناد،
والبُعد بالكاد يظهر في الضباب.
تظن أن هناك سحابة، -
انظر! -
ظلك هو ما يحجب القمة.

ولكن إذا كنتَ قد ولُدتَ شجاعاً،
ابحث في نفسك عن بداية حلمك.
قفْ ووجهُك
نحو الخطر، كما نحو الشمس،
بحيث ظلُّك لا يسبقك.

بين الصباح والمساء
مسار الحياة سريع.

أي حظ
حالفَنا لنغرف
من هذين النهرين،
اللذين يتدفقان، وفي مجرى واحد يندمجان:
الحزن والفرح –
ذلك هو جوهر نهري الحياة.
تغطيني موجةُ
هذين النهرين السريعين
تارةً حزنٌ، تارةً سعادة
تمكنني من الشراب حتى الثمالة.
وإذا مع واحدٍ منهما
انتقلتُ حتى المصب،
الآخر يفهمني –
نقيٌّ وقويٌّ.

وهكذا يجريان
هذان النهران في ضفاف واحدة،
تاركين على شفتيّ
تارةً عسلاً، وتارةً ملحاً.
تارة شيحٌ حلوٌ
من الضفة إلى الضفة يفوح،
وتارةً يغرقهما
شوك الجمل، العاقول.
طعمان لدى الحياة،
ولونان لدى الزمن.

هذا الليل سحابةً سوداءً
يبسط أجنحته،
هنا كبجعةٍ بيضاءَ
يسبح النهار في مياهي،
ومرة أخرى كتاب الحياة
برشاقة يتصفح الأوراق.
ومرة أخرى إلى هذا الكتاب
امتدت يدي.
على منحدرات الجبال،
على سرير الرمال الناعم،
تارةً مياهاً قاتمةً،
وتارةً مياهاً مضيئةً مستنشقة،
بين الصباح والمساء
يندفعُ نَهرُ الحياة.



التدفُّق

مع حُلم وأغنيةٍ
أمشي في مَنطقتي الأم.
وطني - إيل- أقول،
أرضي ... إيل...
أكرر.
فيك أفكاري،
وأغانيّ،
وبداية أعمالي الخيرة،
حتى لو الكثير من الفرسان
يا سهوبي
قبلي مجَّدوكِ،
نعم، كم من الشعراء،
يا سهوبي،
غنّوكِ!
لأبلغ بصعوبة
قوتهم الجبارة
أنا-تدفقٌ جديدٌ.
أفتش عن مجراي، عاصفاً.
ليس من جبال آلاتاو،
ولكن إلى الجبال الآن سأجري!
أنا -تدفقٌ قويٌّ.
دمي الشاب الحار
في عروقي
يتدفق.
دمٌ ساخنٌ متوهجٌ

بالشمس لا يحترق!
أيتها الحياة الجميلة
وجّهي إليَّ
نظرك الواعد،
أنا-شاعرك
أنا- مُغنِّيك
فيكِ حتى النفس الأخير
متيمٌ.
أنا تدفق الحياة.
أيها العالم العجوز، أنت تعبتَ
أنت تعبتَ من انتظار
التغيير،
سأجري إليك!
وإلى قممك
سأرتقي بالتأكيد!
سوف أرى
كيف في البُعدِ المشرقِ
يلوّح المستقبل لي بيده،
والأيام البعيدة
البعيدة
تأسرني أكثر وأكثر.
أنا - تدفقٌ!



الشرف والكبرياء

لكل شيءٍ في هذه الحياة طبيعة
حدَّدت الأسباب.
النساء ...شرف الشعب،
كبرياء الشعب ...الرجال.

عن إدراك أعماق الأشياء
ينبه القلبُ الضميرَ.
عن صون شرفك
كبريائي لن تَنام.

اسمعوا، أيها الناس والسهوب، -
الشرف لا يسقط على ركبتيه،
كبريائي لن تتحمّل
ولن تغفر الإهانات.

فهذا واضح جداً
لن تكتشف مغزىً آخرَ.
من الشرف المدَنَّس البقعة
إلى أبد الآبدين لن تغسلها.

لكل شيءٍ في هذه الحياة طبيعة
حدَّدت الأسباب.
النساء -شرف الشعب،
كبرياء الشعب -الرجال.

اقتراح

يمرُّ العام عبر الأرض بعد العام.
غلاف الكتاب الأحمر(1) يصبح أكثر سماكةً...

تتناقص أكثر فأكثر البجعات البيض،
والنسور،
وظبيان السايغا السريعة،
والغزلان والرنة...
تتناقص أكثر فأكثر ألوان قَوس قُزح النادرة –
جذورها المقصوصة أفسدتها...
أيُعقل أنه سيختفي من السهوب إلى الأبد
العذم الريشي،
والوحش الحر
والطير
وقرمزية زهرة الفجر؟
هل وحده الغبار الساخن سيتلوى؟
من أجل كل ما هو حي
على الارض
أنصِتوا إلى كل صفيرٍ وصرخة...
حتى لا تقفوا على الرماد،
افتحوا كتاب الحداد هذا.
فيه منذ زمن حان الوقت بالفعل لإدراج
السمات التي كانت منذ القدم، في الشرف
باسم الحياة المشتركة على هذا الكوكب،
حتى لا يضيعها أطفالنا.

(1) الكتاب الأحمر – سجلٌ يحتوي على أسماء الحيوانات والنباتات النادرة والمهددة بالانقراض.

لنُدخِل إليه الحب والطيبة
ومفهوم الشرف ومفهوم الصداقة،
الرقة الحيّة، نقاء القلب –
سلاح الإنسانية العظيمة.
نُدرج فيه كلَّ ما نعتز به،
كل ما هو مقدس في النفوس في أي طقس.
لن نخطئ تجاه بعضنا البعض،
عندما ننحني جميعاً للطبيعة.
بداية جميع البدايات الإلهية
في الطبيعة منذ القدم تذوب...
صهَلَ الحصانُ،
العجلُ خارَ،
وصاح في السماء طائرٌ...

ترتعش الصفحات.
وينظر بشكلٍ مباشر
حُكْمُ الكتاب الأحمر القاسي.



خيول السهوب

طارت واندفعت خيول التولبار(1)
عبر السهوب
مثل نجوم في شلال النجوم ...
يعدو الحصان الكُمَيْت،
مثل شقيق النار،
والعالم كله، يدور، ويطير إلى الوراء...
أطلقَ الفارسُ العنانَ بجرأة،
ضاغطاً برجليه على جانبي الحِصان
ويطير،
كأنه فيضان
يسابق في السماء السحب...
الشرف النائم يستيقظ، أعلم، –
فالحصان الطائر –
حلم السهوب.
العالم واسعٌ
حازّا صدره،
يندفع حصان الأحلام.
والسهوب نقية.

وفوقها مثل طيور النار
تسبح الخيول الذهبية.
وتحت بطنها –

العاصفة الثلجية تدور
والعواصف الرملية تجتاحُ...
لم أشبِّهَا بالعاصفة الثلجية عبثاً،
تجتاحُ – ولا ترجع...

في المستقبل ستندفع خيول تولبار –
في وعلى السهوب تطيرُ نجوماً.

(1) تولبار: حصان أسطوري مجنح.

الأفق بعيدُ المنال ...

أنْ أطوفَ الآن
جاءتني الرغبةُ.
نظرتُ بعيداً –
هناك تورَّدَ الأُفق.
وصبَغَ جمالَ السماء
أمام ضخامة ارتفاعات السهول.
تمازحني سهوبي– شقيتي:
نحو الأفقِ أسيرُ وأسير،
لكنني إلى الأفق لا أقترب
ولا ألحق به،
مثل حلم.

ها هو! أصبح قريباً! ...
يظهر، يبدو –
هو أمامي وأنا أمامه.
لكني إلى الأفق لا أقترب،
هو بعيد المنال، مثل نجم.

وما يتضح – لا ينبغي أن تحاول،
وتطارد حصانك ...
في الوقت الذي لا يقترب إلى الأفق،
كل هذا يعني مجرد ارتباك؟

لا يا رفيقي، تنتظرك الأعالي!
لذلك فإنَّ عَدْوَك ليس عبثاً!
فقط بمجرد أن يتعدى آفاقه،
يبلغ الإنسانُ هدفه!
كثيراً أم قليلاً –
تعلَّم أن تُجمل! ...
سوف تقهر في حياتك الأعالي، –
تذكر:
أن البُعدَ هو قلب شخصٍ ما،
قد تحظى به،
يثيرُ بإشراقٍ،
مثلَ أفقٍ لك صعب المنال!...



نظرية الحب

امتدت الأيام القاسية ببؤسٍ
في المنزل الخانق، كما في منجم عميق،
نظرية الحب
نظرية الحب
فتّشتُ عنها في نزوة الحبيبة.

ولكنّ تحت وطأة الشكوك والأفكار القاتمة،
في نزوة عروس الشعر العنيدة،
لم يخطر ببالي
لم يخطر ببالي
هذه الأضلاع القائمة والأوتار.
جميعها سمَّمت بعضها البعض وأفسدت الدم
ضغطك وهاجسي ...
لذلك الحب أيضاً، لذلك الحب أيضاً
لم ينجح معنا، لم ينجح.
أنتِ تخبطتِ مع ابتسامة زائفة على وجهكِ
انقبض القلب في ألمٍ قاتلٍ-

خاتمُ ذهب
خاتم ذهب
رأيته على إصبع فتاة.
عبثاً أستحضرُ الربيع، روحي ثملة.

عبثاً دقَّت القطراتُ على الأسطح ...
فهمتُ من ذلك اليوم -أنتِ لا تُحبِّينَني،
كيومٍ من أيام أيارَ تزوجتِ بآخَر.

منزلك مليء بكل أنواع الخير والدفء -
انغلق الباب الذهبي ...
وأنا على عجَلٍ رسمتُ بالطباشير
على سُبُّورة المدرسة في مُثلّث قلباً.
لا تُبَشِّرْني بالفرح أيام الخريف
طارت أوراق الشجر الرقيقة...
حتى الآن أفتش عن نظرية الحب،
أقلِّبُ صفحات الكتب المدرسية بيأسٍ.



الوقت

الوقت – تولبارٌ مندفع،
لا يوجد في العالم حصانٌ أسرع منه.
نحو السعادة الأسطورية،
إلى الأرض المذهلة
في غدي سوف يوصلني.
الجبال والهاوية،
اللهب والماء
بمرح سيقهرها تولباري.
حلمتُ بذلك في أعوام الطفولة،
والآن أنظرُ إلى العالم كطفل.
الوقت لا يعرف شكوكاً ولا عطشاً،
يقعقعُ، ويشقُّ الصمت.
كل
ما سآخذه من الحياة أنا،
ذاتَ مرة
سأعيده مضاعفاً للحياة الأبدية.
أنا أقول لنفسي –
ممجداً الحي
بأغنية سدَّدت إلى الشعبِ الديون.
أيها الوقت!
إلى الأمام، يا وقتي!
إلى المستقبل
يا حصاني الأسطوري، طِر!

كولياش أخميتوفا

(ولُدت عام 1946)



- شاعرة وصحفية ومترجمة، أنهت دراستها بكلية الصحافة بالجامعة الوطنية الكازاخية عام 1973وصدر أول ديوان شعري لها عام 1975بعنوان «الزهرةالبيضاء».
- اكتسبت العديد من أشعارها التوجه الغنائي الرومانسي ومنها: «أنت سعادتي» عام1977، «ورقة الشجر ... قلب الصيف» عام1979، «الدلع» عام1981، «سحابة في السحب» عام 1982، «الشاطئ الأخضر» عام 1984وغيرها من الأشعار، وأصبحت واحدة من أفضل شعراء الشعر الغنائي في كازاخستان.
- كانت مشاعر وتطلعات الإنسان المعاصر وحالتها لمزاجية وتغيرات حياتها الروحية والدور الأبدي للنساء بمثابة مصدر الإلهام الرئيسي للشاعرة.

- في السنوات اللاحقة صدرت دواوين شعرية أخرى مثل: «وادي الخيول»، «الوكنت معي»، «استيقظ عندما تشرق الشمس»، «ماخابات»، «كن سعيدًا !»، «لحظاتي المضيئة» وقد صدرت تلك الأشعار في الفترة من 1987وحتى عام 2015 ولاقت تقديرًا كبيرًا ليس من جمهور القراء فحسب ولكن أيضًا من المجتمع الأدبي.
- ترجمت قصائدها إلى اللغات البيلاروسية، والأوكرانية، والروسية، والقرغيزية، والأوزبكية، والتتارية واللغات التركية الأخرى. وتم إدراج عدد من القصائد في الكتب المدرسية.
- يرجع إليها الفضل في ترجمة أعمال الشاعر البنغالي نازرول إسلام، والشاعر الروسي ألكسندر ميجيروف، والشاعر الليتواني إدوارد اسمي جيلايتس إلى اللغة الكازاخية.
- عام 1978حصلت على جائزة لينين من اتحاد الشبيبة الشيوعي على كتابها «أنت سعادتي».
- حازت على جائزة قسطنطي نسيمونوف الدولية على قصيدتها «المستقبل»، وحصلت على الجائزة الرئيسية في مسابقة الشعر الجمهورية المكرسة للاحتفال بالذكري العاشرة لاستقلال كازاخستان والذكرى العاشرة لإنشاء مدينة أستانا. وحصلت على جائزة الدولة من جمهورية كازاخستان عام 2006.

أنتما الاثنان

أوه، أيها الخالق القادر!
ساند جازيرا وجاركين،
احفظ من الافتراءات والشر ابنتي وابني،
بحيث تحليقهما حتى السماء، تحليق النسر، لا ينقطع،
امنحهما هواء قمم الجبال، وقلِّل عليهما الحزن!

احفظ في طفليَّ موهبة الفن.
بحيث تذهب الإنجازات إليهم، ولكن لا تبعدهما عن الخدمة.
ساعدهما على ألاَّ يذيبا أمام الحشدِ المنخفض المشاعرَ الرفيعة.
امنح طفليَّ الرفاق على دروبِ الصعود.

عندما تتابع قوافل الزمن طريقها إلى المجهول،
مع الدعاء أوكل إلى اللّه القادر حبيبيَّ،
حتى يحلِّقا ويحلما ولا يندما على شيءٍ.
حتى لا تسدّ عواصف السهوب الثلجية دربهما نحو الموقد.
آمين!

كوليزيي

في نادٍ ليلي شهير يسمى «كوليزيي»،
للاحتفال بعيد ميلاد المسيح،
تَجَمّع لفيفٌ من الأصدقاء
من الضليعين في الأدب والثقافة.

حُدِّد اللقاء من الفئة العالية،
تعذَّر أن يكون هناك أعلى منها.
فرسانٌ أنيقون كانوا في انتظارنا،
بعنايةٍ نزعوا معاطف الفراء عن أكتافنا.

كل شيءٍ تألَّقَ مثل جنَّة عدنٍ،
عُزفت موسيقى ملائكية،
وعبيرُ شموع البنغال المضاءة
تنبّأَ ببدايةٍ رائعة.

جرادُ البحرِ تجمَّد دَسِماً على المائدة،
والثعابين المقلية تعبت،
فاكهة من إيران في الكريستال،
وأنواع النبيذ الفاخرة تدفَّقت.

حديث الكمان المهذَّب،
صوت الصنجات المحتج،
السقفُ أعمته الأضواء،
النبيذ الثمين انساب.

هنا الغزوة الدينية
لن تجري بسلاسة قط.
ولا أحَدَ هُنا سعيدٌ بالآخر ...
إنه نِزال مجالدةٍ.

مجموعة نخبوية من المغرورين،
لا يمكنك أن ترى مثلها حتى في الكابوس.
المالُ... المالُ... المالُ يتحدث،
بازارٌ للغرور والطموحات.

أنا في ميولي لستُ حرةً،
لكازاخستان وهبتُ قلبي،
مليئةٌ بحرية السهوب،
فيها سُمُوِّي وقُوَّتِي!

أبناء بلدي في خيامِ الجنةِ هذه
استوعبوا كلام العهود الغريبة.
حتى الطيور لها لغتها،
أما اللغة الأم، فيحفظها في صدورهم الشعراء.

غريبٌ على القلبِ رنينُ الذهب،
حتى ولو وضع المكسبُ رجلهُ في الركابِ،
من خلال تسييل الأزمنة-
بيقظةِ الكلمة توجّه الوقت.

لنحفظ لغتنا العظيمة!
ذلك الصوت الذي لا يظهر في الصحراء،
ذلك الشعب عظيمٌ حقاً
الذي حفظَ أسسه المقدسة.

كازاخستاني!

كازاخستاني، بقاعُ عشب الريش
ربَّياني في مهد الآب،
آكينٌ(1) أشيب وأمي،
غنيا لي في طفولتي لحناً عزيزاً.

أعتز برحابتك يا كازاخستان،
أنتِ مُنحتِ كفنَّان لعشيقة.
تحليقُ النسور التي ارتفعت فوقك،
هنا تلقي بظلالها قافلة النجوم.

يا كازاخستاني، أنتِ تعطينني الغزلان
وتفرشين السهوب عند الفجر،
ترفعين إلى السماء الجبال
نحو ربيعٍ لا ينتهي.

عندما تنظرين إلى الغرب والشرق –
كل الأسرار يراها بؤبؤ عينك.
أنت الحماية الأكيدة والسند،
وبهجة أغنيةٍ إلهية!

(1) آكين: شاعر.

مِهاري!

يا مِهاري- أنتم سعادتي!
تتشبثون بالصدر-خفيفٌ نوم الأم.
عندما تحوم أفكارٌ حزينةٌ،
أنظرُ إليكم فتغنّي روحي!

يا أولاد رحابة السهوب المحببين!
سأتابعكم بنظري، بانيةً على ضمير
اهتمام الأم رواية أبدية،
الاهتمام الملهم البعيد عن كل لوم.

«لا تستعجلا الكبر»-أؤكد لابنتي مع ابني.
كل شيءٍ في العالم سيأتي في وقته.
العبا، شاغبا، تدلَّلا يا طِفْلَيَّ.
بعيداً عن مصير نزواتِ الكبار.

لتنير الشمسُ طائراً ذهبياً فوقكما،
عن الأبدي يغني خريرُ النهر،
كل شيء لكما - كل هذا الجمال الدنيوي.
لهبُ فجر السهوب ملهمٌ.

ذات مرةٍ أصبحت قريبةً لكما إلى الأبد،
دخلت بيتنا كصاحبة بيت دون استئذان،
أغنية الصيف وغروب الشمس الذهبي،
تحليق البجعات، مثل رواسبَ لؤلؤية.

لا تحزنا! لتستبدل الأعوامُ
دقائقَ الأحزان بفرحكما الداوي.
ليدفئكما الفرح ليس في البداية فقط،
كما يُدَفِّئُ الطفلَ حديثُ الأم.

يا مِهاري! دون أن تعرفا لوماً
حلِّقا رياحَ سهوبٍ بعيداً.
اقتحما اليورتا، أيقظا أقاربكما
بالأغنية التي أهدتها لكما الفضاءات.

بيتي الصغير لمرحكما ليس ضيقاً،
لكن سِراب الطفولة، للأسف، ليس أبدياً.
أُرضعكما حليباً وأغنيةً حليبية
هي الأقوى وسط الأغاني الموجودة.

مع أني مسؤولة أمام الله عنكما،
بالنصيحة لن أخجلكما وأؤنبكما،
فالحياة هي معلّمنا، ودون كللٍ
تعطينا الدروس القيمة هذه.

خياطة زر القميص

« أنت لا تحبني بالقوة السابقة،

ليس هناك حاجة لتسرع في العودة إلى المنزل...» -
فكّرتُ بحزن، يا عزيزي،
جلستُ لأخيطَ زر القميص.

على قلبي الكثير من العلامات الحزينة،
تأخذ الأيامُ فرحَ الحياة.
لكني أعتقد: أنت بروحكَ نقيٌّ،
مثل قميصك الأبيض.

شكوك المرأة حتميَّةٌ.
ماذا عن حتميَّة الحزن؟...
لَمسَتَ خدَّيَّ برقَّة.
عندما انحنيتُ لأقطع بأسنَّاني الخيط.

التهب خدايَ مثل وردتين،
لم تقلْ أنت لي شيئاً.
كل شكوكي وأحزاني
داوَتْها القبلةُ المحبوبة.

نظرتَ في عينيَّ بصراحة.
أقفُ يتيمةً أمامك،
أنَا زرٌّ صغيرٌ خيطَ
إلى قميصكَ يا محبوبي.

بنظرة أطفأتَ أحزاني،
صمتُّ... وماذا عساي أن أقول؟
لفهم أننا لم نفقد الحب،
تكفي لحظة!



النائس والمُدن

عندما يطير إلى الأرض ثلجٌ جديدٌ
وتنعس القوى الجبارة في الطبيعة،
ينشغل الإنسان بتفكيرٍ قلق:
في البرد، في العاصفة الثلجيةً يُشيّد المدن.

هي مثل جبال حجرية...
تَستبدل القمم بقمم جديدة،
ليس لديها نهاية...
ساحات تذهب إلى ساحات،
تلتقي سفوحٌ ووديانٌ.

الحدائق تسير، بحيث تتشابك بأغصانها،
تسير الصحاري لتندمج مع المياه،
تمشي الأبنية إلى بعضها البعض - انظر حولك! -
بعد أن تقاربت الجدران وجوهٌ بلا مشاعر.

هي مثل جبال حجرية،
والقمم بيضاء من ضوء الليل،
ليس لديها نهاية ...
لكن الأمر يزدادُ صعوبةً علينا
أن تفهم شخصاً بجانبك.

كلما شُيّد بناء بشكل أقرب إلى بناء آخر،
وكلما كانت الغرف في المسكن أضيق،
يكون الساكن أقل معرفةً بالساكن، –
وهكذا أصبح هناك الكثير من الوحيدين في العالم!

أحقاً سيكون النهارُ: مثل فراغ،
لن نلاحظ شخصاً قريباً منا؟
لا فرحَاً، لا مشكلة، لا جمالاً
سيمكننا المشاركة مع أي شخص في العالم؟

ستمرُّ القرون مستبدلةً التقويمات،
والإنسان الذي يقهر الكواكب،
من الوحدة الشريرة سيحترق،
سينطفئ في مياه الليثي(2) اللامبالية.

أحقاً يهدِّدك هذا اليوم،
يا باني الأرض المتعددة الطوابق؟
حتى الغرانيت المتوحش والجاف
تجاه الصخور المجاورة يتشبث بكل شفرة...

استجابةً لألمي تصمتُ الحدائق،
وأشعر باليُتْم بشكل أقسى:
بالتأكيد في العَالم كله لا توجد
روح، لم تذبحها المصيبة.

(2) ليثي: أحد الأنهار الخمسة في العالم السفلي أو أنهار هاديس، والذي تتحدث عنه الأساطير الإغريقية والرومانية. وكلمة ليثي كلمة يونانية تعني النسيان.

عندما حتى الشخص الأقرب
يعيشُ دون أن يفهم حزني،
غريبٌ منذ زمنٍ. وأنا غريب بالنسبة له،
مثل هذا الثلج، مثل هذا الثلج الميت.

قاعةٌ ضخمةٌ!
ما أكثر العيون المنتظرة...
إنه يتوق لمشاعر وأفكار الحلّ.
الأمل يعطيه إلهام الشاعر،
سيهدأ الألمُ اللاذع الآن.

لكن الشاعر منصرفٌ عن عذابات الناس.
في قصائده عن تلك النار المقدسة،
التي ترفعنا فوق الرماد الهالك،
الحب مظلمٌ ولا يوجد له اسم.

والكلمات المملة لا حصر لها،
مثل جدرانٍ طينية بلا نوافذ.
الحب محجوب بأسوار عن الناس، والسهوب
تُزهر، كما في السابق، ويثرثر العشب.

وتهرع نحونا مياه مضطربة،
ومرة أخرى رحابةُ الأرض مفتوحةٌ،
أيعقل حقاً أن الحب سيخفتُ في القلب
وسيهجر الأرض إلى الأبد؟

وهل سيترك لنا الزمن عند رحيله
آلةً تتحكم بالشعور؟
الخير والشر، القساوة والوضوح –

هل سيشارك الإنسان القادم؟

ولكن لا، كما في السابق، الأرواح
يوقظها شاعر تُجنّده السماء إلى الأرض.
يمتلك الفعل، وليس الكلمات،
وفوضى المشاعر في وئامٍ يرتّبها.

وأنا في الأشعار بَحثتُ دائماً عن طريق،
كي أحمي الناس من الكارثة.
ومثل الطيور، أطلقت الأستروفيات(3) ،
كي أعيد الساخطين إلى الحب مرة أخرى.

ومن أجل توحيد أهل الأرض!
لديّ أملٌ وقلقٌ:
عند عتبتي العالية
يلعبُ الأطفال في غبار الشمس.

فوقهم تنتشر أجنحة المدينة،
مثل حدأة بريّة تفتش عن فريسة،
لكنّ ليس مخيفاً سلوكه، سلوك الطير
سرب الأطفال الذي ملأ الحارة.

كم هو كبيرٌ المغزى في ألعاب أولاد الحارة –
الحارات الصاخبة هي النموذج الأوليّ للعالم!

(3) أستروفية: جزء من قصيدة.

اللغة الأم

عندما يأتي إليَّ الإلهام،
يحرق بالكلمة كما لو كان لَهباً،
عن أنني متعددةُ اللغات في تلك اللحظة-
كلُّ طير يفهمني،
والثلج الذي يومضُ ظلاً أزرقَ.

لا تتجادل معي يا عزيزي، لا داعي!
في لحظة الإلهام العواصفُ مطيعةٌ لي.
مفهومة لي الدموع، والفرح، وبهجة
بترارك، الذي يميل إلى لاورا،
وبايرون أسمعه في ضجيج البستان.

ستسمو أشعاري زهوراً،
ستُنطقُ بساتينَ بلوط روسيا.
وإذا كان غناء الطيور تحت الغيوم
ترجمه إلى موسيقى روسيني،
فإن هذه الموسيقى ستصبح أشعاراً!

أنا أترجمُ من لغة الأرض!
نضال الروح والقلب يمكن تفسيره،
وواضحٌ سر حفيف الغابة
وفوق المواقد تأرجح الدخان -
سيجد فيَّ كلُّ شيءٍ كلمةً حية!

سأعطي اللغة للغابات في الوادي الجبلي،
بقوة الكلمة سأتَمكن من سحقِ المعدن.
مثل هذه الليلة، مثل نجوم الحبوب عالية
أنا أفهم الروح القريبة
والعقل المشرق للزنجية السوداء.

تدفقات الأنهار الصافية أفهمها
والأدغال التي تحولت إلى لهب،
لديّ كل اللغات،
لكني أتحدث الكازاخية معكم.
بها أكون مسؤولةً عن الأرض!



الدانتيل

غادرْتِ...
خلف الحجاب الرمادي
دربُ الحياة ينتهي،
والقصائد التي كتبتُها،
لن تسمعيها، يا آبا (4) .

ماذا تبقى لي؟
أن أنحنى بصمت
وأعهد إلى الورقة بالكلمات...
دون أن يلاحظها أحد رحلت صانعة الدانتيل،
ولكن، كما في السابق، يعيش الدانتيل.

وتعيش قصيدتي،
حيث في بعض الأحيان يذهب السطر
على النمط الذي دون أن يعرف الشيخوخة،
يحفظ كل شيء في قاع الصندوق.

فيه سترى نجوم الليل
وبراعم أرض قيرغيزستان ...
لكن أين أنتما
أيتها اليدان العزيزتان،
اللتان لم تتمكنا من الانتهاء من نسج الزهرة؟

(4) آبا: أداة لمخاطبة الأم والقريبات الأكبر سناً من جهة الأب.

وتلك التي أحنت رؤوسها
في انتظار رياح السهوب،
اصفرَّت من الزمن
أو
من الفراقِ مع صاحبتها؟
الخيوط البيضاء المصفرَّة،
لأنني أنظر إليكِ هكذا
على أنكِ حفظتِ ذكرى أمي...
يديها الدافئتين، وبريق عينيها.

لكني لا أستطيع
التصالح مع فكرة:
أن التي أحتاجها أكثر من الكل، ليست على قيد الحياة! ...
هكذا رحلتْ على عجلٍ صانعة الدانتيل،
وطويلاً جداً يعيش الدانتيل.



الربيع. الحَوْر

هبَّت رياحٌ عاتية في الليل
وبصعوبة تقلَّبت الغيوم.
ولم تستطع أشجارُ الحَوْرِ انتظارَ الفجر ...
عذَّبها من جديد نداء الربيع الجبار.

الجذوع شاحبة مثل وجوه أمهات
في العذاب ينتظرنَ ولادةَ حياة جديدة،
تُمسك بالهواء بأصابع الأغْصان
وتدفع الدم عبر الأوردة المتوترة.

طوال الليل ورياح الربيع تجور على الجذوع
والسحب تطير عبر التيجان،
ولكنّ الظلام سيهدأ،
والعُقَد القوية
ستُحلُ العُقَد على كافة الفروع الخضراء.

وستضجُّ أشجار الحَوْرِ المورقةُ!
الربيع! في كل مكان، في كل إشاراته:
تحت الثلج الذائب تعود الأرض إلى الحياة،
في السهوب تَدْفَأ الرمال الباردة.

وتتنفس الصعداء في نصف النوم
تحت شمس الربيع أشجارُ الحَوْرِ والقَيْقَب.
وتتشبثُ أوراق الشجر المولودة بي
والضوء الأخضر ينير التيجان.

الربيع! امتلأت أوراق الشجر بثرثرة
الكتاكيت الصبيانية التي لا تجيد التصفير،
والأعشاب الملتهبة بالشباب،
والقُبَّرة في السماء الصافية.



الرَّخاء

الطبيعة حكيمة. كل شيء فيها حكيم.
عشْ وبارِك الحياة،
فالجنّة تعيد إلينا الصباح
والليل يعيد إلينا الجنة.

إلى التاريخ تقودُ الطُّرق،
حتى ترينا اليومَ التالي.
أيتها الحيتان والبطارق ووحيداتِ القرن،
عيشي ومجِّدي النعمة!

وحتى أنتِ أيتها اليعاسيب الصغيرة ...
لتتجنّبْكِ بعيداً
الكوارثُ الأرضية والعواصف الرعدية،
والأخلاق البشرية السيئة.

ما أكثر الشر من الإنسان!
لقد مرَّ ظلام الأجيال هنا،
وليس هناك من هُمْ بلا خطيئة. من قرن إلى قرن
أحرقنا الأرض تماماً.

دمّرْنا الطيور والوحش.
مشينا عليها، دون أن نُخفي وجوهنا.
لكن هل أصبحنا أقوى،
بعد أن طردنا من الأعشاش الطيورَ البريئة؟

ولكنْ ألسْنا نحن عُزَّلاً
الآن، مثل وحشٍ أعزل؟
نحن معها متحدون بأرواحنا إلى الأبد،
والرصاصة تطير إلينا، صدقني!

هل سنجد غداً المأوى والغذاء؟
الطبيعة مسيطرة على الناس.
نحو عصرٍ جديدٍ نفتش عن طريق،
اهدنا واجعلنا عقلاء!

أعد العالم الرائع والمتألق
عالم الله الأصلي،
إلى حيث الناس العاقُّون
دعاهم الخالق إلى الوليمة الأبدية.

ونحن حسودون وسيئون،
لقد دنسنا هبة الله.
اغفر لنا حقبنا الغبية،
نشوةَ الكسوف، نشوةَ الحروب.

لكن وسط الجنون والمعارك -
فقدوا حسابهم منذ زمن! -
لم تخبُ عبقريةُ الشعب،
لم يتبدد شعبي.

خطيبٌ، بارعٌ في المقارنات،
شاعرٌ مع روح مفتوحة على مصراعيها،
أحضرَ قياسَه
في عالمٍ مستنيرٍ وواسعٍ.

وسمَّى عالَمَهُ
لألف عام سعيد.
كوني متعددةً ومقدسةً
يا أرضي، يا نُورِيَ الأبوي!

ليخَفْكَ العدو، ويُقتَلْ
ليأتِكَ الرخاءُ،
ولتزدهر فيك الروحُ الجميلة،
وليتعزز العقلُ المشرق.

وليصبح الإنسان مختلفاً.
ألقاك، أنتظرك هكذا!

الشارع

الشارع شبيهٌ بنهرٍ هائجٍ،
تُبحر فيه السفُن.
تلك حافلةٌ يزدحم فيها العابرون،

وهنا توقفت «جيغولي».

سأُشَبِّهُ الشارع بنهر أريس ...
أولئك ينظرون تحت الأقدام، هم - في الأعالي.
هناك، حيث افترق للتو اثنان،
أيادي اثنين آخرين تشابكت.

تغريد الطيور، سفسطة، طفرة
تتدفق وابلاً على مجرى البشر.
هناك يحملون سريراً لطفل،
هناك ينقلون إكليل حِداد.

شخصٌ ما هدأ إلى الأبد،
شخصٌ ما أبصر العالم لأول مرة -
ستلاحظ كل شيء في موجات سريعة:
عيد ميلاد، وساعة انفصال.

وانظر، لا عجب في أن تريد
كل ذلك للحظة لاستيعابها بالكامل،
لكنَّ الحشد يطير على طول الرصيف،
مفتوناً بإيقاع الحياة.

والأرض التي تلتقط بشغف الأصوات،
ستكون دائماً قادرةً على تمييز وسطها
سعادةَ لقاءٍ أول، ألمَ انفصالٍ
وأفكاراً بشرية تغلي.

ابتهالٌ

رأيتُ الجبال، والقمم الغرانيتية في ماسات تاجٍ.
رأيتُ السماء، وهج الكرة الأرضية، والفضاء السحيق.

رأيتُ حقل الذرة - هناك صباح الجنة توهجَ بالأشعة.
رأيتُ البساتين - عبق أوراق الشجر التي فاضت به.

رأيتُ المياه، المياه العظيمة -موجات المحيط،
كانت غاضبةً، هائمة، وكأن جرحاً عذَّبها.

رأيتُ السُّحبَ، الغيوم الغاضبة، أغلقت
وغطَّت السماءَ الثقيلةَ، ومساحات الدخان.

رأيتُ السهوب -فسحة زرقاء، حيث الأنهارُ القذرة.
رأيت صياد السايغا -عرف الوحش في رجل-حكيم.

رأيتُ الأعاصير - جرفَتْ قُرَى السهوب.
رأيتُ الصواريخ -وهي، كرؤية، اندفعت فوقي.

رأيتُ الهواء -كان سامًّا، وفي التيارات الهوائية
ماتت إلى الأبد الزهورُ والأشجارُ وطيورُ الشرق.

رأيتُ زماناً عادت معه العقوبة السماوية.
يؤلمني أن أكتب! أوه، لماذا قلتُ عبثاً؟

كم هو العالم مضطربٌ! والخوف البدائيُّ عاد إلى الحياة فيه.
تسونامي يهدِرُ، والأرض تهتز.

واليابسة تغلي، والهاوية غاضبة تحتنا.
ومرةً أخرى -أعاصير، ومرةً أخرى - موجات-تسونامي.

يا الله يا قادراً على كل شيء! الكون مفتوح لك،
احفظ الطائشين، ارحم مخلوقاتك!

أعدّ إلى الكون جمال التلاؤم الأصلي.
الورقة الخضراء -سهوبي -في تاجك القُزَحي،
احفظ وارحم!
احفظ وارحم!
أَصغِ،
ستسمعني، أبتَهلُ:
احفظ شعبي - روحي ...



فاليري ميخايلوف

(ولُد عام 1946)



- ولُد عام 1946 بمدينة قاراغندا، تخرج في الكلية الجيوفيزيائية بالمعهد الكازاخي للهندسة التكنولوجية، كما أنهى دراسته بقسم الصحافة بالمدرسة العليا «كوموسمول» في موسكو.
- كان عضوًا باتحاد كتاب الاتحاد السوفيتي، واتحاد كتاب روسيا، واتحاد كتاب كازاخستان، وسكرتيرًا لاتحاد كتاب روسيا، عمل عضوًا مراسلًا بالأكاديمية الروسية للشعر.
- شاعر، وكاتب نثري، وكاتب سياسي، وحصل على وسام «المثقف»، والعديد من الميداليات من جمهورية كازاخستان.
- عمل أكثر من أربعين عامًا في مجال النشر بكازاخستان، وكان رئيسًا لتحرير صحيفة «كازاخستانسكيا برافدا» والمجلة الأدبية الفنية «الفضاء»، كما ثمن المجتمع العلمي بشكل كبير كتاب ميخاليوف عن الرئيس الكازاخي الأول والمؤسس نورسلطان نزاربايف الذي صدر ضمن سلسلة «سيرة الشخصيات العظيمة» بموسكو.
- ألف فاليري العديد من الدواوين الشعرية مثل: «الكلام الصريح»، «خبر»، «القيلولة الذهبية»، «دخان الصلاة»، «اللقاح»، و»ورق الدخان».
- ألف الكثير من الكتب الوثائقية التي صدرت في ألماتي وموسكو ومن بينها: «بارافوي»، «ماركاكول» والعديد من السيناريوهات، تعامل الشاعر مع الكلمة بعناية وحرص؛ لأنه يعلم أن «الكلمة ليست لها حدود».
- وفي شعره الغنائي الحزين والفلسفي المليء بالأفكار العميقة عن مصير وطنيه كازاخستان وروسيا، نجد موسيقية في الإيقاع والعبارات والنماذج؛ حيث يعيد فاليري ترجمة الأحداث المأسوية من التاريخ في شعره ونثره.
- حصل فاليري على جائزة «أفضل كتب روسيا لعام 2013»، وجائزة ليرمانتوف على كتابه «شخص بين السماء والأرض» عن قصة حياة ميخائيل ليرمانتوف.
- تكمن السمة المميزة لكتبه في أنه كاتب معاصر ويكتب النثر عن الشعراء متفكرًا في طبيعة موهبتهم، ودور الشعر والشعراء في الأصالة وجوانب الإبداع.
- تمت ترجمة كتاب «المهاجرون الروس المعاصرون»، وكتاب «كازاخستان المستقلة: مختارات الأدب المعاصر» إلى اللغات الإنجليزية، والألمانية، والكازاخية، والبيلاروسية، والكورية والأذربيجانية.

الفانوسُ تأرجحَ وصرَّ

الفانوس تأرجحَ وصرَّ،
وحيداً في عاصفة ثلجية غير مسموعة،
والثلجُ طار، طار، طار
أعلى، أعلى، أعلى.

والسماءُ غائمةٌ في ظلام
توهجت بضوءٍ حليبي.
في جوف الليل عند البوابة
يئنُّ الفانوس في مهب الريح.

في أرضٍ غريبة، غريبة، غريبة
مغطاة بالثلوج حتى السطح،
هبطَ من السماء منزلي الغالي
أقرب، أقرب، أقرب.

في روحي، في روحي
ضاعَ في مكان ما.
لا نوافذ فيه ولا أبواب،
وحدها طوفانات ضوء.

النوم الذهبي

هزيلاً مثل الضمير، هَرِماً
ألقيتُ شباكي في البحر،
وغير متأملٍ في الحظ كثيراً،
جلستُ، ومن الرذاذ المالح سكرتُ.

تنفس المدى الحريةَ المحرومة،
تدحرجت الشمس على موجة محطمة،
وفكَّرت بنوم ذهبي،
ولم أكن بحاجة إلى أي شيء.

من خلال الشبكة تراكضت أسراب السمك
وتحرك العمقُ خفيةً،
طفَتْ سمكة ذهبية
وقالت لي شيئاً.

مثل منارات حية في الهواء الأزرق،
أسرعَتْ إليّ كلماتها الذهبية،
كما لو كانت كلماتي،
وكلُّها كانت عن الحب وحده.

عن بلدة منسيَّة

عن البلدة المنسيّة،
في هذه السهوب، حيث لا توجد إلا عشبة الريشة الحرة،
أهذي دون أي سبب،
حافي القدمين، أسمع الغبار اللطيف.

تتشبث في الرياح الخفيفة العناقيد الزهرية
للريشة الحرة، لمائة ميل لم تجلس.
لماذا بالنسبة لي كل شيء على أرض شائعات كاذبة!
آهٍ، كم هو الغبار الذهبي دافئٌ!

ربما أسمى ملاطفة
من الله لهذه الأرض المنسيَّة -
أن تُترك، مثل حصان في الحقل،
لمدة ساعة، حافي القدمين في الغبار.

آه، ما دامت السحُبُ غائبةً،
غبارٌ لطيف، أشعة شمس دافئة،
هكذا كنت لأسير، متجاهلاً مغزى
مغزى الحياة، غير الموجود.



أَنْ تَكُونَ حُرّاً مِنْ كُلِّ شَيْء

أَنْ تَكُونَ حُرّاً مِنْ كُلِّ شَيْء
مثل سحابة تعوم إلى مكان ما،
تلمع ببياض ثلجي
فوق أرض المساء،
ولا تريد أي شيء...
الأشعة أضاءت القادم
اصطادته، طارت بجناح ورديّ،
وتعكس الضوءَ الأخير
لشخص ما في الأفقِ، حيث تجمد الظلام.



خليبنيكوف

له غنَّت زهور السهوب الأغاني،
الضفادع، مثل تماثيل بوذا، أظهرت لونها البرونزي،
كان لقلقاً متأملاً في العشب.
بؤبؤه ارتشف الفضاء البعيد،
وريح دوام الترحال
الحر تدفقت في زُرقةٍ.

طارت أرقام أسراب الكراكي
ومغزى الأزمنة، مثل إسفين هش، ذابَ،
لكن زاوية الرؤية ببهجةٍ ورشاقةٍ
شربتْ مسمارية طيور القرون الطائرة،
والندى الحي للنجوم الناضجة الصريعة،
وغيومَ الحليب الطازج.

تنفست الأرض طين الخلق،
وغناء الجنادب الهش
رنَّ وكأنه حَرٌّ ذهبي،
انتصب السرابُ الرخيم عموداً،
واخترقت حشرات التناغم
بسحابةٍ -زرقاءَ، باردةً، شفَّافة.

اللغة الحجرية كانت مثل دندنة عميقة،
كأفعى تلوَّت تيارات النيران تحت الأرض،
هدَرت وتشقلبت جبال

أورال النعسان والقوقاز الملتهب،
والرواسب خرجت مثل الجذام،
مندفعةً من خلال الطبقات القديمة.

الشعوب الساذجة والمتوحشة
داست، مثل فيلة، زهور الطبيعة،
ولهثت خيول المطاردات المجنونة.
وأزهرت توهجات الشموس السوداء،
وحلَّقت الفتيات في رقصة التزاوج،
مثل فراشاتٍ، إلى النار الرقيقة.

سمعَ هو حديث قبيلته الأم،
بعمقٍ استجابت أعماق الكلمة
في كلمات بالية من الزمن،
وجذور الينابيع غمغمت،
وانتعشت الالتواءات وردية
وذابت على الشفاه الهامسة.

قفز البحر البشري حتى السماء،
وترنَّحت المصيبة الجائعة مثل وحش
وروس[1] سبحت في دم مجنون...
لقد آمنَ: أن تلك هي آلام البعث
ولكل الأرض كفّارة مقدسة -
وزرع عيون الحب الصافية.

الأرض كسفينةٍ في الفضاء طارت.

(1) روس: منطقة عرقية ثقافية واسعة في أوروبا الشرقية، شكّلت الأساس لقيام روسيا.

كان العالم كله كلمة. هذه الكلمة غنَّت.
وضربت الأمواج متعاقبةً في الهواء.
الأغنية وحدها لا تخضع للشر والتفسخ،
ووفقاً للأمر الغنائي
اختار هو ركناً من القلب، فيليمير، –

الرئيس الفقير للكرة الأرضية،
والحريص اليقظ لأمواج خفالينسك،
الكاهن المتحمس لزهور الحقول،
محاور الطيور، مختار الغيوم،
الذي لم يعرف أي أغلالٍ دنيوية.



قطعة خشب

قطعة خشبٍ سميكة وقاتمة،
وحدك في الموقد الجاف لا تحترقين،
على النار الذهبية تهمسين بغرورٍ،
ومثل غريب على العيد تدخنين.

من حولك، ينفجر اللهب وينفخ
هو سخيٌّ على الشعلة يعيش ويطير،
وأنت ذهبتِ إلى نفسك، مثل حجر صلب،
ولا تنظرين إلى الطفل الرقيق.

وها هو الموقد المرح يشتعل،
ويضغطه الظلام الجليدي،
وفي الرماد الرمادي تتهاوى الأغصان
دونَ قوةٍ، دونَ أملٍ، دونَ عقل.

وأنتِ وحدكِ، يا قطعة الخشب المنسية،
فجأة تمزقين اللهب من الداخل
ومتأخرةً بشكل غير أناني تُطيلين
نارَك المزرقّة حتى الصباح.

نحن جميعنا نغادر إلى السماء بالتدريج...
ما هو لهبنا؟ - مجرد شوقٍ إليها.
الأغصان المقطوعة، وقطعة الخشب الجبارة -
اشتعلي ناراً زرقاء لطيفة!

وحدها السماء خالدة بلا نهاية،
كلُّ ما في شرارات النجوم سيتكئ بشكل سماوي.

سيشتعل ذات مرة، مثل قطعة الخشب،
وسيعيد من جديد تشكيل كلِّ شيء.



الأسوار الزرقاء، المنازل الرمادية

الأسوار الزرقاء، المنازل الرمادية،
على الرغم من الأقفال الضعيفة، فإنه سجنٌ.
خرافٌ سوداء، جملٌ أسمر في دخان،
في السهوب شعبٌ مُنهك من السماء الثقيلة.
في الضباب القاتم تذوب القرون،
من الولادة تمتد هنا الأزمنة الأبدية.
فالصحراء في المحيط... أين يمكن البحث عن المصير؟
وكأن الأعمدة الرمادية مُطوِّقة.

ولكن ازدهرت في الجوار، مدينة أموات
من طين وطوب، فخمة وعالية.
المزارات الفخمة صامتة وعمياء،
تشرب السماءَ الفارغةَ مناجِلُ القمر.
تمزِّق الرياحُ الرثة العشبَ الضار...
هل هو حلمٌ أم علمٌ؟ منامٌ أم حقيقة؟
يندفع القطار - ووحيدٌ في القُرَب:
شهر جنائزي، تقاطعٌ مختصر.

لماذا ولُدنا في العالم ؟

لماذا ولُدنا في العالم، -
وهلّ الله وحده سيحاسبنا -
في بلد لم يعد موجوداً
ولن يكون أبداً.

وفي هذا الليل العالمي
هل ما زال غير واضح لنا،
أننا الأشعة الأخيرة
للنجمِ الذي أطفأها.

نواصل الطيران، كل واحدٍ إلى جهة،
أنوار أخرى تلمع لنا،
ويذوب فينا النجم
الذي تجمَّد منذ زمن.



قوس قزح الشتاء

"فَيَكُونُ مَتَى أَنْشُرُ سَحَابًا عَلَى الأَرْضِ، وَتَظْهَرِ الْقَوْسُ فِي السَّحَابِ،
أَنِّي أَذْكُرُ مِيثَاقِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ..."
سفر التكوين – **9**: **14**– **15**

ذات مرة، فقط ذات مرة، رأيت قَوْسَ قُزَح الشتاء...
ثار انجراف الثلوج بشكل محموم، وبغضب تناثرَ غبارُ ثلج
برد شديد كرهه الكون الأبيض إلى السماء
عندما ارتفع فجأةً، ملوَّناً فوق السهوب الميتة.

كان ذلك في الصباح الباكر في محطة الحافلات بالقرب من مايكودوك،
حيث عذّبَ الجوعُ السكانَ ذات مرة... بشكل أنظف من الجحيم،
حيث، على ما يبدو، لا تزال الأرض إلى الآن تئنُّ بشكل غريبٍ وأصم
وأيادي الموتى السوداء تبكي مُستجدية الرحمة من الثلج.

«أنا أفترض لكم قوس قزحي،...» – تدوي الرياح الجليدية،
«... بحيث يكون علامة على الميثاق...» – (من سيفهم هذا؟)،
«... بيني وبين الأرض...» – إذ لم يلاحظ أحد
قوس قزح الشتاء هذا: هرع الناس في عجلة إلى العمل.

وصلت زاحفةً الحافلة التي طال انتظارها...لكن في الازدحام: حشرَ نفسَه شخصٌ ما، قليلاً...
والعاصفة الثلجية تكنس على نحو متزايد وتحرق بالصقيع كلياً.
كان قَوْسُ قُزَحَ هذا في السماء بمثابة عيد - وفجأة اختفي،
ربما مع سحابة الثلج حملته العاصفة الثلجية بعيداً؟...
أنا أفكر في شيء واحد فقط عندما أتذكر قوس قزح الشتاء
في السهوب، حيث مات اللحم والدم الغاليان عليّ:
إذا كان الجحيم على الأرض هو الطريق إلى الجنة السماوية،
هل الرب أرسل هذه الرؤية الملونة إلى الموتى في الشتاء؟...



الحرب ضدنا لم تَنْتَهِ

الحرب ضدنا لم تنته،
هذه الحرب ستكون دائماً.
وحدك أنتِ، يا روسيا، بقيتِ،
مثل نجم في السماء أمام اللّه.
من حافَّة القدر إلى الحافة
يمتد طريق الوصايا.
هل ستدفئك دون أن تحرقك...
من الجحيم إلى الجنة المشرقة
ليس لفترة طويلة، قليلاً، قليلاً...

الخمر

كان هوميروس أعمى وشرب ما أحضروه،
النبيذ بماء معتدلٍ خفَّفهُ،
وإلاهات الإلهام أحببنه بقوة
لأنه شربَ باعتدالٍ.
كان سقراط الشخصَ الأكثر حكمةً في العالم،
كان يعلم أنه لا يعرف شيئاً.
احتسى النبيذ، دون أن يسكر على الإطلاق،
وحده الشوكران[2] جفَّفه حتى القاع.
عمر الخيام كان سكّيراً مخموراً –
لكنه في الأشعار وحدها، وفي الواقع لا لا.
لذلك منحه الله تاجاً
جديراً وسقى بالبهجة أيامه.
ثم حلَّ زمنٌ آخرُ،
ظهر الكحول، والثعبان الأخضر العينين.
رامبو وفيرلين شربا مثل مجنونين،
وكان بودلير دائماً في حالة سكر وربّى الشياطين.
هزت أوروبا مركبنا.
وحتى روسيا بدأت بالشرب.
كعدوٍ هاجم يسينين الفودكا،
نهر الخمر أغلق بلوك.
دعونا لا نتحدث عن زماننا.
يشربون حتى الموت، كأنهم يذهبون إلى المعركة الأخيرة.
أعرف، يوم القيامة ليس مخيفاً لأحدٍ،
وهو قاب قوسين، قاب قوسين...

(2) شوكران: يُعْرَفُ بشوكران المياه، نوعٌ من أربعة أنواعٍ من النباتات السامَّة في الفصيلة الخيمية.

ديركول (3)

هناك المياه الضحلة تكثّفت بسديم الحور الصافي،
هناك سحب مالك الحزين الأسماك الصغيرة لفراخه احتياطاً،
هناك رعدت الضفادع بأغنية الزواج في المساء،
فتموَّج الماء بين الضفاف لقرابة ساعة.

هناك كسيفٍ فضّيٍّ تقطع سمكة حفشٍ لطريق،
رائحتها شديدة، مَرِحَةً بجسدها كله في الأعماق،
كيف بحرية وسلاسة وروعةٍ وحلاوةٍ
ينزلق على الموجة بضوئه القمر الطائر.

(3) ديركول: رافدٌ لنهر أورال.

رقصتا فالس

1

لن أنساكِ
حتى اليوم الأخير،
كيف بضوئكِ
غمرتِني،

وكطفلٍ
لم أرفع عينيَّ عنكِ،
وأعمى كعجلٍ،
مشيتُ خلفك.

أخفَّ وزناً من بالون هواء
إلى الغيوم طرتُ،
مثل مصباح زجاجيٍّ،
كنت أشتعلُ في داخلي،

ومثل معجزةٍ،
أنرتِ لي الأرض -
وطرتِ في كل مكان
متوهجةً بنورك.

2

لن تنسيني
حتى اليوم الأخير،
وبعد ذلك سوف
تتذكرين.

هذا أنا، مثل طفل
لم أرفع عيني عنك،
وأعمى كعجلٍ،
مشيت خلفك.

هذا أنا مثل بالون
إلى الغيوم طرتُ،
مثل مصباحٍ زجاجيٍّ
احترقتُ بكِ.

ومثل معجزةٍ، حتى اليوم الأخير
أَنَرتِ أنتِ كل مكان
من أجلي، من أجلي.

مَطَرُ الليل

1

استمعتُ إلى المطر على الآلافِ من الأوراق،
تحرّرت الروح من أغلالها،
مثل الأوراق في الظلام من الغبار الحار،
وأفكارٌ جديدة أبحرتْ إلى مكان ما،
انهض بحرية وبرحابةٍ
واستقبل بسلاسة الماء المتدفق من السماء، –
تقفزُ الروحُ الحرة إلى الأعلى،
متنفِّسةً رطوبة الليل النقية.

2

هطلَ المطرُ طوال الليل – وحلَّقت الروح ملبيةً،
حملتها قوة خفية
إلى الفضاء الرطب، إلى ظلامه الدامس،
حيث لا يوجد مكان للإرادة والعقل،
حيث وحده ضجيجُ المياه الغزيرة والواسعة
وأغنية القطرات الوحيدة في الهواء،
حيث تذوب الكلمة في الأفق،
كصدى الأوراق والأرض إلى السماء.

ناديجدا تشيرنوفا

(ولُدت عام 1947)



- ولُدت ناديجدا تشيرنوفا عام 1947 بمدينة بايانـاول بمنطقة بافلودار. وتخرجت في كلية الصحافة التابعة لجامعة كيروف الحكومية، وعملت أستاذة للغة الألمانية. ثم عملت محررة بشبكة التليفزيون المحلية «سيميبالاتينسك»، ومستشارة أدبية لفرع اتحاد كتاب كازاخستان بمدينة سيميبالاتينسك، ومحررة للشعر بدار نشر «جالين».
- أصبحت نائبة لرئيس مجلس العمل مع الشباب المبدع باللجنة المركزية التابعة لاتحاد الشبيبة الشيوعي بكازاخستان ثم رئيسة لقسم الشعر بالمجلة الأدبية الفنية «الفضاء».
- حصلت على الجائزة الأدبية الدولية «ألاش» ووسام «كورميت». وهي شاعرة وكاتبة نثر ومترجمة وناقدة.
- قامت بتأليف أكثر من عشرين كتابًا في الشعر والنثر منها «عمر أغسطس»، «شجرة الرمث المزهرة»، «أتذكر»، «حياة ساكنة السهوب»، «الصوتين»، «انقلاب الشمس»، «زهرة النار»، «البيت السماوي»، «متى ستزهر الوردة، النسب في الأساطير العائلية»، «الطيور التي تطير إلى الملائكة»، «رياح الرغبات»، «سهوب بابل»، «الطائرون في الضباب» وغيرها من الكتب.

- تتشكل أعمالها الغنائية من خلال إبداعها في أدب السفر عن مدينة باينول، وإرتش والنثر الغنائي والروايات الوثائقية المكتوبة استنادًا على قصص ويوميات أشخاص حقيقيين مثل «قصة في قصص» والنثر الشعري.
- دائمًا ما كانت كازاخستان هى المحور الرئيسي في كل أعمال تشيرنوفا؛ حيث كتبت العديد من القصائد عن وطنها مثل: «كوركوت»، «جاكو»، «الجنس القديم»، «ألتين دالا»، «السهوب»، «قوبيز»، «بوشكين في السهوب الكازاخية»، «خريف القبجاق»، «الراوي» وغيرها الكثير.
- في قصيدة «الغتان» يمكننا أن نسمع في الأغنية القادمة من العدم ركض حصان السهوب وكذلك قصيدة «رحابة السهوب وبكاء الدومبرا».
- تنشر أشعار تشيرنوفا في المجلات ودور النشر المحلية، وكذلك في المجلات الأجنبية مثل: «دروجبا نارودوف»، «يونسات»، «الجريدة الأدبية»، «نيفا»، «أذربيجان الأدبية»، «قيرغيزيا الأدبية» وكذلك في المختارات الأدبية مثل «الروس المعاصرون في الخارج» وغيرها من المطبوعات.
- ترجمت إلى اللغة الروسية أشعار الشعراء الكازاخ والأيغور والأوزباك والأكراد وشعراء الشعوب التركية، كما ترجمت قصائد الكثير من الشعراء من تركمنستان وأوكرانيا وبلغاريا والشيشان وإنغوشيا وفرنسا ومن أشهر ما ترجمته الدواوين الشعرية «عودة اللقالق» و «نجوم الأرض».

مطاردة

ثملةً من الحرارة، أغصانُ العنب
متشبثة بالأسوار والسياج الطيني.
احمرَّت الرمالُ، والتفاحُ توهَّج،
وأنت أردت أن تملك روحي.

كان مخططاً مثل البطيخ، البازار
من خلال جلد البرقوق أضاءه منتصف الليل،
وأنت رميتَ قطع النقود في القنوات المحفورة،
فابتعدَتْ، تملّصتْ الأمواج.

اقتربتَ، أخذت في يدك
في انحسار الشمس الرطوبةَ الفتية.
حيٌّ وسط الحقول ووسط الوديان
في الكفوفِ ماتت نيرانها.

وخلفك في تلك اللحظة من بعيد
كانت روحي-الهاربة تراقب،
مثل فتاة من خلف أسوار طينية
تنظر من تحت شال أبيض.



صيَّاد السمك العجوز

يجلسُ ليلاً ونهاراً على سطحٍ مستوٍ،
مهما اندفعت العاصفة الرعدية.
الرمال تزحف. الرياح الحارَّة تتنفس.
الملح يأكل العيون الأرقة.

في الأسفل تعيش وتموت القرية.
ومرة أخرى تتكاثر. تغتسل بالرمل.
ويُغرِق المواقدَ المستديرة العشبُ الجاف،
معتبراً منزل الطوب جنَّة.

وهو يجلس على السطح دون حراكٍ
وينظر إلى الأفق، إلى البقعة الزرقاء:
هناك، وراء جدار دخان منتصفِ النهار،
بحرٌ حي،
ذهب منذ زمن.

ينتظر: لم تتعفن عدَّة الصيد.
وقارب البنط القديم سليمٌ.
تغيَّر القرن. تغيرت السلطة.
احترقت الحياة الماضية كلها.
اهتياجٌ في كل شيء!
كل شيء يغطَّى بالغبار
ثم يستقر في قاع البحر.
والبحر -إلى الأبد. البحر سيعود،
وهو سوف ينتظره على أي حال...

أحلامُ البدر

يتدفق الليل عمودَ ضوء فضيّ.
النجوم تسير في دائرة بسلسلة رنَّانة،
وفي المقدمة يسير الصيف الرنَّان
على العشب المتكلم، على السهوب الصارخة.

في منامها ترى الذئاب الدافئة -تحت جذور البتولا
مباشرة في السماء الزرقاء فتحة ساحرة،
حضنَ أمٍ الدافئ، دموعَ حليب،
وقمراً يخرج من العيون.

ترى الثعالب في منامها في الحقول قضباناً ذهبية،
مع ريشٍ أبيض تحك في الخياشيم،
والأغنية المسائية لطيور سمّان السهوب:
عبثاً صرَخَتْ، بكتْ عبثاً!

يرى الغراب الأسود في منامه أن السماء سقطت:
ما أكثرَ العيونَ المفتوحة في السماء.
سيغوي تلك العيون، ويُقلع بضجرٍ -
وليس لديه مكان يطير إليه في هاوية الليل.

يرى قطيع من الأبقار المرقطة في المنام بندولَ الأبعاد:
موجات المرج الأزرق، موجة النهر،
طريق القمر في السماء، متموج وصحيح،
موجات حياة اللحظة والنوم الأبدي.

ينام الصبي الراعي تحت معطفٍ رثٍ من جلد الغنم،
يميل بكتفه إلى عمود النور.
يرى في منامه التحليق فوق الوادي النائم
والعين البرَّاقة للكون في جبينه.

يرى في منامه الحياة قبل الولادة، قبل الصرخة الأولى،
قبل وحش السهوب، قبل الأبقار ذات القرون،
عندما لم يكن هناك اسم،
لم يكن هناك وجه،
فقط تحليق حرٌّ وإشراق العوالم...

طائران في الضباب

حصانان أبيضان يطيران في الضباب،
مصيران قريبان لا ينفصلان.
الحبل المشدود لن يخدعهما أكثر،
والصرخة الغاضبة سترفعهما على قوائمهما الخلفية.

حصانان أبيضان يطيران في الضباب،
كم يلهمهما العَدْو المتناغم!
من سيسقط أولاً في أعشاب السهوب
وأي شفاه سيحرقها الثلج أوّلاً؟

من سيصرخ عالياً في أوائل الخريف،
غير قادرٍ على الإبقاء على السماء في عيونه؟
حصانان أبيضان يطيران في الضباب،
مثل نجمين في غيومٍ متمردة.

حصانان أبيضان يطيران في الضباب،
على الحدود السوداء غير المحروثة،
هكذا بلا هوادة يتبعاننا،
شيءٌ رهيبٌ وبهيج على الروح...

الحياة تسير وتمضي

الحياة تسير وتمضي،
كما سارت من قبل.
إنها مجرد رحلة.
بين « لم يكن » و « كان ».
إنها مجرد لحظة قصيرة -
بين الحب والفقدان،
لحظة مندفعة، ريشية،
مثل صرخة طائر القيق في المساء...



حبي الوحيد

آه، هذه الرغبة الغريبة –
رغبة عصفورٍ، غيمة، ظبية:
حفظ لحظة الحياة –
وتقليب الحياة بشكل سريع.

حبي الوحيد، هي
مثل لفيفةٍ من جلدِ عِجْل،
أو كتابةٍ على الطين،
هل سيحطمك الزمن؟

ولكن، ربما، ستبقى صفحة،
كلمة، سيبقى سطر
تحت رماد الحياة، تحت التراب؟
... من السماء تتدفق نارٌ،
متعددة اللغات وصمَّاء.

ومرة أخرى، ومرة أخرى يحرق الخالق،
وهيهات أن يخلق!
وهو لا يعلم
ثمن إبداعاته.
يقلّب بالرياح الحياة، يقلّبُ،
لا يمكن إيقافه.
لا يعرف الكلل.

ليكنْ ما سيكون

ليكن ما سيكون،
هل ستحزن عليه؟
الكثير من السعادة سقط -
لا يمكن فرز كل شيء.

والحزن؟ ما هو الحزن؟
فقد سحق حتى الأرض؟
لكن دموعي المريرة
جميعها تدفقت في البحر.

في القاع سوف تستقر الدموع -
هناك نور وهناك سلام،
لتنمو لؤلؤة
مع حبة رملٍ خلف الخد.



في العالم المقلوب

في العالم المقلوب، حيث كل شيء مؤقت ومشروط،
حيث تعبت الصحف من السجلات الجنائية،
حيث يحتشد الطغاة، والخبث يقضم الروح،
حيث يحترق آرال، ويتسلل الطاعون إلى اليابسة،
حيث الغرور، والحاجة، وكل شيء يوحي بانهيار العالم،
سامّةٌ هي الكلمات، والهواء، وموجات الأثير،
حيث ينهار كل شيء، كل شيء - الحبال الإرشادية تعفنت،
تتقطع، تتدلى، تتحول إلى سحابة غبار.

في عالم الأشباح هذا، حيث كل شيء شبحي ومضلّل،
حيث تستنشق الحسناوات أبخرةَ مخدِّرٍ عُشْبِيٍّ،
حيث يذهب السفاحون في الليل خلف فريسة دموية،
حيث تنجو المهام بالكذب، سواء على اليمين أو اليسار

في نهاية الزمان، في نشوة الغروب المجنونة
احْتَضِنِّي بقوّة، سامِحْنِي إن كنتُ مذنبةً في شيء،
احْتَضِنِّي بقوّةٍ، إذْ لا توجد حماية
باستثناء حبنا.
احْتَضِنِّي، ما دمنا لم نُقتَل.
ما دامت الحياة حياتنا، والحنان يضغط قلبَيْنا.
يَحلُّ الظلام - هذا هو الحال، ولكن في يوم من الأيام سيبزغ الفجر...



موسى

موسى القديم معقود اللسان.
ماشياً على طول مسار المنحدر الحجري،
يتنبأ، ولكن ألم روحه
يعبّر عنه بلسان هارون.

قال -واشتعلت وسط الصحراء شجيرة،
وافترق البحر في لمعانِ الملح.
أليس كذلك هو الشاعر - وحده الفصيح،
وحده المترجم للإرادة العليا لأحدٍ ما؟



حوارٌ مع الحب

ليست الطيور تزقزق، بل هي أجراس الربيع.
خرجتُ من هناك، إلى حيث دخلت دون أمل.
في عيون المحكومين رأيت نوراً يتلاشى
في عنبر الإعدام، في المبنى الذي لا يوجد منه مفر،
حيث تنبعث رائحة حمض الكاربوليك، حيث يكون الهواء في الحلق مُرًّا،
حيث يذهب الطبيبُ الشرعيّ، ومريوله الأخضر يلمع،
حيث يستلقي الناس الحزانى، ووجوههم إلى الجدار،
حيث لا يمكنك البكاء، لأنهم وثقوا بي،
الربيع خارج النافذة، كرة الأقحوان الأبيض كالثلج -
وابتسمتُ، ووعدتُ الجميع بالحياة!

خرجتُ من هناك، إلى حيث دخلت دون أمل.
فهل الحب ركلني من السرج؟
التقطني بالحبل، عقَّده، أخرجني من عقلي:
أطرده بعيداً - وأركض وراءه بنفسي.
- استفيقي، تنازلي، فهي لشخص آخر! - يلهمني الخجل.
- اذهبي، خرِّبي وخذي! - الحب يخبرني.
- لا تلمسي، لن يكون لكِ -الدم يفصلكما.
- لا داعي للأبد، ليكن للحظة واحدة! -يجيب الحب.
- اتركي هذه النزوة، دعيها، انسي، لا تنادي!
- لقد رأيتِ الموت - أيعقل أنك تخشينَ الحب؟

القدر وحده صامتٌ. صامت الآن أيضاً.
لماذا إذن ربَطْتَنا أيها اللعين؟



أغاني سهوب غزلان الريم

(مستوحاةٌ من الفولكلور الكازاخي)

على الهضابِ

(أغنية)

لهبُ سحليةٍ رشيقة
ينظر من الموقد.
مَنْ دخل تحت قبة اليورتا –
تخبرني الدومبرا.
اللهب في الرماد الناعمِ
يختبئ للحظة.
لن يذهب، لامساً الأوتار –
لديها لغة!
كيف ترن الدومبرا وتبكي! –
هذا هو قطيعي
يسرقونه.
الفارس يقفز –
إنه طويل وشاب.
بعد أن التقط النجمة في البئر،
أعطى للخيول الأمر.
يضحَكُ مثل وتري

الذي لمسه!
ثلاثة أقمار استُبْدلتْ في السماء،
جفت ثلاثة أيام.
قطَّعتُ السوط في غضبٍ
على ظهر الحصان.
القبعة مع الحافة الحمراء
رميتها، على عجل.
غنَّت الضفادع المبكرة
في القصب البعيد.
طيور الكراكي حلَّقت فوق الحقل.
بدأت العزف.
بعد أن أَطلق القطيع إلى الحرية،
أخذ الفارس الدومبرا.
حرقت الأغنية القلب، وعظام الوجنتين
تحولت إلى جليد.
كما هو مشتاق وتري،
ما اسمه!



حكايتان حول كيلين تيوبي

1

فوق القلعة الطينية ليلٌ أسْوَدُ،
شواهد قبورٍ في كل مكان،
وليس هناك من يساعد المدينة -
جميع المحاربين قُتلوا في المعركة.
وقال الحكيم إن تدمير الأرض قادمٌ،
كما تنبأ الأنبياء منذ زمن.
على كل الخطايا سيقام العقاب
على رؤوس النبلاء والعامة...
وتجمَّع الناس في ثياب الموتى.
في الرحلة الأخيرة هذه.
اقترب الأعداء، أثاروا الغبار،
صرخت خيولهم السوداء،
لمعت أسنانها في أشعة الفجر،
خوذاتهم حرقها التنين.
لكن الحشود تجمَّدت، متراصةً بعضها على بعض:
مولودة من رغوة غيمة،
مولودة من وهج الشمس،
خرجت حسناء على الجدران.
وقفَتْ عاريةً أمام الحشد الجشع،
قطّبتْ حاجبيها القاسيين،
وكانا مصطنعين على جمالها
أعماهما الخبث والدم.
هرعت الغيوم، ورحلَتْ سراباً

ذابت في دخان الصباح.
في العربات المجنّحة للزوجات المحبوبات
ضاعت الحسناءُ معهن.
أضاءت القلعة الناجية القُبّة،
ضربت على الرق، وأشعلت النار،
وأعادت بناء جدران جديدة.
... القلعة الناجية تسربت رمالاً...
ووحدها الحكاياتُ محصّنة...

2

القلعة الطينية لفَّها الليل،
مثل امرأة في شال الحداد،
وليس هناك من يساعد المدينة:
لقد سقط الرجال والشبَّان.
وقال الحكيم الأشيب مثل القرون:
«أيُعقل أنه لا محاربين لدينا؟»

بكت الأرامل، وعانقن بناتهن:
العارُ بقي عليهن في الدنيا!
لكنْ تحركت مصاريع الأبواب المزخرفة،
لكنَّ الصوتَ دوى في المسجد.
رشيقةً ورائعةً مثلَ ضوءِ الصباح
في ثوبٍ أرجوانيّ متطاير،
دخلتْ -ونظرتْ بقوةٍ في الرد على
الشتائم واللعنات الأنثوية:
«لم يستطع أحدٌ في وقت من الأوقات أن يهزمنا-
لم نَنْحَنِ للعواصف والمصائب!

في المعركة الشرسة، وفي مسير الحملات
مشينا خلف القادة.
حابسين الدموع، دون أن نُخفي وجوهنا،
فتحنا فتحة الأفاعي!»
قالت ولوَّحت بالسوط الرنان.
تجمَّعن في حشد، مثل الطيور،
البنات الصغار مع سيوف الآباء،
والأرامل مع سيوف الأزواج.
عددٌ لا يحصى، كالغبار، في كل مكان، كالغبار
هجمَ الأعداءُ على المدينة.
ما أكثر ما سقط منهم على عشب الريش الدموي،
شاخرين من أعناقهم المذبوحة!
ورأيتُ الفصيل المكتئب الأخير،
يحفر القبور للقتلى:
عند المحاربين تضيء ضفائر القلعة
تحت شمس الانتقام الحمراء.
منزلقين من تحت الخوذ المثقوبة بالسيف،
تستقبلهم المنارات السماوية...
... يا لها من حكاية صادقة، عن ذلك تتحدث الرمال بدون لسان...

بوريلتاي

(أغنية قديمة)

مهرةٌ أنا للشاطئ الأسمر.
ليس لديه نجم ولا علامة -
لا يوجد معبر في الوادي العميق،
تقود الرياحُ إلى السهوب، إلى المنحدرات!
إلى مكانِ وقوفِ حبيبتي
سوف أركب حصاناً رشيقاً -
فراغٌ في القُرَب، وحدَها رياحُ الحقول
بدوامةٍ ترفعُ الرماد على الرمال.
وحدها الأعشاب الجافة تتنهد...
مَنْ، يا حبيبتي، أخذكِ سراً؟
يا هلال منتصف الليل، يا قلبي،
غرق قلبي في صدري من الدموع...

غيومٌ فوق بايااناول

(أغنية قديمة)

لا تتبددُ الغيوم فوق بايااناول أبداً
ولا تشعُّ شمس الظهيرة فوق هذه الأرض،
وراء الثعلب الأحمر الذي ومض ناراً بين الصنوبر،
اندفعت حدأةٌ -لكنَّ الوحش لا يمكن اللحاق به.
دُقَّت أوتاد اليورتا بالقرب من المرعى الصيفي المحبوب
قريتنا الهادئة والنار تتجمد في الرماد،
ولكن لن أتمكن مرةً أخرى من رؤية المحبوبة -
اليورتا، الطائر الأبيض سوف يغادر للتجول في الأرض...



إيران-غاييب -

(إيرانبيك أورازبايف)

(ولُد عام 1947)



- شاعر وكاتب دراما كازاخي، تخرج في كلية التعدين من المعهد الكازاخي للهندسة التكنولوجية عام 1970، كما حصل على دورات أدبية من معهد جوركي الأدبي بموسكو عام 1980.
- صدر أول ديوان شعر له عام 1974 بعنوان «القلب يغني»، وفي السنوات اللاحقة صدر له أكثر من عشرين ديوانًا شعريًا من بينها «السبعة كنوز»، «عين الليل»، «الحياة شعر»، «دار الجمال»، «العالم المشرق»، «عالم الشعر» وغيرها.
- تعد القصائد والأشعار الغنائية والفلسفية التي تضمنتها هذه الأعمال دليلاً على المهارة الشعرية لأورازبايف، وكذلك دليل على المكانة المرموقة التي وصل إليها. كما توغلت أعماله في الآفاق الفنية والجمالية، وفي الشعر الكازاخي بشكل عام.
- ألف أورازبايف أكثر من ثلاثين قصيدة درامية، ومنها: «الكوميديا الوحشية»، «هل هناك سم لم أتجرعه بعد»، «الرياح العاتية»، «الملعونون من الله»، «نمر جامبول الأحمر»، «الرجل الذهبي»، «الخطيئة المقدسة»، «عودة ماوكلي»، «موخامبيت» وغيرها من الأعمال.
- عرضت أعماله الدرامية الأخرى على مسارح الدولة، وتعرف القراء من كل أنحاء العالم على موهبته.
- ترجم إلى الكازاخية أعمال دانتي أليغييري، وآدم ميكيفيتش، وهوفانيس شيراز، وتاراس شيفتشينكو، وفلاديمير مایاكوفسكي، ومامید إسماعيل، وبيلا أخمادولينا، وميخائيل يوخم، وإيدا فيربر وغيرهم من الأسماء اللامعة.
- عام 2006 جذبت اهتمام الجمهور مجموعة أعمال الشاعر المؤلفة من ثلاثة عشر مجلدًا.
- حصل أورازبايف على جائزة «تارلان المستقلة»، وكأس رعاة العلوم والفنون في كازاخستان على روايته التراجيدية «ماخامبيت» التي صدرت عام 2003.
- فاز بالجائزة الرئيسية في العديد من مسابقات الشعر، وفاز أكثر من مرة في مسابقات المهرجانات الشعرية في تخصص الأعمال الدرامية.
- فاز بجائزة الدولة من جمهورية كازاخستان عام 2002.

المبارزة

أحياناً أرى بوشكين خلال الأيام والسنوات.
ولكن، الثلج الأبيض ضرب الرأس الأجعد،
ربما لم تذلَّه الحقبة.
وكان سعيداً بالمبارزة،
تلك نفسها ...
المصيرية ...

حسناً، في هذه الأيام، حيث تحظر المبارزات،
ظِلُّ ليباجي ينزلق على ظهري أيضاً؟
والفارس خلفي يطير إلى الهدف القاتل -
كله بالأبيض على حصانه الأبيض.
وأنا أبطئ خطواتي في هذه المسابقة.
دعه يتأكد من خلال طبقات السنين
أنِّي شاعر آخرُ: لستُ بوشكين مع مسدس،
وإنما أنا نفسي - مثل الموت - في نفسي مسدسٌ كامنٌ.



تَنَفُّسان

هناك نوعان من التنفس البشري،
يبدو أنهما يستبدلان بعضهما البعض وبدون تَسرُّع.
الشهيق - تستيقظ فيك قوة الوعي.
الزفير - تتركك الحياة إلى الأبد.

الشهيق والزفير - كم هما ملتزمانِ بالأهداف؟
الشهيق والزفير - هل مرَّت ثانيةٌ أم قرنٌ؟
الشهيق والزفير - هل هما عزرائيل مع جبريل؟
منذ أن امتلك الإنسان التنفس
شهيق وزفير.

لحظة لقاء ولحظة فراق.
تكرارُ الصوتين في روحك.
الشهيق والزفير -نوعان من التنفس البشري،
مثل العمل الأبدي للساعة الرملية.

الشهيق والزفير -هما مثل حلم غير مرئي.
نوران، بينهما يسيرُ كلِ شخص.
الشهيق والزفير - هما أولاً مثل النصر
الذي بعده، للأسف، دور الهزيمة.

أنا أتنفس -هذا يعني أنني أبتهج، وأبكي.
أسخنُ تحت الشمس، وأتجمَّد في الظل.
عالمان يمنحانني الحزن والحظ.
بالنسبة لي الموت والخَلود هما يمنحانِني إياهما.

الجنة والجحيم يحومان فوقي في دائرة.
خلف العذاب يسرع النعِيم.
النور يصبح ظلاماً.
لكن هذا العذاب
من أجل حياة صلبة مريحة لن أتنازل عنه! ...



صرخة الروح

واي، واي،
لا تدق القلب!
إذا كانت جميع أشجار الدردار،
كلِ الأشجار
ستتحركُ من الترحال،
وتتحوّلُ إلى مهد
نحو الفرح الشاملً،
والأخرى ستكون
قبراً تحت الركام الثلجي،
وواحدة ستتخلَّف،
ستصبح مشنقةً...
استجابةً لحكايتي
ما بك
هدأتِ فوراً؟
لا يوجَد جلاّدٌ
في هذه المرة
وسطك؟
الشعرُ
في المهد هدأ.
القلب في النعشِ
يعذّب القدر.
لشنقَ
الجلاَّدُ اللعين
الشاعرَ
على المشنقة،
فوق السهوب
الأم...
أنا- أمامكم!

الانضمام إلى السلالة

أعترفُ بكَ قديساً،
أنا على استعدادٍ لأن أكون قرباناً لك.
يا ضيائي، عش طويلاً، ولكن
لا تأسف إن كبِرْتُ.

لا تحاول أن تغويها، أيها القمر،
ولا تفتنيها أيتها الشمس.
ما دامت هي تمشي وتتنفس،
هناك حبي من النظرة الأولى.

لا تظهر ضعفك،
نحن أقوياء، نحن أقسى من الزجاج.
أغاني التهويدة (١) أغنيها
أنا لك، مثل السماء والحقل.

طوال الوقت أنت وأنا معاً،
الشعور بالوحدة لا يليق بنا.
حتى إلى الترابِ سنذهب سويةً،
ولكن حتى هذا سيكون علينا قليلاً.

المنطق غير المنطقي

أيها الإنسان،
لماذا خُلِقت؟!
نوعٌ بلا لجام
أنتَ لا تستوعب نفسك-
أيُّ حماقة؟!
ضجرتَ
أو مكثتَ
وحيداً
غير متوازن؟
تقول،
ماذا تفعل؟ لا!
لا!
لا!
لا!
تفاهة!
هراء!
خسارة!
لدى البطل
كل شيءٍ - فجٌّ،
غير مطبوخ جيداً،
غير مقليّ جيداً،
استوعب: من هو؟
لماذا أنت بلا عقلٍ؟
ماذا خَلَقتَ - أرني.

أي أنواعٍ هذه،
منعطفات وسراباتٍ؟
أثبت!
كذبٌ، كذبٌ، كذبٌ!
تكذبُ، تكذبُ، تكذبُ!
تكذبُ بصفاقةٍ!
على الاستماع غير عازمٍ.
مَنْ لا رأس له،
يعيش بدون عقل.
وأنت عشْ-
ابكِ، قَهْقِهْ، كُلْ،
احتفلْ بالأمل،
زَمِّرْ بالمزمار!
تصرَّف كالقرد!
مُتْ بالصدفةِ.
هَدِّر بهدوءٍ
مثل قطٍ عجوز،
وتَشَرَّد!
وإن كنتَ لا تبكي -
ماذا تعني؟
وإن كنتَ لا تضحك،
لا تضطرب في صرعٍ،
لا تأكل، لا تشرب -
أنت قملةٌ،
ولست بخالقٍ.
أرجو المعذرة،
التقمُّص

(١) تهويدة: أغنيّة هادئة رقيقة تغنّيها الأمّ لتُشجِّع طفلها على النوم ، وتعتمد هذه الأغنية على التكرار وعلى الإيقاع البسيط والكلام الذي يجذب خيال الأطفال.

مستحيلٌ
وكذبٌ.
بالنصيبِ الأفضل،
بالإرادةِ الحرَّة -
ليس بالعقلِ-
صَلِّ، اِخْضَع،
اِرْكَعْ له،
توجَّهْ إليهِ،
تَأَمَّلْ.
اِسمُ بروحكَ،
وسَيهبُ لك القدر،
أيها المسكين،
الحبَ والشجاعة.



كي تموت...

شَبَّهتُ نفسي بالسماء!
هذه الفكرة تُقضُّ مضجعي.
أغنية الحياة أؤلفها بنفسي،
والحرية تلوِّحُ لي بيدها.

أنا لست آباي القاهر.
إذا كان هناك ثمة شيء خاطئ أندمُ.
هذه الأغنية لا تنسَها يا أخي،
لا أستطيع إرضاء الجميع دفعةً واحدةً.

تعلّموا كتاباتي،
لأجلكم ولُدتُ أنا شاعراً،
والروح للخلودِ واحدةٌ،
وأعتقدُ أنه لا يوجد خلود.



أحبك

إذا انفصل
عن الجمجمة
فكّي
يشعر
بالسلطة
وبأسنانه
يحفر القبر
قاضماً
الطبقة خلف الطبقة،
وينطق بالاعتراف:
أحبك،
يا روحي،
كما يحب الميتُ
قبره.
تخشبت،
تجمدت،
أحبك،
يا قدري
مثلما يحب الله
عبده!



رقيقٌ كزهرة

الحياة حقيقة، الموت يبدو كذبة
لا تندم على ما فات، لا تغضب.
بإمكانك أن تنظر بسعادةٍ إلى الشمس،
مثلما تتبادل مع امرأة النظرات.

بدفءِ الأرض تنعَّمْ
وكنْ قوياً مثل حجر الغرانيت.
فأنت تمتلك القوة على الطبيعة،
أَدِرِ الأرض الدافئة بيديك.

حجر الغرانيت، الإنسان، الزهرة –
دائماً يعيشون في ثلاثة مظاهر.
وإن شكَّكت، لا تكن قاسياً،
لا تدع هذه الوحدة تختفي.

ولا تقتلعْ أيًّا منهم بمفرده،
اقتلعهم جميعهم، وسيكون ذلك صحيحاً.
لا تؤذِ في حياتك أحداً،
وستكون نعمتك لا حدود لها.

اقتلاع الزهرة منطقيٌّ،
عندما تموت الزهرة من الإنسان،
فلا تفخر بنفسك، أيها الإنسان،
كي لا تصبح عن غير قصدٍ وليدَ القرن.

عندما يُضربُ شخصٌ ما على رأسه،

فإن الكذبَ يعطي براعمه.
وفي مكان ما تحت السماء الزرقاء،
سيندفع الكذبُ في عربةٍ قذرة.

أنا أعرفُ بالتأكيد، الإنسان-الزهرة-
الحجر - هم تجسيدٌ للإنسان.
وجميعهم لديهم أجَلهم على الأرض.
وكل واحدٍ بمفردهِ عاجزٌ.

وهل هناك مَنْ لا يخاف الكذبَ،
ولم يجرِّب سحرَهُ وسُمَّه؟
ربما هناك، ولكنْ من عاشَ بشرفٍ،
شاهدَ الكذبَ المستهزئَ بالقربِ.

هناك سرٌّ عصيٌّ على العقلِ،
الزهرة دائماً تسعى إلى الإنسان،
وترغبُ هي أيضاً أن تصبح في النهاية
حجراً وتعرف كل أسرار الزمن.

أُبارِكُ التحالُفَ الثلاثيّ،
فليتعزز، ولصبح نهارك شمساً،
وليلكَ شمساً أيضاً، وليس عبئاً ثقيلاً،
وليتحطَّم كالأطباقِ كل ما هو سيئ.

كنْ مُنصِفاً! السعادة والحزن
اقبلهما كحقيقتين حياتيتين،
وجسدك الرقيق، مثل زهرة الحداد،
أنزل جسدك الحجري في التراب.

أغنيتي

أسمعُ أغنيةً قديمة، هي
لا تسمعني.
بحبلِ صمتٍ من الشَّعر
على رقبتي النحيفة تخنقني.
أغنيتي القديمة
تضربُ يافوخي الحجري،
محتفظةً بالخلودِ،
تحسبُ الزمن.
في نهاية المطاف ستتعب هي أيضاً.
في يوم القيامة تنتحبُ
وتبتلعُ الحزنَ كليًّاً،
رائعةٌ، محبوبةٌ، شيباءُ!
في الماء لا تغرق، لا تحترق في النار،
تمنح للبدايات الحضنَ.
وأغنيتي تعيشُ فيَّ،
أصلّي كي لا أفقدها أنا.
الأغنية تطفئ الدخان الخانق حولها،
وقد تنفجر مرارتها فجأةً،
تمشي في الحياة حزينةً
هي مع الحقيقة المجرَّدة،
هي معروفة كأغنية
لا يوجد ما هو أكثر شهرةً منها،
هي حيَّة، لكنها ترتعدُ،
تتمرَّدُ، تغضبُ، تنزعجُ،
لكنها معروفة أيضاً كمُغَنِّية وتحمل العالم.

ومهما كان فكلماتها صحيحةٌ،
مهما كان هي حيَّةٌ!
حيَّةٌ هي! وكما على فيلٍ،
على الأغنية تنبحُ الكلاب.
أصرخُ بهم: كفّوا عن أساليبكم، أيها الحمقى،
لدى السيدة يدان! - أنتم أوغاد.
أنتم تتخبطون بين الأرجل،
المالك بالنسبة لكم - قيصرٌ وقدّيس.
أما أغنيتي فهي، كما النسر،
حادّة. هي تسمو عالياً
وبصلابةٍ على الأرض تقف.
أما أغنيتي فهي لا تخفي قط أيَّ شيءٍ
يحمل الخير.
لا تُقَيَّدُ بسلاسلٍ،
لا تهدأُ في حضنِ الليل.
لغزُ العالم، سَنَدُ الله
لا تخفضُ عيونها.
أما أغنيتي فهي بلا جدال -
بذرة حب، وجزءُ نورٍ.
يتماشى معها
القرآن والتوراة،
وكلام العهد القديم.

لديَّ كلُّ شيء

وأنتَ تعلم أنَّ لديَّ كل شيء،
كل ما يعيش به الإنسان ويحيا.
لكنّي أحياناً من الجليد والنار
لسببٍ ما أتعذَّبُ بصمت.

من الحزن يجري في دمي سمٌّ.
في روحي عسلٌ يذوبُ في الفرح!
لديَّ قلبٌ وكبدٌ ورئتان - بستانٌ
لا ينبغي فيه لمس التفاحة.

إذا ما اسودَّت هي فجأةً،
سوف أعتقدُ أنه ليس عبثاً
أفضلُ أيامي معدودةٌ،
وقلبي تحمَّل الحريق.

مثل أي شخص، وُهِبَ لي جسدٌ،
ولساني يغنّي دون أن يحترق.
وأنا أعيشُ دون أيّ مشاكل.
ذلك هو نصيبي.

فيَّ صحراءٌ حتى السماء،
فيَّ بحيرةُ مياهٍ عذبة.
وبالطبع فيَّ غابةٌ،

لم تعرف الحزن في حياتها.

أحْلُمُ وأضْحَكُ بصوت عالٍ،
أبكي مُخفياً حزناً هائلاً.
في قلبي روحٌ لم تنكسر،
وحِفظُها هو النجاح.

أكون غبياً في بعض الأحيان،
وفي بعض الأحيان أكون نبياً! ...
الصيف، الخريف، والشتاء مع الربيع
أستقبلها بالابتسامة قبل أوانها.

ولكن أليس هذا كثيراً في حياةٍ واحدةٍ؟
لا أستطيع أن أعيش خانعاً،
لا تحاول قتالي
وضرب العنق الشامخ.

وأنتَ تعلم أنَّ لديَّ كل شيء،
كل ما يعيش به الإنسان ويحيا.
لكنّي أحياناً من الجليد والنار
لسببٍ ما أتعذَّبُ بصمت.

اللهب المُتَوَهِّج

أنا قاسٍ،
أنتَ أكثر نعومةً من الزغبِ. فوقك
كم هو حلوٌ أن ينزلني القدر
وأن أمتلك جسم بجعةٍ.
في نوبة جريئة
أن أبلغ لشيءٍ في حبي
عندما يغنّي العندليب الروحي
لحناً معسولاً
مقاوماً الأبيقورية(1) ،
بحيث الفجر، ملتهباً ومتوهجاً،
يبلغنا، نحن العشَّاق، ونحن
من الأعلى مائلون بأجسادنا،
ومن الأسفل بعقدةٍ متشابكون.



(1) الأبيقورية: نسبة إلى الفيلسوف اليوناني أبيقور، وهو مذهب فلسفي مؤداه أن اللذة هي وحدها الخير الأسمى، والألم هو وحده الشر الأقصى.

الله وحده

لا
في شباط،
لا
على الأرض!
لا
في نيسان،
لا
في المهد!
لا
في مكان الشرف،
لا
في توراة
اليهود،
لا
في الكتاب
المقدَّس،
لا
في «القرآن»،
لا في القربِ،
لا في البعدِ...
في روحي،
في عينيّ
منذ زمنٍ بعيد –
اللّه وحده!



تحية إلى موطني

يا موطني،
يا جنَّتي الأرضية،
تقبلي تحيتي!
هنا في الصباحِ
ولُدتُ
وهنا سأموت.
بروحي القوية كلها
سأرقدُ في ترابك بسلام.
ضريح كوركيت(2)
مفتوحٌ للجميع.
به، شبيه القمر،
به، العظيم
تَشَبَّهوا
وشعروا بالعزاء.
يا أرواح(3) ،
رافقي رمادي.

أيتها التماثيل البرونزية
التي تبدّل أسماءها
وأشكالها،
وتسبح في الغيوم
إلى عوالمَ أخرى،-لك التحية، أيتها العزيزة!
لا تَقْسِي على نفسكِ،
أخبريني: هل ما زلْتِ حيّةً؟

(2) كوركيت: شاعر أسطوري تركي عاش في القرن التاسع الميلادي، من أقواله: "إذا لم تتذكر الموت، ستعيش إلى الأبد».

(3) أرواح: أرواح الأجداد عند الكازاخ.

حيّةً في الدجى،
وعلى الأرضِ؟
كلُّ ما أخشاه...
إلى روحي
لم يأتِ
عزرائيلي؟

جنتي -
ناري
عّسَلي -
سُمّي.
الناس يصرخون:
« سيموت شاعرُنا! »
ولكنْ لا تأْملوا
لا تتخبطوا في الآلام-
لستُ أنا من قال:
«لا تُشتِّتوا
بازاركم!»
ولكنْ هناك خبرٌ:
عندما يموت الشاعر،
لن يموت كلّه!

وإن حدث ذلك،
فإن نظر السماء سيميل
وهي تنظر مُنهَكةً
إلينا،
وتصبُّ الزرقة
من عينها.

لِمَنْ يعودُ هذا اليوم

لمن يعودُ هذا اليوم ؟
مَنْ يجمع « عطايا الل ه»؟
مع منْ سيدير « الأخوة » المتشردون
شؤونهم العامة؟

الذين تجرَّأوا بنسيان الماضي،
داخلهُم فاسدٌ،
تحت « سقف » المسؤولين
مستعدّون لأن يبيعوا أمَّهم مع أبيهم.
الذين نسوا اليومَ أسلافهم،
ظلّوا للتسمية
بلا آذانٍ - عبيداً (4)
لقدرهم الخاص.

لا تراوغ !
أخبرني، لمنْ هذا اليوم؟
اللصوص والمحتالون
ينهبون ملاجئنا
ويطعمون القمل الجائع،
ولا تطرده إلى الوراء.
خرجوا زاحفين من القذارة
ويتصرفون كالأمراء.
غطّوا الشرف بجلدٍ قاسٍ،

(4) في الماضي كانت تُقَطَّع آذان العبيد.

وكسوهُ بفروة جعداء.
أيُّ قذارة هذه؟ أيُّ تفاهةٍ هذه؟
لِمَنْ، أخبرني، هذا اليوم؟

الجشِعُ يتهافت على التبَجُّح،
لدينا الكثير من أمثاله.
يقرقعون حول الحدّ،
ويستنزفون الصفحات:
« فوضى! أوه، فوضى!
هل ستجنّب المصائب ! »
أيُّ كأسٍ هذه؟ أي فوضى!
كلُّ شيءٍ من أجلنا... وكلُّ شيءٍ ليس لنا !



سيريك آكسونكارولي

(ولُد عام 1950)



- شاعر وكاتب مقالات وفي صحافة الرأى، درس في معهد قاراغندا التربوي وجامعة كازاخستان الحكومية. وقد نشرت أول أشعاره في مجموعات الشعراء الشباب مثل: «نفس الربيع» عام 1975 و»طائر السنونو» عام 1980. وقد أثبتت تلك الأشعار موهبة شعرية جديدة ومبدعة دخلت الشعر الكازاخي.
- في قصيدته البانورامية «عشرون حدثًا في القرن العشرين» قدم الشاعر تأملاته حول النكبات الاجتماعية والسياسية التي وقعت في القرن العشرين ومصير البشرية والأمم وكذلك المشكلات الأخلاقية.
- الرقابة سمحت بنشر هذه القصيدة بصعوبة شديدة وخرجت إلى النور عام 1984 بدار نشر «جالين».
- في وقت لاحق عاد الشاعر إلى تقديم هذا العمل من وجهة نظر القرن الجديد وقدم للقراء نسخة جديدة بعنوان «فولينت» عام 2012.

- حتى الآن أصدر ما يقرب من عشرة دواوين شعرية ومنها «الفيضان» عام 1988، «الغروب» عام 1990، «مخطط القرن» عام 1992، « آدم – حواء » عام 2000، «الحياة حول الشمس» عام 2005، «ألماز في السماء» عام 2005، «قصيدة القبجاق» عام 2008، «الغابة السوداء» عام 2012، «اوزان» عام 2015، «موتسارت وساليري» عام 2015، «تأملات حول القائد التركي قولتيجين». وفي عام 2014 صدرت أعماله كاملة في مجلدين.
- ترجمت أشعاره إلى اللغات الإسبانية، والأذربيجينية، والروسية، والأوكرانية، والتركية، والقرغيزية، والمنغولية.
- قام بترجمة أشعار آنا أخماتافايا، ومارينا إتسفيتايفا، ونظيم حكمت، ويفجيني يفتوشينكو، وروبرت روجدي ستفنسكي. كما ترجم الكثير من الأشعار التي كتبها شعراء آسيا وإفريقيا.
- حصل على جائزة «ألاش» الأدبية العالمية ويعتبر شخصية مرموقة في كازاخستان.

عسلُ الأعوام البعيدةِ الحلو

كلُّ حملٍ مقدورٌ عليه،
والقلبُ يدقُّ بقوةٍ وحشيَّة
من كلمات: «أتريد أن أعلِّمك
التقبيل يا عزيزي ؟ »

شَبَّ النهارُ الخريفي،
كنت على استعداد أن أسرجه.
تأرجحَ وصرَّ السور
من العناق الأخرقِ...

فضَّةُ القمرِ الشيباء
جمعتْ شَفتينا.
مثل مُكعَّب متعدد الألوان على ضلعٍ
انتصبَ العالم وتدحرجَ...

تلك السعادة استمرت عاماً كاملاً!
لا أعرف أحلى من ترقب
عندما ينتظر القلب الصديقة
للقاء التقبيل!

ولكن لم يكن هناك يومٌ أشدُّ حلكةً
من ذاك اليوم الذي رأيت فيه
معشوقتي عند العريشة
تُقَبِّلُ شاباً آخرَ!

وأقسمتُ أنا: لن
تكون الفتيات محبوبات لي قط!
...وبدون جهد
أرجعتني في وقتٍ لاحقٍ شفاهٌ أخرى...

نحن جميعاً
من القرية النائية

مناخٌ مميزٌ كان في منطقتي -
كنا مَرضى بالشعر الرفيع.
وعلى القريةِ، مطراً مندفعاً
هطلتْ فجأةً أبياتُنا!

وقد تكون الصورة مغايرةً، عندما
فتَّشت روحي عن الشعر في الهضابِ، وفي المنحدرات،
وبعدها حتى سطح بلخاش
ساري آركا (1) تنفستْ شعراً.

دربُ الشعراء - ذلك هو دربنا المنشود،
تلك هي رسالتنا ودعوتنا !
شيءٌ واحدٌ أفسد سعادتنا: « ألكاش (2) »،
ذلك كان اسم قريتنا.

بيد أن كلُّ واحدٍ منا كان دؤوباً،
مثل الأجنحة النارية للإعصار.
« اليوم روما، وغداً القرم » -
أليس عنا قال الكازاخ هذا؟

(1) ساري آركا: السهوب الذهبية.

(2) ألكاشي: سكارى.

أزهرَ في القلوب الربيعُ المنشود،
مشينا وعملنا بجدٍ.
وسيدعونا في الأزمنة القادمة
أسطورةَ الحقبة السوفييتية.

فيها أغانينا ما زالت إلى اليوم تصدحُ.
نحنُ مواصلة الأجيال المجيدة!
بعيدةٌ، لكنها لا تزالُ عزيزةً
كلمات القديس ذي الاسم الداوي «يسينين»!

الشعرُ اليومَ غير ضروري...
بالتأكيد سيأتي قريباً زمانٌ
تختفي فيه قبيلتنا أيضاً،
مثل «القبائل الهندية» بدون أثرٍ ؟

أغنية الذهب الساحرة

« الذهب قال: سأفْتَدي... »

« الفولاذُ قال: سَأَسْلُبُ... »

(ألكسندر بوشكين)

الضميرُ مجرد كلمة،
الخجل والعقل يفقدان جوهرهما،
لأنَّ الأنا مستعدةٌ
لأن تتخطاهما.

لا أُسَمَّى ذهباً عبثاً
منذ زمنٍ.
منذ زمن أصبح سلعةً بالنسبة لي
الإنسانُ الرَّخيص.

تعرفون، أيتها المخلوقات البائسة:
أنكم كعشب الريش!
بلحظةٍ بسبب عدم الطاعة
سأبيعكم ومن جديد سأشتريكم!

تعرفون، أيها المعاندون المميتون:
حتى بوشكين ليس فرماناً بالنسبة لي!
لا يتوجب عليَّ
أن أحاول تهدئتكم!

إذا اقتضى الأمر - من السماءِ
سألقي مجموعة من القنابل -
بالإضافة إلى الذريّة والهيدروجينية
سأجد نيوترونية أيضاً!

أنحتُ ملوكاً وعروشاً
وبمقدوري أن أُسقطهم بلحظة.
الويلُ لن يمسُّ منكم
الحُكّام الذين أزرعهم!

والشعبُ، مثل القطيع،
يتحمَّل ويصمتُ،
حتى وإن جلس الجلاَّدون
بإحكامٍ على رقابكم!

الإمبراطور والسناتور -
هناك فرقٌ بينهما من حيث الثمن -
كلُّهم جنودي
في الحرب غير المعلنة

ضد الجميع. والقوات
من أجلي تسقط في المعركة،
والشعراء المأجورون
سيتغنّون ببهجةٍ بمآثري!

نعم، عن النساء لا تراجُع!
سأغويهن من جديد
وأيُّ مظهر،
مثل الأفاعي، مستعدٌّ لأن أتَّخذه!

الأبطال الباخادور(3)
سأهزمهم في خمس دقائقَ،
وهم إلى ثغورِ
الأعداءِ بسعادةٍ سيذهبون.

كما لو كانوا من أجل الوطن
يأخذون تاجهم،
من أجلي يقبلونه
ومن أجل قصري الأبدي!

بأن جيوكوندا قبيحةٌ
سأُوحي إلى الجميع! عملٌ تافهٌ!
أنا الأعجوبةُ الوحيدة!
يدعونني الذهب!

(3) باخادور: البطل الذي يتمتع بقوة ضخمة.

أفعى مُرقَّطةٌ
تخرجُ من الرَّحمِ

أفعىً مُرقَّطَةً خرجت أنت من الرَّحمِ
الأم... ولكن كيف أعالجك،
إذْ نحن - أولاد بذرة واحدة،
والأرض الأم ولُدتنا بحبٍ؟

الآن أنت غارقٌ في الأفكار السامة،
عيناك الفارغتان مليئتان بالحقدِ،
تعضُّ بلا رحمةٍ وعلناً
الصدر المقدَّس لبدكِ-المرضِع.

كيف لا أستسلم لهجوم الشر؟
العدو قريبٌ، أفهمُ ذلك.
بكلّ كياني أشعر بالبرد من الخوف:
إلى داخلي تزحفُ أفعى متوحشة!

أنتِ منذ زمنٍ وجدتِ الطريق إلى بابي.
تسللتِ في شقوقِ مسكني.
وتنامين على صدري... كم
من السمّ وضع الشرُّ في لسانك!

أوه، كم أود مع أغنية الشجاع - ليس الجبان-
أن أبتعدَ عن الشائعاتِ الشريرة! ولكن
هل مُقَدّرٌ عليَّ أن أَموتُ من لدغةِ
أفعى ولَدتُها أنا؟

للأسف، خاضعاً إلى هذه القوة الشريرة،
سأموتُ معها - وذلك هو الحزن...
حسناً، أيتها الأفعى، أنت هناك أيضاً، في القبرِ
الدغيني من جديد، الدغيني!

بحيث أغمض عينيَّ متعباً،
بحيث أغرِقُ في نوم العدم...
وإن خفتِ علي أسنانك اللاَدغة،
عندها سَأبعثُ بالتأكيد!

مشاعرُ تينغري (4)

إلهُ السماء تينغري منحَ في وقت ما
الأرض للناس كرماً منه:
«هي للجميع: للفقراء والأغنياء،
هي تكفي لملوكنا أيضاً !»

استولت القوات على قناطر القلاع،
والأولاد على سفوح الجبال،
مربو الماشية على المراعي الواسعة،
الصيادون على الغابات الكثيفة.

أرضى تينغري الجميع ! لا يوجد مكانٌ
يستقر به الحزنُ البشري ! ولكن - من أين السرعة ! -
صيادو السفوح الجبلية الحاملة للذهب
أرادوا أن يستولوا على السماء أيضاً !

« كل الهواء لنا ! » - أصحاب الأرواح النجسة
عثروا على طرق جديدة إلى الثروة. -
أطلّ وجودك الدنيوي !
«ادفع لنا الآن ثمن كل نَفَسٍ ! »

(4) تينغري: تنكري-أحد أسماء أكبر وأهم إله في عقيدة الترك.

عندما جاء شاعر متأخر
من أجل حصة متواضعة،
فعلى الكوكب من الرمال حتى الملح
لكل شيءٍ وُجدَ سيدٌ!

بقي نعشٌ أسود... « أوه، أيها الغبي!»
غضبَ إله السماء عليه
وقال في انزعاج قاس:
« أين كُنتَ أيها الكائن ؟ »

« اغفر لي يا رب! -أجابه.-
هكذا، يبدو، مكتوبٌ في مصيري:
كنت أفكِّر في كل شيءٍ في الدنيا
ولم أتمكن من التفكير في نفسي ! »
لانَ تينغري: «سأمنحكَ جنحة،
بحيث تنقذ دوماً من الغرور
أولئك، الذين في المشاغل الدنيوية نسوا
أن السماء ما زالت فوقهم!»

باركْ يا الله في الدرب الطويل
حتى أرواح الأجداد تنسجم مع الناس.
منذ ذلك الحين يحلِّق الشعراء في الغيوم.
لا تصدِّقْ ! ارفع عينيك إلى السماء !



أنا-الأغنية الأصيلة
لساك (5) الحقيقي

مُشَرِّفة للكازاخ كلمةُ «أَسوَد».
أودُّ أن يدعوا شعري هكذا!
مثل ساك، دائماً أنا في السهوب الشاسعة
على جياد رشيقة!

أنا على بيغاسوس(6) - المجَنِّح الأبي -
لا أتخلى عن شعب سهوبي،
في هذا العالم المادي محاربٌ في الهجوم
روحي مع الأغنياتِ تسير إلى المعركة.

صوتي الداوي سيوقظ السماء،
سأكون موضع حسدٍ لأولئك الذين يتحركون على أقدامهم!
على شفاهي وضع الله تلك الأغاني،
كي أُردّدها بصوتٍ صاخبٍ.

الحكَّام الدنيويون لا يرعبونَني!
أُحَلِّقُ تنيناً رهيباً فوق الأرض!
الكونُ متعدد الألوان والمظاهر،
دائماً في وليس دائماً معي!

(5) ساك: من ساكي – إحدى قبائل البدو الرُّحل في آسيا الوسطى.

(6) بيغاسوس: الحصان الأسطوري المجنِّح في الميثولوجيا الإغريقية، أنشأه بوسيدون، وكان له دور كبير في الأساطير.

من الغيمة السوداء في السماء العاصفة
أعصِرُ أمطاراً سوداء
لتكن أكثر الأسس قوةً
لكلِّ ما ينتظرنا في المستقبل!

الغيمةُ تُظهر لي المودَّة،
أَشْربُ الخمرَ اللاذع لأبياتِ حافظ،
وبوشكين مستلقٍ لديَّ في معطفهِ
بحجمِ حبةِ القمح!

قدَّم لي الفودكا الآن،
شعرت بالغثيان... ولكن بعد أن بدَّدت الظلام،
هبطتُ مراعياً العُرف المقدَّس
إلى الشانيراك(7) العزيز الوحيد!

أوه، يا تينغري، بالرعدِ وبلمعانِ البرقِ
باركْ تحليق روحي!
على الأرضِ وفي السماء أذكرك،
يا ألاش(8) ، أذكركَ، يا شعبي العزيز!

(7) شانيراك: الموطن.

(8) آلاش: مرادفة لكلمة "كازاخ".

قَدَري - القضاء والقدر

أه، يا قَدَري،
هلْ أنت مطرزٌ بالحروف الرونية القديمة؟
كيول-تيغين(9) -
راكعٌ عند الخان كولتلوغ-إلتيريش(10) .
كونانباي -
في آباي(11) العظيم أبصرَ الأبوّة،
آليخان(12) ...
مواصلة جديدة لنور مُحمَّد.
ومختار
كان الابن المطيع والبار
لماغاوين الأبيِّ
المنسي.
وها أنا أتوهجُ بالشرف الأبيِّ، ذات مرة
جلست، مثل قيصر مع مجلس شيوخٍ حكيم،
حضن المسنين
كان بالنسبة لي أكثرَ تكريماً من العروش!
عل الرغم من أنني
رأيت في وقت لاحقٍ كثيرين مذهَّبين آخرين...
طاردت السراب قصص معذَبي كارلاغ(13) .

(9) كيول-تيغين: قائد سياسي وعسكري للخانات التركية الثانية.

(10) الخان كولتلوغ-إلتيريش: خان تركي، مؤسس الخانات التركية الثانية.

(11) آباي كونانبايف: شاعرٌ كازاخي شهير.

(12) آليخان: نورمحمد بوكيخان: رجل مجتمعٍ ودولة.

(13) كارلاغ: معسكر للاعتقال والعمل من منظومة إدارة السجون والمعتقلات في وزارة الداخلية السوفييتية، حيثُ كان العديد من ممثلي الطبقة المثقفة الكازاخية.

لم يتمكن تينغري-ستالين أن يقهر شجاعتهم!
أه، يا قَدَري،
هلْ أنت مطرزٌ بالحروف الرونية القديمة؟
كيول-تيغين-
راكعٌ عند الخان كولتلوغ-إلتيريش...
كونانباي -
في آباي العظيم أبصرَ الأبوّة،
آليخان-
مواصلة جديدة لنورمحمد.
ومختار
كان الابن المطيع والبار
لماغاوين الأبيِّ
المنسي.
وها أنا أتوهجُ بالشرف الأبيِّ، ذات مرة
جلست، مثل قيصر مع مجلس شيوخ حكيم!
أبي هو مجلس شيوخي! وليس عبثاً أعتز بذلك:
جثمت على ركبتيّ أمام آكسونكار(14) نفسه!

(14) آكسونكار: اسم والد الشاعر الذي في ترجمته عن الكازاخ يعني الصقر الأبيض.

الحياة ...
هي دورانٌ حول الشمس

تهدر،
ترتعد بقوةٍ
تلك الكرة التي تسمى الأرض.
بيد أنها
لا تغير مدارها
حول الشمس المحمية!
هنا الانفجارات
ترعد عشوائياً،
ولكن وفق القوانين الصارمة
مع الكوكب في الفضاء تطيرُ
سجونٌ وملاعبٌ.
هنا صفوف عربات أطفال،
في حدائق المشي الظليلة،
آثار قوافلَ جديدة
في الصحارى الحارَّة بإجحافٍ.
هنا في نفوس الناس يعيش
خيرٌ، لا مبالاة، حسدٌ.
ومع أرضي

أدور أنا أيضاً حول الشمس.
عالمُ ضحكٍ وأفكارٍ ودموع
وخسائر ومكتسبات وشكوك -
يقف الكونُ حقاً
في أبدية الدوران!
فيه جوهر الحياة المنشود
السعي المقدَّس نحو النور!
وينتهي دربُ الحياة،
عندما تموت الحركة...
لتتحول آلاش الأم
إلى أزهار مَنْ أضاءته بفكرها،
مَنْ هو في سهوبنا كريمٌ،
والأرواح اللقيطة-
إلى رماد.



بيكزات (1)

قويٌّ مثل يديل ومثل جابيك،
علَّةَ الشعبِ حتى النهاية فهمتَها.
أنتَ شبيهٌ بجدِّك، من ذلك الوقت،
حيثُ جُرِّدَ من عرشِه كايساري.
مثل موسي بدون حصانٍ،
عندها مثل الجميع، ترجَّل جدَّك من على حصانه.
شيءٌ وحيدٌ كان عليَّ أن أعرفه –
القدرة على صونِ شرف السلالة.
هكذا يجب أن يكون البيك الحقيقي،
الشخص الذي لا يقدِّس إلا مشيئة تينغري.

قانون رب السماء يحفظه في داخله،
على الرغم من المصير القاسي.

على الرغم من الماكرين الملحدين،
لا تعوي الذئاب الرمادية للقلوب!

البكاءُ يدوي من أعماق القرون،
تطير إلى أرواح البشر دعوةٌ نبوية،

تدعو إلى الوحدة الذهبية
شعبنا الثابت – شعب آلاش.

(1) بيكزات: الشخص النبيل.

(2) يديل: نهر الفولغا.

(3) جابيك: التسمية الكازاخية لنهر أورال.

(4) كايساري: الخان الأخير للأجزاء الكازاخية الثلاثة.

(5) جاياو موسي: شاعر وموسيقي ومغنٍ كازاخي، كان له لقب – بلا حصانٍ – بعد أن جرّده مصطفي ابن شورمان من حصانه.

هيروشيما. 999 غرنوقاً

عن هذه الغرانيقِ الورقية
لا يمكن للذاكرة أن تخبو.
مأساةُ فتىً يابانيّ
من سكان هيروشيما.

لم يكنْ ينقص الألف
إلا طائرٌ واحدٌ – رئيسيٌّ
رائعٌ، على طرفِ القبرِ
يحلمُ به.

يطيرُ خلفَ الطيور الأخرى.
أيها الناس، آمنوا بالمعجزات!
يقتلعُ اسمَ الصبي
هو لدى ذَرَّاتِ الموتِ.

–سأنصبُ تمثالاً في الحجر!
أُردّدُ بغضبٍ. –
مع رقم تذكيريّ:
تسعمائة وتسعةٌ وتسعون...

الأخيرُ من سلالة يامان

– شبيهٌ بسيفٍ معقوفٍ صَدِئ
الأخير من سلالة يامان،
أين هي نظرةُ البرق الوامض؟
أين هو الكلامُ السحري؟
–ما هذا المظهر؟ جاسوس، انظر
كيف يحترق القلب من الداخل
محتفظاً بالأملِ إلى الأبد:
ليس لديَّ ورثة...
يا ابن الحقبةِ الجديدةِ،
لا تضحك...
–آسف. بلا مزح
سأقول: على مرِّ السِّنين
تفاهة أعدائك
ستنهار. ودوماً
سيشعر الناس بمأساتك.
هل تعتقد أن الأمر ليس كذلك؟
على قلبي علامةٌ مُرَّة –
أن دمي لإبليس سفكه
أبناء الشيطان.
« العالم كلّه يحبّني كأمّ! » –
هل عليَّ أن أصرخ كذباً؟
– لن نسمع، مثل ضحايا الأفكار،
أنت ضحية حقيقتي، وأنا ضحيةُ حقيقتك!

والحياة قصيرة، لدرجة أنها أقصرُ من مقبض سوطٍ!
مَنْ يُدمي الأرضَ؟ أليس هو
من يحمل لهيب جهنّم؟
من أجل هذا الإثم الأبدي
سألعَنُ كلَّ ذهبي !
أوه، مَنْ يفتح عينيك!
انظر إلى صفوف القبور!
هناك أفُق السماءِ أسودُ من الغيوم !
هناكَ مَسخٌ يسمى « نيوترون » !
لن أتنازل للعدوِ عن قوسي!
للأسف، لا أستطيع معانقة السماء!
لكن إيماني غرانيت
يحفظُ في قلبي الحب
لرحابة السهوب التي لا نهاية لها!
بالحب المتبادل نحفظ،
هنا روحي اليوم وفي المستقبل
لن تسمح لجسدي بالسقوط!
في السهوب ولدتُ، وهنا
إلى الأبد سأبقى كلّي!
لكن منزلي العزيز
سيصبحُ فجأةً سراباً.
أحقاً ليس إلى مملكة السهوب،
بل إلى المدينةِ مُقدَّر عليَّ
أن أذهب إلى الأبد؟
-كم أنت غاضب!
-أجل، يا ولد، أنا فقيرٌ وحافٍ وعارٍ.
عضني القدرُ مثل كلب!

أنا الأخيرُ في سلالتي...
عندما ينتهي عمري،
تعال إلي أيها الإنسان.
لن أحتاج إلى زهور،
أوه، فقط ألا يتكرر مصيري لك،
وللبشرية كلها !
لا تجرؤوا على تكراره من جديد !
-مفهوم! سيقرر الأحفاد
أن هذا هو إبادة جماعية صريحة،
قتلُ شعب، عندما
غابت العشيرة بأكملها إلى الأبد !
-أنا أعرفُ دافعَ الحقيقة:
متناسياً الضمير والله،
القاتلُ- العالم الوقح،
بعد أن متَّع الناس بالوفرة،
يقفُ على صفوف القبور
مع سؤالٍ: « مَنْ هو إذن الذي قتل؟ »



مونولوج ذئب

الاحتقار لبنات آوى!
أنا احتقرهم،
عند لقائي بالتافهين سأدمرهم!
أنا سيد السهوب الشاسعة،
أنا لا أعرف حياةً أكثر سعادة من حياتي!

سوف أعاقب الجميع في طريقي!
كل قوتي -أنيابي الفولاذية،
مستعدٌ لأن أغرسها في قلب الأعداء!
لن تكون هناك رحمة لأشرس الأعداء!

يا أسلافي الذئاب!
أنتم أسياد السهوب!
كانت معاركم داميةً مع الأعداء!
كم من بنات آوى أهلكتم،
أشعر برائحة الأرض المتعفنة!

يا أسلافي المبجلين!
يا أسلاف الذئاب!
سمعتُ مؤخراً بضع كلمات:
جذورنا مع جذور بنات آوى واحدة-
هل هذا صحيح يا أسلافي؟!

أخبروني، أيها الموقرون، أيعقل أننا أيضاً
الجيف المتعفنة نختارها في السهوب!
مثل بنات آوى نئنُّ في البرد،
نهرع هاربين لدى رؤيتنا العدو!

أحقاً حلّت تلك الأيام،
حيث تبتهج الكلاب الخسيسة؟
يا أسلاف الذئاب!
لماذا أنتم صامتون؟
لا تسمحوا بعارِ الأمهات!

لماذا أبعدتم وجوهكم؟
أحقاً لا تسمعون صرختي؟!
في القرب وحدها بنات آوى، وعواؤهم في الليل...
لكي أبقى على قيد الحياة، يا رب، ساعدني!

منامٌ

طرق العالم وهمية،
يتجول عليها الابن.
تحجَّر وبشكل مُخْزِ
يتصرّفُ أمام أبيه.

أبلهُ! يتباهى أمام الناس،
ناسياً أنه أمام آباي.
صعبٌ أن تشرح للابنِ
أنه يُخزي موطنه.

في صدر الابن انتقامٌ هائجٌ،
آباي محبوبٌ، وماذا عن شاكاريم ؟!
لا يريد أن يسمع أحداً،
لكنَّه في فكرهِ يصدقهم.

هل فقد عقله؟ لا يعرف الخوف،
مثل ماغجان الذي نسي الخوف؟!
كيف سيحبُّ الكازاخ
عندما لم يعدّ هو كازاخاً؟!

البروفسور غاضبٌ. بالكادِ
مسموعٌ حديثه عن مایاکوفسكي ...
سَكِرَ موكاغالي وخرجَ
وينظر باهتمام إلينا...

لكنَّ هذا منامٌ! لكنّهُ كانَ!
كنتُ في الثامنة عشرة.
يا إلهي، لقد أبقاني القدر
كي أحتفظ بالإجابة الآن.

نيسيبيك آياتولي

(ولُد عام 1950)



- بدأت أشعاره في الظهور بالصحافة المحلية منذ 1972.
- تخرج في كلية الصحافة بجامعة الفارابي الوطنية الكازاخية 1974، وفي العام نفسه صدر أول ديوان شعري له بعنوان «بالقرب».
- في السنوات اللاحقة، صدر له الكثير من القصائد مثل: «دندنة القلب»، «عن الأب»، «أغنية المطر»، «لقالق الليل»، «بايثريك» وغيرها من الكتب التي حازت على استحسان القراء في الوسط الأدبى.
- عمل بشكل خاص في مجال الشعر. ومن أشهر قصائده «السند»، «درجات النمو»، «البرق» وهي الجوائز التي حازت على جوائز المسابقات الحكومية التي نظمتها سلسلة إصدارات «ألمانـاخ» أعوام 1976، 1977، 1978، 1979.
- يعد مؤلفًا للعديد من الأعمال الملحمية الكبرى التي كرسها للتاريخ والشخصيات التاريخية الكازاخية مثل: أعمال «بوجينباي»، «بيرديكوجا»، «معركة كاراوتكيل» وغيرها الكثير.
- كتب العديد من القصائد الأخرى مثل: «في الطريق إلى الحديقة»، «كيف ينمو نبات الديس»، «العربة الفضية»، «لماذا الشمس شابة» والتي خصصها للأطفال.
- عمل في مجال الترجمة الأدبية؛ حيث ترجم قصيدة «قلعة إسكندر» لـ نافوي، ورائعة الأدب الروسي القديم «كلمة عن كتيبة إيجور».
- ترجم أعمال الشاعر التركي الشهير يونس إيمري وقصائد شعراء من الصين وقيرغزستان وروسيا.
- ذاع صيت أغانى الملحنين الكازاخ المأخوذة من أشعاره.
- حصل على جائزة ماكاتايف من اتحاد كتاب كازاخستان، وجائزة جامبول الدولية، وجائزة «ألاش» الدولية وكذلك جائزة الدولة من جمهورية كازاخستان.

رأيت في المنام مُهراً

رأيت اليومَ في المنام مُهراً،
مُضحِكاً، كان يمرحُ ويصرخُ بنعومةٍ.

يا صغيري، في أيِّ منطقةٍ تُهتَ؟
بذاكرةِ قلبي أعرفك.

هل أنسى؟ عُرفُك الطائر مع الريح.
عالمٌ متوهجٌ فُتِحَ كأعجوبة.

كانت الأيامُ سعيدةً صافيةً،
من حيث جوهرها، شبيهة بك يا مُهري.

دون أن تعرف القذارة أو الألم،
مثل حجل السهوب، اندفعت بحرية.

دون أن تعرف ماذا ينتظرك في دربك:
الحبلُ مجهَّزٌ لعنقكِ.

شعرتُ بشهرةِ الشاعر،
والمدينة الصاخبة على حافّة العالم.

لقد أُعِدَّ لك انكسارٌ آخرٌ،
ما إن كبرتَ، حتى كَرَّموكَ بسرجٍ.

أوه، يا مهري، يا صاحب العرف المتوهج،
هل يمكن وصف مثل هذا القدر بالسعيد؟

لا يمكن لحصان العمل أن يصبح حصان سباق،
لا يمكن أن يربح السباق في السباق الدنيوي.

قدرك الأبدي - لا نهاية لوخزِ الطريق
والسهل والجبال الضخمة.

بالإضافة إلى ذلك، مهما نقلت من أمتعةٍ،
شيءٌ واحدٌ من صاحبك - الحظيرة والربطِ.

عندما ودّعتك ذات مرةٍ إلى الأبد
عُدتَ، مقلقاً روحي، في المنام

منذ الطفولة، حيث غرّدت الطيور في المراعي،
حيثُ مراراً وتكراراً نظرنا إلى عيون بعضنا البعض.

وفيها انعكست الزهور مع السماء،
وكل العالم مع معجزاته السماوية.

وهل كان بإمكاني وسط هذا المرج
أن أتخيل صديقي المضروب بالسوطِ؟

منذ زمنٍ مرّت الطفولة والشباب،
والآن أقفُ في ممرٍ آخرٍ.

أهمسُ، من مصائبي دون أن أتجمد:
« تعال يا مُهيري، ولو في المنام ! »

قَدَرٌ

في الشارع صادفتُ كلباً ضالاً،
مظهره كلّه بؤسٌ شديدٌ.
وحزنٌ غير معقول
انعكسَ في عينيه الميتتين.

جانباه ممزقان وغائران،
وعيناه دامعتان مظلمتان،
يبدو أنه ضُربَ كثيراً،
يتجنب الناس العابرين.

ينظر بخوفٍ حوله،
كما لو كان لصَّاً، وسطَ منازلٍ هشَّة،
ومَنْ هو العدو له، ومَنْ، ربما، صديقٌ،
يبدو أنه غير قادرٍ على فهم ذلك.

وأنا لسببٍ ما أخذته إلى البيت
وأطعمته حتى الإشباع ما كان متوفراً
وفجأةً، مثل ريح شتاءٍ غاضبٍ،
نبَحَ شكلٍ يائسٍ وعنيف.

ماذا فعلتُ كي تغضب،
فقد كنتَ تَحلمُ بالدفء، كما تحلم بالنعمة؟
فقط أجلسته والحبل في رقبته،
وهو، المسكين، يحتاج إلى الحرية.



الشفَقَةُ والْحُزْن

إذا ما الحزنُ في منعطفٍ حادٍ
تملَّكَكَ من جديدٍ لفترةٍ منَ الوقت،
دَعْ روحَكَ القلقة تسترحْ،
ولِتَغفو ولو لدقيقة.

لا توقظها عبثاً،
بطلباتِك لا تعذِّبَ السماءَ في الليالي.
فقط دع الحزنَ أيضاً يسترح،
إذا ما استقر في صدرك.

ستكون إرادتُك خلاصك.
لتَمُرّ كل الشدائد!
حزنُ العيشِ الذي لا يُقْهر،
بالإيمانِ يمكنُ أن يُقهَر!

لذلكَ احفظه، مثلَ طفلٍ،
لا تستعمله مثل لباسٍ شتوي.
وحدهُ حتى للمكفوفين ساطعٌ،
يهِبُ أملاً لا ينطفئ.

حتى على الحدِّ الأخير،
واضحاً يُسمعُ غناء السماء،
دَعْ الروحَ القلقة تسترحْ،
لا توصلها إلى حدود الصبر.

الصَّخرةُ السَّوداءُ

الصخرةُ صامتةٌ والشاعر يتحدث.
لا توجد في العالم كلمات لم تُقَل بعد.
واحدة، مثل صقرٍ، لا يمكن الإمساك بها،
في حين الثانية، مثل صخرةٍ، ميتة.

الصخرةُ مُجَرَّدةٌ من آلام البشر.
أما الطير، فهو الكلمة الحرَّة!
حين تكون الروح صامتةً،
هي نفسها مثل صخرة سوداء.



نِهَايةُ العَالَم

عندما ترتعدُ من الرعبِ الطيور
وتندفعُ الوحوشُ مجنونةً من الجبال،
والغريرُ والحَملُ لا يستطيعان الارتواء،
والموتُ النَّهِمُ يخرجُ من الجحور.

والدُّب بإذعانٍ يطيعُ الذئبَ
الذي سيضربه على كاهلِه.
ومن السحليةِ ستنسحب الأفعى،
والكلبُ من القطةِ لن يكون بين الأحياء.

والعنزة مع الخنزير يمارسان الجنس -
لن يكون ذلك تحدّياً، ولا جديداً.
وينهق الحمارُ بغباءٍ، كأجربٍ.
والنمر يختبئ عند رؤية جلد الأسد.

الزمن سيسيرُ في مسارٍ غير معقول -
الحبلُ على اليورتا يتحول ثعبانٍ.
الحولان يصبحون طبيعيين في مظهرهم،
هكذا سيراهم من عينه لا تميل.

هناك ستلتقي بأبيك الذي رحل منذ زمنٍ،
لكن ليس بمقدورِ الأحياء إحياء الموتى.

لم يبنِ أحدٌ أضرحةً له:
الفقيرُ فقيراً يذهب إلى الظلامِ أيضاً.

أيُّ حقوقٍ في العالم لدى العبد؟
الغموض - قَدَرهُ الوراثي.

والآن في كل مكان، في تزايدٍ،
سليلو الدماء العريقةِ العظيمة.

النبلاءُ يداهمون من كافة الجهات،
تعال، لكل واحدٍ عرشٌ.
بدلاً من ذلك انضمّ إلى سباق الصراصير،
وقد تغدو فجأةً الأكثر حظاً!



عالمُ الأشباحِ

الغُرَف الملكيَّة، حيثُ يسود الرعب،
ليست بأفضل من كوخٍ هادئ في الجبال.
حتى لو كنتَ مولوداً من جيزتيرناك(1) –
من السهل المساومة على نور النسب.

العالم شبحيٌّ، مراوغٌ مثل نمر.
في الصراع من أجل البقاء لا مكان للعب.
وهل الحبوب حتى الحصادِ تتعب،
عندما ينقط أثرك أيضاً السمَّ؟

النعمةُ أن تكون مستقيماً حتى النهاية،
لا تشيح وجهكَ عن أحدٍ.
وسيكون أصدقاؤك كلهم شِباعاً،
والشَره لا يمكن أن يشبع.

لكنه أيضاً سيرثُ
من الأرض الرحبة كلها قطعةً في مقبرة.
وهل هناك نفعٌ للروح من المكسبِ،
عندما تكون لروح قاتمةً من المرارة.

(1) جيزتيرناك: تعني في الترجمة الحرفية "الظفر النحاسي"- هي شخصية شريرة من الأساطير الكازاخية وبعض الشعوب التركية المجاورة. عادة ما يتم تقديمها في صورة فتاة أو امرأة شابة جميلة مع أنف نحاسيٍ ومخالب نحاسية، تتمتع بمزاج شرير وقوة عجيبة...

ليوجه شراعَك ربُّ العالمين،
ولا تُفَتّش عن عطايا تافهة.
لا تلتقط سمكةً صغيرةً، وهذه وتلك،
لا تُضع وقتك القصير على البُطلان.
وحدها السماءُ بلا بدايةٍ ولا نهاية،
أما نحن، مجبرون على أن نكبح قلوبنا،
مثل القدر الذي لا يُخرج البخار.
الصبرُ وحده الهبةُ التي لا تقدَّر بثمنٍ.



هذه الحياةُ الرَّائعة

في النهار والليل أحلمُ بكِ،
هكذا لا ينقطعُ جريان الماء المتدفق.
لا أُنكر الغريب في القدر،
حيثُ الكثير حدده الصدفة.

غنِّ أيها العندليب بشوق وحب،
عن التي ربطتني السماء بها.
براعم التفاح تنظرُ إليك
بعينيَّ النهمتين.

هائمٌ في العالم على وجهي،
على حافة الهاوية ذات النداء الرهيب
ومن أجلك لا أعثر ولا بأي شكلٍ
على سجَّادٍ مزيَّنٍ بالذهب.

حتى ولو عتَّم العقلَ سرابٌ ...
سيتبدَّدُ قريباً تحت الأشعة.
أرواح الأجداد تضعُ لنا حدوداً
عظيمة، بحيث لا نقطعها.

والسماء ما زالت مليئةً بالمعجزات،
مع الفجر تنسى كل مرارة،
أندفع نحوك، كموجٍ صوب الشاطئ
أو كنجمٍ خرجَ من مداره.

الأفكارُ بالحزنِ تُقْلِقُ القلبَ،
وتقضُّ النومَ بمنامات مُقدَّسة،
حيث كيندباي(2) يُفَتِّش عن المِهار
ذات الذيول الذهبية الطائرة.

ليس من السهل أن تتغلب على التَّعب،
وحياتك المتشابكة هي النتيجة.
ترحلُ، كما يرحلُ الليل،
دون أن تُقلق هدوء الأرض الأم.

(2) كيندباي: أحد أبطال الحكايات الشعبية الكازاخية.

بالنسبة لنا

بالنسبة لنا الوطن واحدٌ، الراية واحدةٌ.
أيعقل أن نضحّي بهما للعدو؟
من أجل الدم والدموع التي سكبناها
لن نبقى للحظة مدينين.

نحن رجالٌ، نتحمَّل كلَّ عذاب،
لنذود عن الحقِّ في وطنا.
إذا ما سقط جدٌّ، إلى المعركة يذهب الحفيدُ،
فقط ليحيا الوطن!

سيرحلُ الأب، والأمُّ سترحل في يوم من الأيام.
يسقطُ الولدُ - سيرفعها السيف،
لكنَّ فقدان الوطن للجندي
أفظعُ بكثير من أن يستلقي في القبر.

فقد كان كلّ شيء: حرائقٌ ودمارٌ.
أحياناً سقطت الراية من الأيدي...
لكنَّ فقدان الروح بالنسبة لنا،
أفظعُ من جميع المآسي، يا صاح!

في موطني الشمس أيضاً أكثر طيبة،
ولكن لكل شيء في العالم ثمنٌ
لذلك، نشيبُ ونشيخ،
ونذكرُ أسماء الشهداء جميعهم.
هناكَ محاربون آخرون وراءنا،
قلوبٌ فتيَّةٌ مليئةٌ بالشجاعة.
بالنسبة لنا الوطن والراية موحدان،
ونحن مستعدّون للمضي حتى النهاية.

السعادة بحجم الإصبع

العالمُ مليءٌ بالمُحْبَطين.
ولكن مهما فقدنا الأمل في النجاح:
السعادة الممنوحة لنا بحجم الخنصر،
في حين تنهال المتاعب بلا حدود.

بإمكانك أن تقتنعَ إلى الأبد،
لو تساقطت الجلود من الغيوم،-
كلُّها للغني، وإلى الفقير
حتى معطفاً ممزقاً لن تَهبَ الصدفة.

في مكان ما اختفي القادة فجأةً،
عشبُ النسيان على القبور العزيزة.
الأيام الخوالي يتذكرها كبار السن،
أما المستقبل، فهم غير قادرين على التنبؤ به.

نحن الآن مذنبون بلا ذَنْبٍ.
لا تَنْبح الكلابُ من الكبر في الليل،
في الظلام ضربت الخيول بحوافرها،
وعلى الفور سحقت العمالقة.

الفقراء كانوا أكثر فقراً،
لكنّهم نهضوا من جديدٍ من الرماد،
مُتَغَلّبين على جوع الأيام السوداء،
مثل جَمَلٍ التهم ركبته.

ما زالت الأرضُ تدور بهدوءٍ،
لكنَّ البشرَ اُستُبدلوا بأناسٍ آخرين.
جاء معلمون من وراء البحار،
لا فائدة تُرجى - لا يوجد سوى مُستنقع.

مثل وعاء يغلي،
نُطْلِقُ البخار، ونُقَوِّضُ الدعائم،
مُشَجِّعين الشر المحسوب
الذي ليلاً نهاراً يُعدُّ الأغلال لنا.

لا أملَ من نصف ميت،
ولا أملَ أيضاً من اللامبالين.
لكننا سنتعافى بمساعدة الخالق،
ونصبح أكثرَ ثقة وأكثر صرامة.

الآخرون تجذبهم الأحلام بالمناصب،
ويتخيلون التلةَ الصغيرةَ قمةً.
يعيشون عمياناً كالمناجِذ،
لا يفكرون بأي شيءٍ عظيم.

حانَ وقت المآثر والأفعال.
أعذروني إن كنتُ قاسياً في بعض الأحيان
وفي الوقت المناسب لم أرَ في الحشدِ
بطلاً يعاني من أجل الشعب.

عزيزةٌ علينا روح المقاتلين الذين لم يستسلموا،
الذين يُربّون بشجاعةٍ الصقور.
مَنْ سيلملم بقايا الشجعان
بدلاً من سرب الغرانيق الصاخب؟

للصدق، كوكبنا مثل قفصٍ
لا يوجد فيه إلا الجشع والخداع والمؤامرات.
ساعده يا قادرٍ على التغلُّب
على أغلالِ الارتزاقِ المخزية.

فهكذا سيبيعون العقيدة أيضاً، رُبَّما...
نحنُ أقوى منهم عندما نكون معاً.
المعركة الحاسمة قادمةٌ
لِمَنْ يخدم الضمير والشرف.

الدفتر الأسود

أمامي دفتر مهترئٌ
في غلافٍ أسود مشقشقٍ.
جربوا أن تتصفحوه
وتَقْرَؤُوه -سوف تفهمون الكثير.
اقرأوا بعنايةٍ، بتأنٍ:
هناك، في السطور -عالم نقي ورنَّان،
وفيه تحلِّق روحي
مثل فرخ حمام بجناحٍ مُصاب.
هناك سهوبٌ، ومساحاتٌ مفتوحة، وآثارٌ مغْبَرَّة
وطرقٌ جبلية مقطوعة،
وهناك فرحٌ، ومذاقُ حزنٍ مُر،
سعادة لم تُلَبَّ وقلق.
هناك دعوة الأجداد وزهور زاهية،
لقاءات مع الآباء وانفصال.
من الطيبِ غير المحقق
في بعض الأحيان سقطت أيدي عاجزة...
هناك تركت بصمات مشاعري
وذاكرةَ أيامٍ لا تُنسى:
لحظات عطشٍ بدون رشفة ماء
وأمواج الحياة الزرقاء الصافية.
في الدفتر هذا غنَّيتُ حلماً،
وحزنَ ابنٍ على منزل الأب،
وجمال الفتاة الحبيبة
التي لم تكن من نصيبي، بل من نصيبه هو، الآخر...
من هذا الحب الذي لم يكتمل
كنت غالباً متجمداً، ولكني احترقت أكثر؛
في روحي والآن تغني العنادل
من شبابي الذي يغلي بعنف...

اقرأوه بقربٍ أكثر، بتأنٍ أكثر:
هنا، في السطور -عالم نقيٌّ ورنَّان،
حيث تبكي، ربما، روحي،
مثل مهرٍ فقد أمه.
هنا صلة الماضي والمستقبل،
ألغازٌ، وأسرارٌ، ومساحات الصدى،
وكل ذلك يعيشُ مجتمعاً في أشعار.
شروقي وغروبي القادم قريباً ...
ألم الفشل، ومشاريعٌ غير مكتملة،
قممٌ لم تقهر، عيوبٌ
والسعادة التي جعلتني أُغنّي،
غنَّيت،
غنيت، دون خجل، في لحظة الحظ السعيد القصيرة!
ها هو الدفتر الأسود -المسودات.
عندما أضحك أو أعاني بسبب الحزن،
أشعاري، مثل الينابيع،
تطفئ العطش بلا كلل.
انظروا إلى عالم الكلمات التي يولُدها القلب!
حيث بالوجه الذي أحرقته الريح،
في الربيع ستجدون أنفسكم في ظل التلال،
تذكروها في المنطقة الخضراء،
وسط الاحوال الجوية السيئة، أو وسط الهدوء.
عندها تلال وهضاب وعالم روحي،
متوسعة في كل مكان في الحدود،
كل شيء-كل شيء لديكم سيدخل في البيابي!
والصديقَ أنتم فيني -سيأتي الوقت ...
ستشعرون به كما لو في الأُخوّة في الدين...
في الدفتر هذا عند ولادة السطور
دون أن أبخل، أَنْفَقْتُ قلبي!

التحليق الليلي للغرانيق

سمعتُ كيف صاح السربُ في السماء ...
كان التحليق الليلي للغرانيق.
لا توجد نجوم، ولا قمر. الغرانيقُ، محلِّقةً بعيداً،
تزاحمت بقلقٍ فوق رحابة الحقول...

كم هي تصيح بحزنٍ، بطريقة هستيرية وبتآلفٍ!
ارتعش قلبي، كوحشٍ جريح، في صدري:
ربما أطلقَ الناسُ النار عليكِ في الأجنحة بلا رحمة؟
أم أن المصيبة انتهت؟ أم أنها قادمة؟...

الأعشاب نائمةٌ بهدوءٍ، أغلقت الرموش.
نادي على بعضكِ البعض، طيري بعيداً عنا...
من الذي طارَدكِ إلى الظلام، أيتها الطيور المسالمة،
مَنْ بمخالبهِ الدامية استهدفك؟

أصبحتْ آلامُك لغزاً غير متوقع
وكأنَّ السعادة لن تزدهر لكِ قط.
أيتها الغرانيق، ألا تحملي من خلال الكآبة بالصدفة
لي وللناس أخباراً ثقيلة سوداء؟ ...

السهوب الحبيبة

كم أودُّ أن أصطاد
وأن آتي إلى الجانب الأم،
حيث صوب سفح الجبال
تتدفق السهوب تيارَ عشبٍ،-
هناك منذ زمنٍ بتهور
لم يطرّ خلف الفريسة
النسر الذهبي من يدي اليمنى،
مثل سهم من قوسٍ،
بدوني، أنت حزينة،
يا جبالاً تشبه النمر،
مضغوطة خطوط الثلج
إلى تلالك الضخمة...
إذا كانت الروح تشعر بالحزن،
مَنْ سيمنحنا اليوم المدى،
من سيمد لنا يده،
ويرشدنا إلى درب الجمال؟
وهذا يصنع فرحة الصيد -
لا معجزة أحلى!
أيتها السهوب، أسرعي
في الأحضان الساخنة
استقبلي ابنك!
... أشعر بالحزن في بعض الأحيان
عندها غير معروف من أين
فجأة سوف يندفع -نسر
روحي المضطربة؟!

الشفق

الشفق يهْبطُ مرةً أخرى نحونا،
معانقاً رحابة السهوب المزهرة.
الظل الحزين تسلل نحو الزهور،
في العشب تمايلَ الدرب المستقيم.
فقط على حافة السماء، أضاء
الفجر، مثل شعاعٍ قرمزي مشرق.
الليل، مُطْفِئاً هذه البقع، وصل،
مثل مسافر عزيز، متعباً.
السديم الضبابِيُّ والظلام
زحفا، مثل ثعبانين، إلى المدى:
لا ترى لا عشباً ولا أدغالاً
اختفت حتى الجبال العالية...
أمشي على العشب عشوائياً،
في هذا الإبهام الضبابي الخاطف،
وحدَها أغنيةُ الزيز الرقيقة
تُثيرني لسببٍ ما.
أنا أحبَ صوت الزيز،
أغنيته الطويلة لم تُغَنَّ!
أليس إلى عيني الشابتين
ذهبت الشمسُ الآنَ قبلَ الفجر؟
أنا في السهوب والجبال عند الصخور
بلا كللٍ بعينيَّ
فتشت عن محبوبة القلب تلك،

التي همستُ اسمها الحلو ...
سوف أغطي عيني بكفي
وسأرى لحظات الفجر:
ها هو يلمع الندى الفتيّ،
أغنية الزيز الرنَّان لم تُغَنَّ...
الريح الفتية تهمس لي: «انظر -
العالم كما لو كان حديث الولادة!»
يدق القلب بصوت عالٍ في الصدر،
كما لو أني حَلَّقتُ مجنَّحاً إلى السماء!
في هذا العالم -القريب، وليس الغريب،
حيث يندمج القديم مع الجديد،
تستطيع أن ترى الصغير في الكبير،
تصادف الكراهية سويةً مع الحب،
والصعبَ على مساحات الأرض،
على الطريق، الوعر والمتعب،
القرب العزيز ينتشر بعيداً،
والكبير تراه في الصغير!
أرى في الشفق حافة الفجر،
سوف يختفي الظلام، فهو قطعاً ليس أبدياً!
أنا لست في الماضي، وإنما في المستقبل أنا،
تداعبني حياة اليوم!

ألعابُ الكولان (3)

اختفت الكولان في غياهب النسيان –
علامة مقدَّسةٌ أخرى،
مروج العشب الكثيف،
المتعة السابقة– كولانوينـاك (4) .

« أين اختفيت، أيتها الكولان ؟ » –
بشكلٍ هيستيري أتساءل.
صامتةً أصنام السهوب،
في الإجابة فحيحُ ثعبان في الأدغال.

سأرحل إثرها. والشهر الحار
سيجرح القلب بسكين.
وسط الحقول والأدغال
سأتوهجُ سراباً.

«أين أنتِ؟»– في الرد وحدها الريح تصفرُ.
تتحرر في الصباح من السلاسل،
تحت شُجيرات تشي (5) تفتشُ
عن آثار البدو في السهوب.

هنا عاش أجدادي،
مليئين بالدموع والأحزان،
ولُدوا، عاشوا، ماتوا
وغابوا تحت الهضاب.

---

(3) كولان: أخدر، الحمار البري الآسيوي.

(4) كولانوينـاك:من الكازاخية، وتعني مكان لعب الكولان.

(5) تشي: بالكازاخية، تعني نباتات السهوب.

ومثل الكولان، أفواجاً اندمجوا في شعبٍ مترابطٍ،
مثل الغيوم الراعدة،
حام في السهوب من عامٍ إلى عام.

من جيلٍ إلى جيل صمد بثباتٍ
شعبي الخالد.
كانت المراعي الحرة كثيرة،
لدرجة أن الشيطان لن يحملها بعيداً.

وجدّي لم يجادل أحداً
بسبب قطعةِ أرضٍ غريبة.
وجدّي لم يتشاجرْ مع أحدٍ،
ولم يحرق عشبَ أحدٍ.

لا تعادُ الخسائر السابقة
والقطعان التي ذهبت بالأمس.
ومثل غرابٍ، يجلس الجبل
على البيوض العينة.
إلى ألعاب الكولان من جديد
رماني قدري،
وبسبب الخمول بقسوةٍ،
دون أن يدعني أنطق بكلمة في الدفاع،
يجلدني بسوطٍ كما يُجلدُ العبد.

جبال الكولان، سهوب الكولان
التي كانت هنا لا حصر لها...
ويطفو من الضباب
الحدسُ في دموعٍ وجروح،
وفيه خبرٌ غير مَعروف.

باكيتجان كانابيانوف

(ولُد عام 1951)



- شاعر وكاتب نثر ومترجم وكاتب مقالات وسينارست ومخرج سينمائي.
- تخرج في المعهد الكازاخي للهندسة التكنولوجية 1974.
- حصل على دورات أدبية عليا بمعهد جوركي الأدبي 1983.
- بدأ نشر أول أشعاره في الصحف الحكومية بداية من عام 1975. وقبل أن ينهي دراسته بالدورات الأدبية العليا أصدر ثلاثة دواوين شعرية هي: «ليلة باردة» عام 1977، «انعكاسات» عام 1979، و»ليلة سلام» عام 1982.
- في السنوات التالية صدرت كتب أخرى مثل: «الغصن»، «خط القدر»، «طائر اللقلق فوق مدينة برابيت»، «نجمة الرحل»، «الضاحية الجبلية»، «وقت الصمت»، «فوق مستوى الحياة»، «القمر المظلم» وغيرها.

- نشر أعمالًا نثرية ومقالات مثل: «استراحة قهوة» و»سينما صيفية». بالإضافة إلى ذلك قام بكتابة العديد من سيناريوهات الأفلام، وقام بإخراج بعضها بنفسه.
- عمل بشكل مثمر في مجال الترجمة؛ حيث ترجم أشعار الدول الناطقة بالتركية للجمهور الروسي.
- قام بترجمة أشعار آباي قونانباي، وأعمال بول فاليري، ويوكي مالينين، وماكاتو أووكا، وإيزيم إسكندروف وعمر سلطانوف إلى اللغة الروسية.
- ترجم إلى اللغة الروسية رائعة الفولكلور الكازاخي قصيدة «فتاة الحرير».
- عام 2011 حصلت أشعار كانابيانوف على الجائزة الأولى بالمسابقة الدولية «طائر الكركي الأبيض» في مجال الشعر الغنائي.
- ترجمت أعماله إلى أكثر من عشرين لغة حول العالم.
- حصل كانابيانوف على جائزة لينين من اتحاد الشبيبة الشيوعي في كازاخستان عام 1986، وعلى جائزة المسابقة الأدبية العالمية التي نظمها معهد بوشكين بالولايات المتحدة.
- حصل على الجائزة المستقلة «تارلان» لرعاة الفن والعلم في كازاخستان وجائزة «ألاش» الدولية. وهو شخصية مرموقة بكازاخستان.

جِئْنَا لا نَدري مِنْ أيْنَ

جئنا لا ندري من أين،
نغادر لا ندري إلى أين،
الختم الأخير ضُربَ
على هذه السنوات الغامضة.

ربما إلى البحر الأخير
يقود طريق القدر،
حيث ينجذب إلى سرب النجوم
غبار التنجيم المبارك.

تنبَّئُوا بكلمتي
على سطور الخياطة المقدسة.
ومضتْ غجريةَ في شال
عروس شعري المشَرَّدة.

مختبئةً سطراً في قرص
تخطو على الجانب الآخر
تلك الصورة المرئية للشاعر
في حلم الفجر السماوي.

الزنابق

تمدَّدي،
ربما
من الرطوبة،
لكن ببتلات
ورقة
عباد الشمس

تحمرُّ
في محلول
الهواء
من ملاطفة
الأيدي
الباردة.

موسم ميت
في منزل العطلات.

جبال.
زنابق.
جنوب.



ميديو (1)

تعرج الطريق الجبلية
يراوغ على المنحدرات.
بالتباهي الطبيعي للقمم
همست التيجان.

الأعمدة ومضت والمنازل،
خشخشت الإطارات.
كم مرةٍ يخرج عن الطور
ميول السيارة.

وبتكراره للمنعطف
الجبلي العالي،
فولاذُ المتزلج يجرُ الجليد،
متزلقاً برشاقة.

دوامة الحركة ترنُّ،
تدغدغ الأعصاب.
ذروةٌ زلزالية
هناك، في مكان ما في الأعماق.

أكثر من مرةٍ سنتأرجح على كل شيء
وعلى الأرجوحة،
العلامة بالنقاط والدرجات

(1) ميديو: مجمع رياضي جبلي، يقع في مضيق ميديو الجبلي على ارتفاع 1691 متراً فوق سطح البحر بالقرب من ألماتي.

في سبيل الهدف.

بالمفاتيح كل شيء مُدارٌ،
لكن في الجوار
مع محورٍ غير مرئي -
الروح والقلب.

حيث أبدية رائحة الروث
والدخان فوق النهر،
الراعية على التل رشيقةٌ
بين الخراف.



في الوادي

في المجرى يتدفق النهرُ،
ينقل هدايا السماوات –
ينبعُ موجةً صافيةً
هواء الجبل الأزرق.

يومض شعاع الشمس
في الوادي
يبكي من خلال طبقة اللحاء
الصمغ،
الذي يعجل نحو نيسان،
ويتجمد فوق التنوب
النائم
هواء الجبل الأزرق.



الإصغاء - الاستماع

تزج أصابعك
في صندوق الموسيقى الخفيفة.
أصوات المفاتيح السوداء والبيضاء
مسموعةٌ.

كل
ما كان مناسبَةَ
تضيئه الموسيقى:
تذكرتُ
الشارع،
اللقاء عند شجرة الصنوبر.

لماذا التجهم مع الامتعاض،
الأفضل أن أصغي
وأنصت-وأستمع،
وأن ألتقي معك.
خارج النافذة الشارع كله
بالفوانيس يحدق
كي لا يبتعد
في المستقبل
اللقاءُ.

أصابعك الرقيقة
سآخذها من الصندوق.
ستتوقف الموسيقى،
والشارع يصمت.
فوانيس الشارع كله
بسطوعٍ أكثر تضيئنا،
أم هذه الموسيقى
أصبحت فينا تصدح ؟

لماذا التجهم مع الامتعاض،
الأفضل أن أصغي
وأنصت - وأستمع،
عند شجرة الصنوبر تلك.
خارج النافذة، حيث الشارع،
تتجول موسيقانا،
أصوات المفاتيح السوداء والبيضاء
مسموعةٌ.



أذكر ذاك الذهول

أذكر ذاك الذهول،
في منتصف النهار المتوهج،
كما لو كانت للحظة أبديَّة،
انتصبت أفعى سؤالاً أمامي.

لا ارتداد ولا انسحاب،
سأتجمد حجراً في الطريق.
وكيف سينتهي طريقي،
أشعر واجماً.

لكن طريق الأفعى في مقياسٍ ما
غمغمَ، كأنه ريحٌ.
والنظرة لهبٌ متحجر،
اختفت في غرانيت الجرف الجبلي...



وسط أوراق الشجر

لا أعرف
أي طائرٍ،
طائرٌ
حفَّ بجناحيه.

أو
ربما، إنها أوراق الشجر،
أوراق الشجرُ
في التاج تخبئ جسدها.

وهو
الطائر،
الطائرُ لا يريد
في تاج الأوراق أن يبني عشه.

بجناحيه
في أسر أوراق الشجر،
أوراق الشجر
يلوِّح، يلوِّح بين الحين والآخر.

صمتٌ مُطْبِقٌ في الغابة

كريستالات الجليد معلقةٌ.
ووسط الأغصان تأرجحُ طيورٍ
صامتٌ لا يزعج الظلام.
العتمة الصامتة لا تزعج.
ما هو الرقم منذ الصباح؟
لا أدري – لقد مَحَتْهُ الثلوج.
تحت الثلج رماد المدينة،
قاموس الغابات أمامي.
ليس بعيداً عن الضجيج
وخزات الأغصان على يدي.
مع الثلج العائم
تصبُّ السماء في عيني.
وعلى الكتفين في غابتي الأم
أحمل زمن الصمت...



في هذا العالم
الفارغ والمجنون

في هذا العالم الفارغ والمجنون
صافيةٌ صورتك في إطار النافذة.
رفرف المدى في ارتعاش الشباب،
الأقرب إليه في ضوء القمر
وحده طعم النبيذ الفتي.

وهبتنا الطبيعة بسخاء،
نحن حتى الآن لا نقدّرها.
لكل شيء موضة متغيرة،
وحده الحب أبديٌّ والحرية،
وفي الخريف الهدايا الدنيوية.



أنفاس حبيبتي

أنفاس حبيبتي
هزّت الصمت برفقٍ.
ربما، يحميها ملاك
يظهر في صورة فراشة.

أنا سرُّ هدوء المرأة
لا أحاول تخمينه.
أنا بالستارة ضوءَ القمر أغطّيه،
حتى لا يقع على السرير.



الطريق الجبلية في الضباب

الطريق الجبلية في الضباب،
حيث الرؤية في نصف النوم،
بانجذاب أسطوري، تومئ،
دون أن تترك جانباً.

وفي مكان ما على منحدر ما
انقلبت سلسلة الوقت.
وكل شيء تغير بشكل جذري،
لدرجة أن عقلي لا يفهمه.

وقائع الحياة الماضية
يقطعها الجري عند الجسر.
وقريني يغيّر العدسات،
آخذاً الدور من ورقة

استوعبَ أخطائي،
استوعبَ أحلامي.
وليس هناك ابتسامة عابثة،
وحدَها ابتسامة الصخب.

وقريني بسبب الضباب
يكاد لا يُرَى في الليل.
يئن الجرح غير المرئي
ولا يمر جانباً.

ويجلس قريني في مكان ما
في سيارة لم تتوقف،
مثل ملاك من العالم الآخر،
ليصطادني على حين غرة.

سنكون معه صديقين، لكننا
سنقطع الممر.
أليس عند إشارة المرور
تعرفت عليه لأول مرة؟...

عند المنعطف نعبر،
مقابل وميض المصابيح الأمامية.
كل شيء دون نزاع سنوضحه،
بصمت سوف نفهم بعضنا البعض.

سأفتح الباب عند الوادي
وأدخن في وقت مبهم.
بالضباب الورقة الرطبة
تخفي أمراً هاماً فيها.

ولُديّ حقوق أخرى،
حقوقي أخذها قريني.
الأيام الثلجية وراء الضباب
ستحجب بالريح دفتر مذكراتي.



على طول النهر الجبلي
على ظهر الحصان

على طول النهر الجبلي على ظهر الحصان
من البحيرة إلى الأعلى على المنحدر.
جلستُ في السرج - تماماً
رتبت حياتي وفق الموسم.
على طول النهر الجبلي على ظهر الحصان،
تحت الخطوة المنتظمة للأشقر
أعدتُ إلى نفسي - من الخارج -
من جديد الأصل التركي للكلمة.
فهمت طيران اليعسوب
ورقص الهدهد الصيني.
على صدر صخرة التيبيت ترعرعت
خلف النهر في مكان ما عند الوادي.
يستخرجون أحجار أبجديات
الأتراك، التيبيت، تشاغاتي،
بشِعرٍ ملحمي منقوشٍ
لقبائل المستقبل.
رسمَ النسر بجناحه
ملحمة تينغري الخالدة.
وقادني الحصان أبعد
من الساكا إلى الهنغار الراحلين.
استُبدل العشب أكثر من مرة،
وها هي اليورتا من جديد وراء الوادي.
لا يتوقف درب تركيٍّ مَا قبلَ التاريخ.

الرموز

على هذا الحجر، حيث عند صباح الندى،
عرفت الرموز الرونية:
هنا الخط العمودي، فيكتوريا من النهاية ...
القرن الرابع -عندما اختفي الساكيون.

استُبدل البرشمان الجلدي بالعازل،
وبعده عصر ورق الأرز،
لكن الحجر أبدي، تحفظه الرموز
التي نقشها الرواد السحرة.

هذا رمز علم - سيكون المسار ناجحاً،
وهذا رمز اًنحناء -الطريق صحيح.
فهمت جوهر الرونية،
وفي هذا رأيت أمر اللّه.

هذا رمز - مثل «И» مقلوبة
يزيل شعور الحلقة المفرغة.
به احفظ طاقتك،
تحت هذا الرمز تخرج من المرض.

ها هو رمز الزاوية - سأرى فيه منظراً طبيعياً،
في البساتين على سفوح الجبال لا يذوب الصقيع.
أتذكر طفولتي: أمي تنسج وشاحاً
من خيوط صوفية غير مفهومة لي.

غالدستراف(2) السحري من الحجر وحتى النجوم،
فيه يُرى رمز القدر من الطقوس الليلية.
أنا تحت حماية الرونية سأسجل سؤالي
أتغلب على نفسي قبل نقاط العلاج.

(2) غالدستراف: رسم سحري في تركيبة عدة رونات في صورة واحدة.

تامغا إيسيك كوليا

تامغا إيسيك كوليا
بتوهجٍ يوضع الختم،
إلى الحجر المقدس
يؤدي هذا المسار الجبلي،
هنا، أجلس على حجر،
بما هو جيد أحلم،
أشعر بالقدوم
بقدمي المتربة.
تامغا إيسيك كوليا،
مرتبطٌ بقِدَمكِ،
بوشاحِ الطقوس
إلى شجرة العرعر، التيً تعيش بالقرب من الحجر.
وهناك ممرٌ
سيوقظ التجوال فيَّ،
ويومئ كاشغار
من هنا بقدرٍ خفيّ.

في قرية أوبال يكمن رماد كاشغاري،
هو فتح للعالم ثروة تلك
اللهجات التركية
التي بعده شكَّلت الأساس في القواميس
التي تعتبرُ ريادة عظيمة من السماء.

سأكتشف ذلك بنفسي - من أين تأتي الأشعار،
مَنْ الذي وهب المفتاح
لهذا المجال السامي.
هنا، جالساً على الحجر،
سأغسل بالدموع الخطايا
وأصبح راهباً
لعقيدتي الشعرية.

تامغا إيسيك كوليا
وعاءَ بحيرة تنهض،
ستكمل صورتك
أمفورة الرطوبة المكسورة.
وطائر سامروك
سيجدل عشَّه بجانب الحجر،
بريشته التنبؤية
يلمس الورقة المقدسة.



ليوبوف شاشكوفا

(ولُدت عام 1951)



- ولُدت عام 1951 بمدينة فاسيليفكا بمقاطعة جوميلسكايا في بيلاروسيا، وانتقلت منذ عام 1971 للعيش في كازاخستان. وتخرجت في كلية الصحافة بالجامعة الوطنية الكازاخية، وعلمت ببعض الصحف بمدينة تميرتاو.
- عملت محررة بالطبعة الأدبية للإذاعة الكازاخية، ومحررة بدار نشر «جازوجي»، ومستشارًا أدبيًا لاتحاد كتاب كازاخستان، وكاتبة العمود الثقافي بصحيفة «كازاخستانسكايا برافدا»، ثم أصبحت نائبة لرئيس تحرير المجلة الأدبية الفنية «الفضاء»، وعضوًا باتحاد كتاب الاتحاد السوفييتي السابق واتحاد كتاب كازاخستان.
- حصلت على وسام «كورميت»، وميدالية مجلس الدوما الروسي على إسهاماتها في مجالي الثقافة والفنون، والميدالية التذكارية «150 عامًا على ميلاد تشيخوف»، وشارة اتحاد كتاب بيلاروسيا على إسهاماتها العظيمة في مجال الأدب وغيرها من الجوائز. ثم حصلت على الزمالة الرئاسية في مجال الأدب عامي 2013، 2014.
- ألفت عشرات الكتب في الشعر، والقصائد والصحافة من بينها «موسم زهور عباد الشمس»، «حوارات مع الأمل»، «من ثلاثة كتب»، «الروضة الذهبية»، «أغاني جافارونكوف». كما ألفت قصصًا وثائقية مثل: «أخبرني عن نفسك» وغيرها من القصص.
- تتمثل الموهبة الخاصة للشاعرة في أنها تحكي عن السهوب الكازاخية بلحن اللغة البيلاروسية. لا يمكن الفصل بين كازاخستان وبيلاروسيا في مصيرها الإبداعي.
- كان أبطال كتاب «حراس النار» هم عبد الجميل نوربيسوف، ويركيجالي راخماديف، وحكيم تارازي، وأولجاس سوليمانوف، وإيمان موساخادجايفا، وروزا موكانوفا، وجانيا أوباكيروفا، وجاميليا باسباكوفا وغيرهم الكثيرين من رموز الثقافة والأدب في كازاخستان. وهم أيضا أبطال المقالات التي نشرت في هذا الكتاب.
- ألفت كتابي «الروس في كازاخستان»، «ماجنيتيكا الكازاخية. الزمن والناس والأقدار» وقصائد «وطني الأبدي»، «كازاخستان – روسيا» وغيرها الكثير.
- تنشر أعمالها في العديد من المجلات مثل: «الفضاء»، «نيفا»، «تومكسي أفيني»، «بوليميا»، «نيومان» في مينسك ومجلة «يوناست» في موسكو.
- كما تنشر أعمالها في المجموعة الأدبية «الثقافية الكازاخية» بالصين، وجريدة المختارات الأدبية «الروس المعاصرون بالخارج» بموسكو، «كازاخستان المستقلة – مختارات من الأدب المعاصر» وغيرها.

حمَّامُ الفَرَس

هيه، حمّموا الفرس
ذا العرفِ الأبيض، والبقع البيضاء كما التفَّاح!
ليدخلَ إلى نورا(1) ،
كقاربٍ شراعي يدخل الماء،
وعلى الطاير، عبر السماء
يحمل الأولاد السفع
ويصهلُ، منادياً
صديقاته ذات القوائم الرقيقة.

هيه، اسمعوا
على كل الشواطئ
وعلى كل المياه الضحلة،
كيف على هذا النداء الظافر
الصارخ
يجيب النهر
بصدىً مشتتٍ لآلاف المرات،
والأغنيةً البعيدة
لقطعان السهوب المجنحة!

(1) نورا: نهر في كازاخستان.

السهوب

أيُّ أفق عميق
شتاءً بالقرب من كاراغاندا.
يُقاسُ بالميلِ السماوي،
بحيث حتى النظر لا يمكنه بلوغه.

بحيث لا يقدر
حتى الطير التحليق إليه
وحتى الخيَّالُ لا يمكنه بلوغه.
يبدو أنَّ البقاءَ شتاءً في السهوب مماثلٌ للموت.

وهنا عاشت روحي،
محمولةً بالرياح إلى الرحابة،
مسحوبةً إلى السراب البعيد،
لا تمزقها السهوب...
خلف نورها الغامض،
ضائعةً وراء غبار الثلج،
في أحيان أخرى،أخرى
سَبحتْ هنا نفس الآفاق.

والقطار يندفع عشوائياً
بالطريق الفولاذية من المحطة،
مني، حيث قبل قرن
لم أدرك اندفاعي.
لسنا نحن من نحدد طريقنا
الذي يقاسُ بالميل السماوي،
أنظرُ إلى السهوب في الظلام الفارغ.
وأعرفها.وأبكي.



الأغنية

(اِظهرْ أمام نظري، يا يريمينتاو)

إيمانجوسوب

عظيمةٌ هذه السهوب.
تذوبُ في الضباب - يريمينتاو.
طلقة أُطلقتْ في السهوب،
النسر الذهبي يعود مُنْهَكاً.

بعد أن طار كسهم،
يعود الحصان المشتعِل.
الشمس المنهَكة
تهبط وراء المنحدرات البعيدة.

عظيمةٌ هذه السهوب
حواف لماذا - يريمينتاو!
عظيمة هذه السهوب
للمطاردة، للمعركة، للمجد.
وحدها أغنيتُها
تَجُوبُ في غمضة عين.
وتُحلِّق فوق الأرض
وتسمو عالياً في السماء.

أغنية واحدة فقط
تعانق كل جهات الكون،
السهوبَ العظيمةَ كُلَّها
الموجودة في قلب الشاعر!

تَنَهُّد

(أمي، تَنَهُّدكِ - حِمْلٌ زائدٌ على كتفي...) - ريزا أونغارسينوفا

هناك، حيث الرمال من الربيع
تتسرب إلى الشقوق -
الساقية هدأت، -
يُسمع هناك صريرُ مهدٍ قاسٍ.
أو تنهُّد أم؟

هناك، حيث السماء
تغرق في عيون
بيريزينا،
صلوات التنهيد... وسط النهار والليل
مسموعة.

آهٍ، تنهدات أمي، -... حِمْلٌ زائد على كتفي -
إنه أثقل من كل شيء
ولكن مِنْ ماذا -بدونها
ما كان ليصبح الأمر سهلاً،
بل فقط أشد إيلاماً؟

.... أين، أين تخترق هناك
من خلال الغيوم
طائرتك؟
تنهُّد الأم
سحابةً طائرةً
تعوم خلفها!

مُخَلِّصُ التفاح

إلى فاليري ميخايلوف

التفاح، اقطفْ التفاح للمونة!
جاء آب. ومعه مُخَلِّصُ التفاح.

التفاح مستلقٍ في ثوب طفل.
ما أكبرها من سعادة على أرض الوطن!

يتساقط التفاح في بيريزينا،
ولا يمكنني اللحاق بالموج السارق.

آه، النهر يجري بعيداً
بالكاد يمكن رؤيته من بعيد...

التفاح منذ ذلك الحين تذوقته تماماً
وسرّه اللاذع أعرفه.

سِرُّ النهر انكشف في الوقت، –
لِحياتي هو المصدر الأساسي.

سِرُّ الكون من جبل طابور
غامضٌ بالنسبة لي إلى الآن.

أليس ذلك بسبب الويل المتسكع في الظلام
على أرض موطني.

هل التجلّي سيلامسنا؟
تفاحٌ، تفاحٌ ... مُخَلِّصُ التفاح.

إلى فيشينيفكا

إلى أخي إليا

كيف يبدأ الصبح سهلاً!
إلى فيشينييفكا ذاهبين من أجل الحليب.
أبي يركب دراجته
وأنا على دراجتي أرافقه
وضع على المقعد الخلفي وعاءً
وببطء يدوس على الدواسات.
عبر البلدة، بالغابة –على الطريق السريع.
أعرف كل طرقه
أعرف عاداته عن ظهر قلب ...
وأنا أندفع لابتلاع المدى!
آه، كم أود أن أسبق أبي،
وأنا بشكلٍ أسرع أدوس على الدواسات.
لكن لدينا قانون غير مكتوب،
أنه من الأمام على الشارع يسير هو.
بجمال المنطقة يمتلئ نظري،
السيارات تطير على طول الطريق السريع،
ولنصف ساعة كل ما أراه أمامي

هو ظهر أبي المحنيّ.
ولكن ها هو مفرق فيشينكا.
ويسحبني شيطان ما!
وبرشاقة اعترض الأب
على الطريق السريع، أندفع دون أن أنظر حولي!
لا، لم تحدث أية مصيبة...
لماذا إذن تدوي صرخة إنذار: « إلى أ-أ-أين؟!!! »
فلا أحد على هذا الطريق،
وأنا وحدي أقود الدراجة.

لكني أحدّقُ. وسوف يكون لي مرئياً
من الهاوية الظهر المحني.



الغرنوقي

(والملائكة الحراس تتحدث مع الأطفال)

ميخائيل ليرمونتوف

... وتوقظ في الصباح المبكر
الطفولةَ هديَّةٌ لا تنسى -
الشمس برائحة الغرنوقي،
في الستائر كرة قرمزية!

مَنْ بأرَقِّ الأنامل -
بتلة بتلة -
جمَّع اللهب الحي
في هذه الزهرة الناريّة؟

بحيث ملاك وسط السماء
وسطَ الطرق الخفية
مع أغنيته الهادئة
ينظر إلى النور.

بحيث بسلام ووئام،
كل التمام الذي تصبه الشمس،
تحت نظرته المقدسة
يبدأ يومٌ جديد.

بحيث، مثل كرة الغرنوقي الملئية،
توهَّج من الداخل
فجأة ظهيرةً سخية،
وغروباً متأخراً لطيفاً.

بحيث يدوم التقليد العائلي
في كتاب الوجود:
طفولةٌ، كرةٌ الغرنوقي القرمزية،
ملاكٌ، جدتي، وأنا.



هناك،
حيث البيت الخشبي

1

على سفوح الجبال في حزام العشب،
في الهواء صُبَّ العسل.
ملاك شِمالي، ملاك يميني -
وغيورغي، ونيكيتا.

يمسكان بيدي طفل
يديّ المفتوحتين.
بالتأكيد طيبٌ هو العالم
الذي فيه غيورغي ونيكيتا.

وليس هناك للطريق نهاية.
ساعدهما يا الله،
ها هما نيكيتا وغيورغي.
احفظهما. وارشدهما.

2

هناك، حيث المنزل الخشبي،
حيث تنتصب الجبال حوله،
حيث النهر الصاخب بالقرب منه، –
يشرق الصباح على الشرفة.

شعاع الشمس، كالأرنب، يقفز
من الأبواب إلى السقف،
ثم إلى نيكيتا مع غوشا:
أخرجا، إنه يوم جميل!

اخرجا، يكفي نوماً!
لا تضيعا بالنوم، أيها الأخَوان، الصيف،
باشرا الاعتنا-ا-ا-ا-ا-اء
بالكوكب



الوادي

1

الاستيقاظ مع صياح الديوك
وثرثرة الطيور الخفية
وخوار الأبقار البعيد
يضيف أيضاً نعمةً إلى المنطقة.

والصباح كأنه مغسولٌ حتى النهاية –
يتوهَّجُ، يغمرُ، يلعبُ.
ونسيم خفيف ينتفُ أوراق الدردار
تارة معاً، وتارةً مفصلة.

وهذا الأكثر سلماً من بين العوالم،
المستلقي بين تلال تورغين،
أحقاً في اقتلاع الأساسات
يهزُّ في الليل هزّة تحتنا؟!

ماذا، ما الذي يرتعش هناك في الهوة الصخرية؟
ما الذي اهتزَّ فينا في رعب الرد؟
أنصت! اهدأ! هذه سمكة–حوت
برفقٍ في المياه الجوفية تقلَّبت...

وسيأتي اليوم. والأفضل بين العوالم
سوف يفيض بالضوء الواهب للحياة.
وغناء الديوك المجاورة

يكرر الصياح على رهبة ليلك!

2

على راحات الجبال يهجعُ الوادي -
يشبه المنطقة المزهرة في جنة الله.
عندما يرتعش رعشة عملاق،
عنْ ماذا هذه الرعشة الدنيوية؟

على راحات الله تستلقي الأرض بهدوء.
عليها جنون وقذارة جامحة.
على كل شيء، يا رب، إرادتك.
ولكن لا تطلق الأيدي في غضب...



تاو - تورغين

إلى أندريه كوزلوف

يتموج الضباب فوق جبال،
النهار الرطب يغرق في الرذاذ.
لكن انظر إلى بريقه:
إنها ليست عتمة الخريف المتأخرة.

تارة رطوبة، وتارة أمطار الربيع
تهرع وتسارع إلى الخضرة.
وسحابة الأوراق القادمة
أصبحت تضيء من خلال الظلام.

وهناك، المطر المتساقط،
وفروع المشمش ترتعش.
وهذه رعشة الولادة،
وهذا العالم في بدايته.

دافعاً قبة الضباب،
ووامضاً بعيون سماوية،
الشعاع الأول بطرف الإبرة
أخاط الفضاء بين الجبال.

وها هي حافة السماء تكشط،
وعروش التلال الأسيرة،
وبعد قليل فقط – ويتدفق الضوء،
ويضيء التلال والوديان!

موسم البرباريس

1

فوق منحدرات النهر الصاخبة
اشتدَّ اللهب الأحمر.
العالم، الذي كان بالأمس أخضرَ،
يدخل موسم البرباريس.

في وقت الحر المتأخر،
احتياطيات الشتاء التالفة.
كي تواصل الحياة سيرها،
مع النكهة الخريفية اللاذعة.

2

في متاهة الفروع المتوحشة
عالم الأشواك والبنفسج.
فيه يحرق الحرُّ النسرين،
يتدلى الزعرور البري الناضج.

أشق طريقي من خلال الأشواك:
هل هذا واجبٌ أم سعادة؟
هل هذا متعة أم رعاية؟

صه! يصفر على الفرع شخص ما:

«إيه، يا صديقة، لا تعبثي!»
الصقيع الأول سيدق،
ستطير الأوراق المجنونة –
سيصبح التوت متاحاً.

أنتِ على حق، أيتها الساحرة بتاح،
فبالنسبة لي أيضاً في فترة ما قبل الشتاء هذه
اكتشافُ أواخر التوت
أثمنُ منه في الصيف.

3

على منحدرات تورغينسك الحمراء
إلى أسفل تدوي جلَبةٌ صبيانية
تفورُ وتندمجُ مع الجدول،
وتتدفقُ تحت السماء الأبدية.

لو أنها تطول وتطول هذه الرابطة
للأصوات البهيجة المشرقة،
بحيث الحياة، لاعبةً وضاحكةً،
تتدفق نحو الأحفاد.

المرج الذهبي

إنه المرج الذهبي عند الشروق –
إنها أعشاب المروج للطيور والنحل والسُكر.
لكن إلى أين يذهب، إلى أين يقود
قلبي وبصري هذا المرج الذهبي؟

إنه المرج الذهبي في المساء عند الغروب –
أشعة الشمس وسط نحاس الصنوبر المصبوب.
لا القلب ولا النظرة كافيان على الإطلاق،
كي يحملانه –هذا المرج الذهبي.

إنه المرج الذهبي! إنها الرائحة الحلوة!
يتيه ويبقى في البلد الأخضر!
سيحلِّق أيضاً على هندبائه،
ولكن كل هذا لن يكون بحضوري.

إنه المرج الذهبي ...



كم من الصبر يكفي
-حتى يوم القيامة -

كم من الصبر يكفي - حتى يوم القيامة -
ساعدني، يا إلهي، أن أحب أولئك الذين يحبونني.
كم من الأمل يكفي - لجدل هذا الخيط
إلى الدم، إلى الصلاة - والحب والمحبة.
كم سيبلغ الإيمان ... صفحٌ وغفران
لأولئك الذين في اندفاعٍ شرير سوف يقطعون هذا الخيط.
كم من الحبِ يكفي - لربط العقد،
وبالأمل، وبالأمل إحكامها مرة أخرى ...



هناك وقفة بين الزفير والشهيق

إلى باخيت كيربيكوف

هناك وقفة بين الزفير والشهيق.
شهق النفس في الأربعينيات،
بأي نشوة ستتولى الحقبة
الوجوه المقدسة لأقراني؟

كم هي واضحة، كم هي قريبة الأصوات،
كم هي فتيّة أبديّة عيونهم،
كم هي بلا نهاية نفوسهم الصارمة.

ما زالوا جميعهم هنا. ما زالوا بارزين.
لو دقيقة، دقيقة صمت
ليس من أجل الإثبات
للاستماع إلى الآخر ...



تينيشتيبيك آبديكاكيموف

(ولُد عام 1950)



- بدأ كتابة الشعر منذ كان في الرابعة عشرة من عمره، ودرس بكلية اللغة الكازاخية والأدب بمعهد كروبوسكي التربوي بمدينة سيميبالاتينسك في الفترة1989 – 1995 وأنهى دراسته بها.
- نشرت له العديد من الدواوين الشعرية «خطابات المال»، «إرافان»، «عالم الكونير»، «نكهة الموسم الخامس»، وقد جعلته هذه الأشعار ممثلًا للشعر الفكرى في كازاخستان.
- ألف كتابًا من مجلدين بعنوان «الملكة ساك كوك» الذي قام فيه بتحليل الظواهر الكونية القديمة والمفاهيم المقدسة من وجهة نظر العقيدة القومية الكازاخية.
- منذ عام 2003 حصل على منحة رئيس جمهورية كازاخستان أكثر من مرة.

- كان إبداع آبديكاكيموف موضوعًا للكثير من رسائل الماجستير والدكتوراه للنقاد الأدبيين.
- ترجمت أشعاره إلى اللغات الروسية، والإسبانية، والصينية والقيرغيزية.
- يثمن الشعراء الكلاسيكيين بالأدب الكازاخي موهبة وإبداع آبديكاكيموف باعتبارها ظاهرة أثرت الأدب الكازاخي بأسلوب فريد في الكتابة والكثير من الألوان الأدبية.

العقل الباطني
المغطى بالطحالب

محدِّقاً بكلتا عينيّ،
مادّاً كلتا ساقيّ،
وقعتُ في الكونِ،
في وعيك، أيها الشعب!

والقلب يشعر في نزاعٍ
مع الجوهر الكوني لبخارى،
كما يُقال جبال غريبة
غير معروفة حتى ذلك الحين...

الشتاء هو فصل العام الحالي
كانون الثاني فارغٌ، مثل لون الأذنين،
هنا الحرية أرجوانية،
والمعنى يخرج من الكلمات.

صرختُ، ففجأةً من فمي
اندفعتْ قَوْسُ قُزَح العاصفة الثلجية،
مُفَقِّساً ليس بلا سبب
من الدماغ نوايا وأهداف...

لماذا سمنت الغربان؟
أودُّ أن أحطِّم الصمت
في المناطق الخانقة بالفعل:
فدرب الحياة مجرد خطوة!

أردتُ العدالة
في زمني غير العادل،
على الإنسان العادل
بكيتُ، لكني لم أره

في السهوب العاصفة
لأفكاري الموجِعة،
حيث خُلد الحزن مندفعاً
يرقص فوق الشتاء العابس.
يصرّ عظامه فوقي،
برد النجم خِفيةً،
وجهي يشمه القمر،
وموتي سيُفرح الذئب.



الكلمة

الرأسُ تغرقُ
في هاوية الأحلام،
والروح تندَهشُ
من أن الكلمات ليست مرتَّبة...

لتأنيب الضمير
وللغضبِ المبهم،
كما لكلاب شرسَة-
ترمون العظام.

وحولك مشاعلٌ،
في غلاف منيع،
من الأزلِ الغامضِ،
ليست من هذا الكون.

ذلك هو الفرق عن الخارجي،
إن كُنتَ حقاً حراً
للحظة من القديم
في حياة الأراضي الهالَكة.

يا اخوتي، يجب أن تنظروا
إلى مظهر الكلمات والأحلام،
في هذا الجزء من القلب...
المحمي والخفي...

هناك اعتقادٌ في الدين:
في ظلال الجنّة الدائمة الخضرة

روائحٌ عظيمةٌ
غير مفهومة للبشر.

هناك كلمات صامتة،
توصلك حتى الدموع،
هناك كلمات جارحة-مميتة،
مثل حبل المشنقة.

هناك كلمات، كالحسناوات،
تثير القلوب.
وأخرى قادرة على التعامل
وإحياء الميت.

هناك كلمات مدمِّرة،
ومصيرك
هذه الأصوات الحاسمة
تضعه فجأة في تابوت.

هناك كلمات أهمُّ
من الكتب - من زمن القدّيسين،
في عقلك تُلهِبُ
الشياطين وتحرق رمزها.

تقابلنا مع العويل،
مسيحيين ومسلمين،
إذا تمكَّنا من استيعابها،
ستهبط علينا السعادة.

تحومُ ديدانُ النجوم،

الربيع قادمٌ،
والمطر المقدَّس، مثل الأعصاب،
حيث يتدفق - مثل الوتر.

تعلَّقت الغيوم منخفضة،
كأن الغرانيت يفكّر
وبالمعنى الإلهي
يهبُ التينغيرية.

يلمع برق الكلمة،
وعلينا التفكير،
هل هو العقل أساسنا،
أم المعبد السماوي؟

في هذه الحياة لسنا مسيطرين
على مصيرنا،
سننتظر في الحياة الخطرة
مصيراً آخر.

من المسافات الكونية،
باللغة الأم
شيء ما أسمى من الحزن،
شيء ما في شوقٍ أبدي...

ها هي المأدبة الأخيرة
قبل إعدامه - أُنظرْ!
وحدها الكلمة ببساطة
تسمو بنا إلى تينغري!...

أحياناً

أحياناً، أنا حقَّاً
بعد معركة عقلية شيطانية –
أخرجُ إلى الصقيع الحاد،
في قميص مبلل بالعرقِ من المعركة.

ويحدثُ أحياناً
بالنسبة لشخص ما أعتبرُ أنا ملاكاً،
بطلاً خطَّاءً
بلا مظلِّة إنقاذ!

أحياناً أخرجُ،
غير مجرَّدٍ من الاهتمام–
إلى حدّودي–
لأدردش مع تجَمُّع الناس الحاشد.

أضحكُ على الحشد
أو أحييه بأغنيةٍ رخيمة،
ذلك أصبح قدراً
يمنحُ صمّام الأمان.

ألم أعرف أنا الحزن؟
لست قادراً على كبح تلك الدموع،
أهِبُ جمالَ هذا الجمهور
انحنائي، مثل زهورٍ لحسناء.

أحياناً، مثل طفلٍ،
أمشي بلا هدفٍ في البرك،
لأنني- أمزح!-
ربما أنا غير ضروري للناس؟

أليس في الروح
نبعٌ غذَّته الطبيعة،
حتى في الوعيّ أصبحت
الحياةُ ترتعدُ من حبات المشمش؟

أحياناً، أحياناً
بوعيي أناشدُ العالم
وأريدُ، مثل نجم،
أن أغرق في قبرٍ مجهول.

أنتما، يا ناكر ونكير،
يا مَلَكيَّ الموت النزيهَين،
استجوبا عالمي
وصدِّقا روحيَ الآثمة.

هل سأكون في النار أم في الجنَّة؟
الشرعُ لا يحاسب مجنوناً...
صدِّقا روحي- أنا بارعٌ، أكثر ذكاءً من أزازيلو(1) .

أنا، ربما، شيطانٌ في داخلي،
وروحي، مثل جندبٍ، بخوفٍ

يزحف نحو الصباح...
أحياناً أعشقُ القَذفَ،

لكنّي، لست كالآخرين،
لا أهيمُ في وئام مع العالم
في السماء ألحنين
بين حانا ومانا...

(1) أزازيلو: شخصية أدبية من ميخائيل بولغاكوف "المعلِّم ومارغريتا».

عروسُ الشِّعْر

هي جميلةٌ ورائعةٌ
لكن لسببٍ ما أفهم:
تجذبني بشدّة،
لكني لن أحضنها...

روحي تحزنُ من الفوضى،
تقدم استنتاجها الحياتي:
أوه، فلتتجنّبها عيون الحسَّاد-
هي الزهرة الوحيدة!

هي عروسٌ ساحرة،
ومعها حريّة الوجود-
أأجلسُ في مكان الشرف
أم أستلقي في القبر...

أتنهدُ فَتُبَرعم الأعشاب،
والزمن يتحرك إلى الوراء،
ليقع في الحب بجنون حقّاً
كلُّ مَنْ لا يُصدّقني.

هي ملاكٌ أم معبودةٌ!
أشعرُ بنفسي قدِّيساً،
تمنحني أفكاراً خّيِّرة،
قدرٌ مُستَعْصٍ.

حتى الشائعة عنها... لقلبي
أكثرُ نفعاً من كّل دواء،
وصدرها - إلى أين المفر؟!-
أغلى من الممالك الثمينة!

هي الربيع، هي الغُفران،
وأنا أتمالكُ نفسي
كي لا أستسلم للإغواء
وأغرق في الخطايا إلى الأبد.

بجانبها نزوةٌ نهمةٌ!
أما أنا -مجرد فكرة، للأسف،
على هذه الفكرة طائر السعادة
ينسج عُشاً للحب.

هوَ النور نفسه...

هو نفسه النور المغاير لنور القرآن
وأن أعصر الرِّيشة المسكينة،
ذلك النور يمنح للجروح الشفاء،
وهنا يكمنُ اللغز، المظلمُ أحياناً.

أذكرُ تلك الاستعارة التقليدية،
حتى الأفاعي يمنحها هذا النور المذهل
أيدي وأرجل...
حتى الحزن
يُزهر فجأةً، مثل غصنٍ حيّ...

هو، هذا النور، يطير بشكل أسرع من الضوء
الطائر بمئات المرات،
بشكل مختلف يسمع الكوكبُ الشاعرَ،
بشكل مختلف يسمع هو حديث الشمس...

لا تهدأ فيه العاطفة والروح
الملهَمَة بقوة الأفكار،
بإشراقٍ يتحدث مع الكون،
بحيث تتحول الوحوش إلى بشر.

هو تَملٌ إلى الأبدِ بالسماء الزرقاء،
وإذا ما اخترقته فجأة طلقةٌ،
ستَمرُّ - وتطير بشكل جميل،
مثل غناء عندليبٍ، إلى الأفق.

مهما قلت عن هذه المعجزة،
فقد اكتشفت أنا لغز الحياة الأبدية:
كل ذلك هو موهبة وعقل الشاعر
اللذان يُطلقان هذا النور العجيب!



نِهاية آب

نهاية آب تقع من جديد عند الأقدام،
مثل وعاءٍ يسمى «توستوغان»،

فيه يرتجف الكوميس الحامض بسعادة،
والورقة الذابلة تسقطُ.

أين صلاة الجنازة لها،
للورقة، لرسالة الخريف؟

لن أنتظر صاحبَ العمامة
كي أستعد بصلاةٍ للشتاء.

هدأ الإعصار في الروح المضطربة،
ليست بدون سببٍ صلاتي - إنه الشعر،

إنه الأغنية المخضَرَّة في الصباح،
تبددُ فجأةً الحزنَ في الهواء!

«أكيراب» أحمرُ الوجه -تشرين الأول،

اشفق على الأقل على الوريقة الممزقة...

لكنَّ الورقة أطلقت نَفَسها الأخير،
هكذا تجري تقلُّبات العصور كلها...

وجه ورقة الخريف غطّاه التراب،
أهٍ، لو أبكيه- ظهرت عاصفة،

لم نُقمّ التأبين عبثاً.
وهذا هو وعاء - توستوغان فارغٌ.

والآن نشتمُّ نعمةً،
إنها نَفَسُ الشتاء الأبيض...



أعترفُ

أعترفُ، أنا العنيد الأخير،
فولاذٌ صقَلهُ الزمن!
من سيقطعُ دربي بالقيل ولقال،
سأضربه على أنفه، كما في السابق.

إذا ما أصبحَ لصٌّ ثرياً،
وبدأ يتظاهر بالطيبة،
سأستغني عن الصديق القدي:
وسينال مني بالحذاء على مؤخرته!

هذا، اللعنة، عدلٌ،
وأكثر عدالةً من هذا لا يوجد...
هذه المرأة جميلةٌ جداً،
لن أسمحَ بضربها...

بأي شأنٍ سأنبري للدفاع
من المغتصبين واللصوص،
كي يعيش الشعب بشفافية،
قوياً، صحيحاً روحياً.
أجل، صَبرُ الشعب ليس أبدياً،
كم يمكن تحَمُّل الكذب،
الناس بحاجةٍ إلى الحرية
من السياسيين والمنافقين...

سنرفعُ البلاء- ونعاقب إلى الأبد،

حتى ينتفض دمُ الخان،
مَنْ خان لغته الأم،
أنا بنفسي مستعدٌ لأن أدمِّرَه.

مصيبتنا قاسيةٌ، مثل البحر،
تنظرُ بحقٍ من الأعالي،
أنا لا أجادل حقٍ واحد:
أن أبكي مثلما ينتحب الناس!

شعبي - حِملٌ ثقيلٌ
لكلِّ حشدٍ بشري...
هذه الكلمة تدعو، وتُقلِق:
إنها عمود العقيدة الذي لا يتزعزع.



سَتَصْفَرُّ ورقتي

سَتَصْفَرُّ عظام ورقتي،
وستموت هي، مثل جنديّ في دبابة،
وريشتي ستموت، مثل الضوء في الظلام،
وستنزفُ بقاياها دماً.

إنه الزوال يحوم فوقك،
الناس تنقصهم عينٌ ثالثة...
من يمتلكها، يقرأُ
الأشعار الأمامية وراء حدود النشوة.

أجل، أشعاري التي يوجهها القدر،
إنه لقدرٌ فظيعٌ أن تكون شاعراً،
والكلمة على شفاهي تشتعل نوراً،
وشفقةً وألماً على نفسها...

يعني، سأتمكن من أن أشعل في الظلمة مشعلاً،
وأن أرى في أي شخص وحشاً،
على طرف لساني يجلسُ ملاكٌ،
يصدّق داخلي بشكل أعمى وبدون حدود...

الحياة - اليوم وغداً ! - أحبها بلا حدود،
القلبُ يشعر بضيق من السماء،
سأحب ساحرةً مع حلم جريء،
فالأحلام هي الحريّة...

اثنتان وثلاثون فقرة - ذلك هو مصدر الضوء،
وفيَّ اثنان وستون وعاءً دموياً -
هي جذوري، ممتنٌّ لذلك،
أنا أكبُر على أرضي الأم، مثل معجزة...

أنا محدَّدٌ بالوقت - هذا أكيد!
والقلقُ قلقي - ليس قلق الآخرين...
تتفتح أفكاري مثل برعم ربيع
أشمُّ فيه الله الحيّ!



الأمل

أجلسُ في غرفة الشعر،
حيث الحزن كالمستنقع...
والله أشعر به في غرفة معيشتي
يُنقذني من الإثم...

يبتسم، كما في المعبد،
أسمعُ وصيته...
نحن قريبان، لكن كأن جداراً يفصل بيننا،
أفتح الباب - لا أحد!

لكني كل هذا أعرفه بدقّة-
في الفرح أو في الحزن:
تُفتح أحضان الله،
عندما أمر عبر الجدار!

لذلك أخرج إلى الخشبة،
مثل هاملت: « أكون أو لا أكون...»
كل يوم أحاولُ بشكل تنبؤيّ
أن أخترق الجدار بإصبعي...



فصل السنة الخامس

مثل أوزة من العش، -كما من فوهةٍ،
زحفتُ إلى تصوراتي:
الثيوقراطية تحمل أساطيرها،
والتقدم التقني يتفاخر!

شياطين محترفون ووجوه مع رادارات!
منهم فتحنا أفواهنا:
العالم بعطاياه الاستعراضية
يفتحُ نبع الصفاء!

تُبهِج الأعشاب الخضراء،
تنمو بأوراق الشجر البساتين،
هكذا نحن - عاشقون لهذه السماء،
نتجَمَّدُ أمام جمالها.

أنت شاعرٌ - بدقّةٍ وعنادٍ
المعنى الفاني أعلنه!
بحيث تدوي كلمة الشاعر
في السماء بشكل جديد.

بحيث بالوعي الكمبيوتري-الليزري
مع المشاعر الإلكترونية،

لا يحسدك الجيل الرائع،
ولا يصيبك بين العينين!

آلهةُ الليل المختلفة تحكم.
أشعة السماء حاملة النور
تدير الأرض بألحانٍ بهيجة،
والأرض، مثل أسطوانةٍ، تصدحُ!...

عن ذلك هو استنتاجي:
إلى اليمين نارٌ، وإلى الشمال ماءٌ،
هذان النقيضان، ليسا استثناءين،
لن يلتقيا قط.

لا أتوقع من السلطات غفراناً
على أفكاري المرتفعة:
أنا وأنت كبش فداء،
وهكذا سنكون في الجنة...

أليست قوانين جهنَّم الحمراء
تنخرُ في رؤوسنا؟
إتقانُ الكمال الخارق-
والقشعريرة تسري في العشب...

شهر أيار ينفع من جديد،
مثل جنينٍ في غشائه،

وترتعشُ فوق الأبدية الستارة،
والحيُّ يتحرك على المسار.

من الأرض تَنبتُ النباتات،
وفي نَفَسي نعمةٌ،
في حين يتنفس كمبيوتري بحِيرَةٍ-
وعليه ستهبط النعمة!

كلُّ ما هو حيٌّ - من حبوبٍ، من خُضَرَةٍ،
حياتنا مع الكلوروفيل «عليك»،
والعقول الإلكترونية صُنِعت
وفق قوانين قادير-أتا.

عظمةُ هذا الفردوس الأبديّ
لا تخرج من رأسي،
وتعبرُ، مثل خيّالة رشيقة،
نسيمٌ لطيفٌ على تسريحة العشب!

ادعمني بشكلٍ أبويٍّ،
وفكِّر أن الجنَّةَ الأبدية
ليس في مكان ما- في الروح البشرية
ملأت العقل حتى الشفّة.

بأكثر بساطة، مجرَّات النجوم،
الضوء الأبيض، مثل خبرٍ من النافذة،

يهبُ باقةً خفيةً من التمثيل الضوئي،
كما حدث في كافّة الأزمنة!

وحتى لو تباهى التكنوقراطيون،
وحتى لو تكَدَّر الثيوقراطيون،
الإيمان الأعمى وحده لا يمكنه
أن يتغلَّب على إغراء مَلْءِ البطن...

وحدَهُ وعيُنا النقيّ
يمنح البشريةَ القوّة،
ومسؤوليتنا السماوية
مراقِبَةٌ إيقاعَ المجرَّات!

الثبات هو مقياسٌ ثابتٌ!
يشعُّ بالسعادة الشخصية
وبرسومات الصقيع الشتويّ
بحزنٍ فردوسيٍّ تضربُ النافذة.

الفنَّان

المجرة ستارة مُقَصَّبةٌ،
لمْ تُفتَح لأحدٍ...
صوت كليو(2) يقول من جديد:
«ألم يكُشف لُغزه... ؟»

هل هو وليد الجنة أم جهنم؟
هو في السراب الكوني
يشيرُ إلى أنه لا ينبغي
تربية الأشباح في الروح...

إلى عقلك الباطني الليلي
تندفع الأشعار من جديد،
مانحةً معرفة غامضة
لعبير الأشعار...

هكذا يلمس الموسيقيون بأصابعهم
الوتر الواهب للحياة،
والدموعُ الخطيرة تتدحرجُ
صادمةً مصيرك.

شخص ما يمشي مشيةً جريئة،
بوجهٍ خلف قناع، مثل مصَّاص الدماء،
والريح تطارد النجوم بحريّة،

(2) كليو: إلهة الإلهام في الأساطير الإغريقية القديمة.

وبشيء ما يهمسُ العالم الفاني...

كأنّه بقراءته مرَّة أخرى
الواقع المكتوب،
أيريد أن يمزَّق الستارة الأبدية
ويندفع بوجهه إلى العشب؟

ربما هو يسمع الملائكة
على خشبة مسرح الوجود؟
فجأةً على أسئلته الوقحة
سيجيبُ مستقبلك؟

نحنُ في القاعة -في فضاءٍ مُظلم،
حيث تدخل الحقيقة إلى داخلكَ،
في عقلك تتلألأُ النجومُ
التي يحملها القدَر.

من جديد بالتحولات
يُدهشُ فجأةً على الطاير:
ناسكٌ وشيطانٌ مع ورود،
وكلبٌ مع علامة على جبهته.

على البخار مع شيطان بأرجُل ماعزٍ،

وضع القرون وهو يضحكُ،
استأجر مُلهِمات الشعر مرافقات له،
داخلاً في علاقات آثمةٍ معهن.

قدّمَ لنا شعبَ الألوان

وكل الكورال الفضائي،
أجل، هذا هو، مثل عفريت الحكايات،
كان ليلعب دور الإله بشكل رائع.

... والسهوب الخضراء امتدت،
فوقها فجرٌ أحمرٌ،
وكل ما هو اصطناعي مُسِحَ،
وكما يبدو لي، ليس عبثاً.

ماكرٌ هو حاملُ لقناع -
تارةً قيصرٌ، وتارةً ببساطة عبدٌ،
يلعب الأدوار دون خوف،
حتى ولو تترك الطلقة علامةً على جبهته.

الجميع في هذا العالم ممثلون
(الرُّضع لا يدخلون في الحساب)
في أسرِ التمثيل، في أسرِ الفكرة،
ووحدها خشبة المسرح تستهوينا.

لنفترض أن هاوياً مراوغاً
اجتذب فتاة شابَّة،
ليضرب الكهَنَةَ مشاهدٌ عنيفٌ
يعرفُ الكثير عن الدراما.

وإن كنت لا تستطيع المتابعة
في التمثيل والخداع،
مزِّق من الأقنعة أقنعةَ الزيف
واعتزّ بالحقيقة وحدها.

نعم، بطلي- ليس سحليةً قديمة،
هو ينقش على الأحجار قانوناً:
« لا يمكنك سحب العرَّافين إلى المسرح »،
وماذا تريد يا مُزيِّف الأيقونات ؟!

لكن الكاتب المسرحي بالضرورة
تمثله السماء بشكل خفي،
ونحنُ نلعب أدوارنا،
مُعانين طولاً وعرضاً.

لكن قريباً استراحةٌ بدون دعوة،
تقطعُ هذا الحفل الماكر،
والستارة المُقَصَّبة
تُسدَلُ على العالم الفاني...



مرة أخرى

العينان والروح ستصدِّق:
من جديد تودُّ أن أفهم
الشاطئ السري للمبادئ الجديدة،
وتسحق الشكوك والمخاوف.

حتى لو الألواح على الحجر الأبدي
حفرها نحَّات،
والناس تمنّوا لقرون
أن يحصلوا على العدالة.

الحكمةُ تتخمّرُ نبيذاً مُعتَّقاً،
ترغب في شربه حتى الثمالة!
وفي السجن-لتكن نزوةً ساذجة!-
أنت بحاجة إلى العدالة...

وحدَهُ شيءٌ ما في الروح يخاف،
وحده شيءٌ ما يُكرِّر: «دَعْ...»
أودُّ أن أُحَلِّق مثل طائرٍ،
وأخرج متشرداً، كما في السابق.

تبتعد عن طين العيش،
ولكن، حيثما ذهبت،
يلهثُ الصدى بغضبٍ،
كما لو كان عند صخرة الإعدام فأساً...

بالكازاخية «الصدى» و»صخرة الإعدام»
تُنطقان «جانفريك»،
أحياناً أُصلّي من الرعب،
فقط كي لا أعتاد على ذلك!

ملعونٌ هو التورط في العبودية،
لا أريد أن أسجد،
لا أريد أن أكون عبداً لمعبود،
في ذلك ينبغي النظر...

وتُنصتُ إليَّ
أذنُ منتصف الليل في جدري النجوم،
مدويّة من الزمن برعبٍ
في الصمت المُطْبِق.

كأن ذلك يقود من الملكين-
المتعقّبين ناكر ونكير،
إلى محكمة الضمير القاسية
أنا صلَّيت من أجل العالم.

بيد أنه، في الصباح كان
اللحمُ يُسْلَق، بقبقةٌ في القِدرِ،
وبعذوبةٍ، كأنها رحمة،
تعَلَّقت الحياة بي.

السماء الفاتنة

1

فوق السماء المليئة بالنجوم يهمسُ الليل فوق الأرض بلا نهاية...
أنا مضطربٌ- لم يفت الأوان: يحاول الشباب أن يساعدني...

هذه الليلة جاهزة للذوبان، صدري يتنفس لُطفاً،
والشعب يمنحني الكلمة، يكشف جوهر الكون...

الليل والسماء، لُغزان حيّان ينتقلان إلى العدم،
يتنهدان، فتَهِبُ القرونُ الأرضَ، مصادفةً، لحناً أبدياً...

في لانهاية لازوردية الأفكار هذه المعجزة تَشُعُّ لنا،
كانت الغيوم معَلَّقة بخفةٍ، بحيث تجذُبُ الحرية، مثل معبد...

أودُّ أن أحتضن الأشجار-أشجار الدردار المُعَمِّرة،
في لامحدودية الدهشة ألتقطُ مفاتيح هذا المعبد...

لكي تنير الحياة الحرة في الظلام كالقمر،
مستعدٌ لأن أكون كلبها، وأنبح حتى الغسق!

2

الإله على لفائف لحم الضأن
منذ الأزمنة القديمة يُخَمِّن.
تماماً: الموت يتكهَّن،
وللحياة يبني الخطط
موزعاً النجوم بضربة واحدة
على المروج السماوية.
النسيم، كما لو كان كلباً،
يشمُّ الأثر وسط النجوم.
الليلُ تحقيقٌ للرغبات،
والمخاوف الغامضة، والمسرَّات...
مَنْ بجناحه حجزَ المذَنَّبَ،
مَنْ تركَ انتقامه؟
هكذا في الحلم والعلم
أحلمُ بالمستقبل-
أنا مع المجنَّحين أعيشُ،
مع الفراشاتِ أطير بعيداً...



في منزلي كتبٌ كثيرة

في منزلي كتبٌ كثيرة،
منذ زمنٍ فهمتُ أسرارها.
بعضها مليءٌ بالحكمة، فيها تتنفس روح وطني الأم،
أُخرى - بنتانة دولٍ غريبة، مثل رائحة محيط ميت -
كيف تمكنَّت أوراق صفحاتها
أن تتحمل هذا الكم من الماء ؟!
بعضها مثل كادحين بسطاء في العمل تَمُرُّ أيامهم،
ومن الصفحات المنهكة يتدفق العَرَق، مثلما يتدفق من وجوهٍ قذرة،
وتلك التي «هبطت من السماء» لا تعرف أن نور الشمس يُخفي قصةً أخرى وحكايات مصير قاتمة.
نعم، وسطها هناك ثرثارون، وخُطباء، وكاذبون،
هناك كتبٌ عن المصير المحزن، أغلفتها مثل توابيت،
وهناك كتبٌ تتنقلك بالنهر إلى حيث ينتظرك الهدوء الأبدي،
وهناك كتبٌ تُنزلك بودٍّ على الشاطئ...
كتبٌ كثيرة...
هذه كالخمر،
طالما أنه يُرغي،
تخفي الهدوء في صفحاتها، وتذوب في أيدي ضيوفها،
أما تلك، فتحمل نور المعرفة، وبالنسبة للحياة لا تُقدَّر بثمن.
لو أن القادر يساعدني، لتمَكَّنتُ من قياس قدرة الكتب كلها!
فقوَّة الأفكار الكامنة فيها، مثل قوة آلاف الأحصنة؟!
ولكن وسط هذه الكتب هناك كتابٌ يكتبه القَدَر -
كثيراً ما تقرأه لي الملائكة المقدَّسة في المنام.

يسينكول جاكيبيكوف

(1954 - 2013)



- شاعر وصحفي ومغني وراوٍ، أنهى دراسته بالجامعة الوطنية الكازاخية عام 1990.
- اشتهر كمغني وراوٍ للعديد من السنوات، وازدادت شعبيته.
- أول من فاز بجائزة المسابقة التليفزيونية للرواة 1984.
- صدر أول ديوان شعري له في العام نفسه في العمل الجماعي لشباب المؤلفين تحت عنوان «طائر السنونو»، وفي السنوات اللاحقة؛ وصدرت دواوينه الشعرية الأخرى: «الوحي» عام 1986، «معك سويا» عام 1990، «انحني على الأرض» عام 1994، «حكاية الروح» عام 1996، «يا له من عالم عابر» عام 1996، «فرسان أراضينا الشاسعة» عام 1999، «هذا الصيف سيطوى في صفحات التاريخ» عام 2001.
- ألف العديد من الأعمال المدرجة في الكتب مثل «أغاني جيتيسو»، «الثلج القديم على سفح الجبل»، «مصير النسر الأسود». وقد أدخلت هذه الأعمال اتجاهات أصلية ووتيرات ومقاطع منساة في الشعر الوطنى.
- ظهرت في إبداعاته في السنوات الأخيرة ألحان موسيقية وفلسفية وتأملية ورثائية.
- كتب كثيرًا عن الطبيعة والأفكار العميقة حول الحياة والموت والمصير والخلق ومعنى الوجود مسلطًا الضوء على جوانب جديدة من موهبته.
- ألف الشاعر الكثير من الأغانى السردية ومن بينها: «الخريف الشنيع»، «يا لك يا ألداي»، «هاتفا في نفسي»، «لعل السعادة تجلب لك النبي الخضر»، «رجل الفن»، «النجوم تتنبأ بكل شيء»، «ذات مرة ذاق العشب السعادة»، «ليلة ضبابية» وغيرها من الأعمال.
- قام الملحنون بتأليف ما يقرب من مائتي أغنية من كلمات جاكيبيكوف.
- على مدار ثلاثين عامًا شارك جاكيبيكوف أكثر من مرة في مسابقات الرواة والحكائين الحكومية وحصل على جوائزها.
- حصل على منحة الدولة من جمهورية كازاخستان عام 2011.

الشاعرُ قادمٌ
(اسقوا الشاعرَ ماءً)

اسقوا الشاعرَ ماءً!
هو مُتْعَبٌ من الثناءِ والنضال.
كلُّ الشعراء لديهم مصيرٌ عميقٌ،
لن يكونوا شعراء بدون مصير.

هو قادمٌ، العبقرية المكتوبة،
لا يدعو إلى سماع الأشعار.
أمامه ركع
من يعيش الآن على الحَسَنَةِ.

فيه من الماضي لا يوجد أثرٌ،
لا غرور، ولا يد قويَّة،
ابتعدتْ كل النساء الآن،
كذلك ابتعدَ كلُّ الرجال.

حَدَثَ أن استمعوا وقوفاً
إلى الحقيقة الجليَّة التي سبكها الشاعر.
عندها كان يساوي شيئاً ما،
والآن، للأسف، لا.

الطبق الذهبي للأشعار كلها
أضاعهُ في عظمته.
وها هم يُطاردونه في كل مكان،
لذلك أصبح في النهايةِ مُشَرَّداً.

إنسانٌ نزيه

الإنسان يولُدُ نزيهاً،
ينتظر من القريب الدفء.
لكنه يمكن يكون مثيراً للاهتمام
بعد أن يجلس في القارب دون مجداف.

الحقد للنزيهِ غير ضروري،
الإنسان النزيه، مثل الورقة،
لمثل هؤلاء الناس الجائزة
أنه بروحه نقيٌّ.

على شفتيه ابتسامةٌ،
يُطلقُ ضحكاً حلواً.
هو لا يعرف أنه خطأٌ
أن تكون ودوداً للجميع.

ولا يُصَدِّق أن أحداً ما
يُصَوِّب في الروح من بندقية.
الحياة، عملٌ أبديٌّ،
نَصيبُك المؤلم.

أشعارٌ، أشعارٌ
(البهجة)

أشعارٌ، أشعارٌ، بهجةُ قدري،
لكنها كاذبة مثل هذا العالم الفاني.
أنا أؤمن بأن الصدى يعكسُ
كل أصوات المجتمعين على الوليمة.

أطردُ الكذبَ، أحتاج إلى بهجة،
أودُّ أن أبقى مع الشعر في هدوء.
أنا أعرف ما هو ضروري للنجاح،
وما هو ضروريٌ للروح وحدها.

ظهرَ النضج. لكنّ ليس بمقدور كوم الأشعار
في داخلي أن يصمت، ولا بأيّ شكل.
مثل فتاة تضحكُ بالقرب،
مثل أرغاماك(1) يعدو بسرعةٍ في النور.

الحُلمُ فيَّ كَبُرَ إلى الأبد،
لكني لا أستطيع، ولا بأي شكلٍ، أن أمتلك السعادة.
بالنسبة لي ليس إنسانياً أن تكون فقيراً،
الروح بالفقرِ لن تنقذها.

لا أحدٌ يرى جوعي الروحي،
ودموع الروح المالحة على عيني.

إلا أن السعادة تكمن في أنني ما زلت شاباً،
وبنيتي الروحية لم تَذْبُل.

أنا كلّي الآن مُلك الوطن،
بهجتي الروح الأبديَّة للحياة.

(1) أرغاماك: أفضل سلالات الخيول في آسيا الوسطى.

أعيش الربيع والخريف
في شوقٍ إليها

أعيش الربيع والخريف في شوقٍ إليها،
ولكن لن يكون بمقدوري أن أفعل شيئاً.
ولكن سيأتي الشتاء في ثوبه الأبيض
وترتجف أنت في البعد.

فأنا وحدي، أودُّ أن أحضنك،
ربما أنتِ لم تنسيني.
أنا أعرفُ تماماً أنكِ أحببتِني،
لكنك ربما لم تستطيعي أن تفهمي.

كم هي محظوظة بلا حدود قريتك،
لأنك الآن تعيشين في قريتك.
خليةٌ مليئة بالشبَّان المحظوظين،
غرقت في عينيك العميقتين.

لكنكِ تمرّين بهم وحيدةً،
أنت تَنظرينَنِي يا حبيبتي البعيدة.
أنت تعيشين وحيدةً، وأنا أعلم بالتأكيد
أن هذه النظرات الحارّة لا قيمة لها.

يومٌ ضبابِيٌّ

ضبابٌ كثيفٌ يرفع الأشرعة،
وتتساقط على البدو الرُّحل الغيوم.
ألا تسمع أصواتاً غريبة،
لا تعذِّب قلبيَ المُسالِم.

لكني لن أَكُفّ عن حبّك،
ولن أستسلم للخداع الصارخ.
ضبابٌ... ضبابٌ... كم هو صعبٌ نسيان كلّ شيء،
أذهب إليك أيتها التائهة في الضباب.

ضبابٌ... ضبابٌ... يا له من يوم ضبابيّ!
مُدّخِّناً، حائِماً، الضبابُ يلعبُ معنا.
والروح لا تتوانى في حزنها عليكِ
عندما يقف الضباب تحت الأشرعة.

لا تؤلِمْنِي يا قلبي
(أنا لا أحترم نفسي)

أنا لا أحترمُ نفسي،
أعيش حياتي.
أحترقُ، أحترقُ،
لا أغنّي الأغاني الخفيفة.

مثل مُدْرَج على القائمة السوداء،
لا أريد أن أكون غير ضروري.
يَبِستُ من هذه الفكرة،
أستسلم وأصمت.

ليس هناك علاقات طيبة
مع من هم يحيطون بي.
من القرارات الحاسمة
يتخلص الأقارب فقط.

الاستسلام هو قدري،
مثل بومة، لا أعرف النوم.
يئنُّ القلب من المرارة
مثل المتراس الأخير.

ليس لديّ أسرار

روحي لا تحتاج إلى السر،
روحي ساذجةٌ ونقيّة.
لكن إذا ما كُشِف سرٌ صدفةً،
سأغلق فمي.

أنا مثل بوابة مفتوحة على مصراعيها،
أدخلوا يا رفاقي إلى روحي بهدوء.
حيث لا توجد أسرار، لا يوجد ما هو مُظلم،
هناك فقط أنتم وروحي كلها.

ربما هناك أسرارٌ محددة،
على الأرجح عند من باع الخجل.
هم يصنعون مجدهم على ذلك،
متظاهرين بهيئةٍ طاهرة.

لا توجد أسرار في روحي، ولو كانت،
لما حفظتني من الجروح،
لا تضحكوا! ما كانت لتنسى
أن ترمي بحبلها على رقبتي كالحصان.

لا توجد أسرار في روحي، ولا شياطين أيضاً،
أنا مفتوح للجميع، وبذلك أنا فخور دوماً.
لكن هناك سرٌ، لا أعرف أين أنت،
أين تمشي وحيداً في العالم،
يا حبّي، يا حُزني، يا نجمي.

إلى الفتاة الشاعرة
التي جاءت للنصيحة

أن تكون شاعراً يعني أن تُحْرَمَ من الهدوء،
وأنت تغنّي القمر والزهور.
لو أنكِ عرفتِ ماذا يعني هذا،
لما اقتربتِ من الريش.

إن ذلك ليس بشغل، وإنما عذاب
أن تكونين وحيدةً تصلّين للسماء
كي لا يُصيبكِ فراقٌ،
وكي تكون عيناك سعيدتين.

في هذه الأثناء يعيشُ الناس المحظوظون،
يضحكون ويحبّون،
يعيشون حياةً خاليةً من الهموم،
ولا يعرفون أن روحَك ترتعشُ في القرب.

ذات مرّة ستندمجين مع القمر،
فراشةً تندفع إلى الضوء.
لكن الضوء لن يُصبح قريباً،
إن لم يكن لديك جناحا شاعر.

من الحياة لا تطلبي العون،
ستتفَضَّل وتمدّ يدها،
كي تركضين في السماء،
كي تسبحين في السماء بدون زعانف.

لدى قريناتك يترعرع أطفال،
سوف يحلمون بالسماء أيضاً.
لكنك كطائر، وحيدةً في الفجر
ستتوقفين ذات مرّة عن التحليق.

أجل، الشعر طائرٌ غَرِدٌ،
يُبدعُ أغانيه الرائعة.
لن يَقدر على الهبوط إلى الأرض
ويحترق في السماء بلا أثر.

وسيمضي في شارع واسع،
محاولاً اللحاق بالآخرين،
يبتلع الغبار في النهاية
ولن تتمكنين من التَّغلب عليه.

الامتنان لن يكون في أحيانٍ كثيرة،
على الرغم من أن القلبَ مليءٌ بالأشعار.
كأنك ترى السعادة، أجل هذه هي،
لكن عندما تنظر عن كثبٍ، أين هي؟

تتحول النجوم، والأطفال، بعيداً،
ذلك هو قَدَرُ الشاعر.
من سيلقاك بعد هذا،
يا مَن تحولتَ وبجدارةٍ إلى عبد؟

العالم

- أنت سيئٌ ! - لكن القلب لن يرتعش.
- أنت جيدٌ! -قلبي سيؤلمني.
- أنت جيدٌ! -سَيُفسدُ أمري
أيبوليت(2) الأكثر سذاجةً.

سيبالغ في المديح، ثم يقذف بكلمة
إلى صدري دون أن يخجل، دون أن يلتفت.
-أنت جيدٌ!-أحدٌ ما يمدَحُ من جديد،
لا يدع المشاعر ترتاح

أتسمع أيها العالم؟!
كيف يمكن إغضاب هذا الكم من المشاعر القلبية؟
أفهمُ أنه ليس من الصعب
تمييز ما هو مشرقٌ عن القذارة.

العالم هو هكذا، إرضاءً لله،
لا يرضي العبد قط.
متملقاً يدخل إلى طريقك،
ويتوغلُ في مصيرك.

كثيراً ما يئنُّ القلبُ من الوقاحة،
لكنه لن يُخدَع أكثر.
لذلك أرفع قبعتي
أمام من لا يدعني أغفو.

لماذا هذه الضجَّة في قريتي؟
لماذا لا تخرج من الأوساخ؟
أنت جيدٌ! لا، لم يكذبوا.
أنت سيءٌ! وليس هناك طريق للعودة.

(2) أيبوليت: دكتور أيبوليت، بطل العديد من مؤلفات كورنيي تشوكوفسكي.

إلى الناس

منحني الناس براحاتهم الدفْءَ،
وفتحوا لي أحضانهم.
ومر الوقت بشكل خفي سريعاً،
وأصبح الناس بالنسبةً لي إخوة.

بينما كنتُ أستندُ عليهم بظهري،
حزنتُ حتى الرمق الأخير،
وحزنوا هم معي دوماً،
عندما مرَّت عليَّ أوقاتٌ سيئة.

رُبما كنتُ متعجرفاً بعض الشيء،
إلا أن الناس غفروا لي ذلك،
وكنتُ بحبهم القلقِ حيّاً،
وكبرتُ شاعراً كبيراً.

الجبال العالية منحتني الظلّ،
وأنا ارتفعتُ إلى النور.
واحتفلتُ بالحياة، كما أحتفلُ بيومي الأول،
مثل يوم ظهور الشاعر.

كان يمكن أن أنحني مثل غصنٍ، عندما
جلست على الغصن تلك الساحرة،
إلا أن الناس بذلوا جهداً كبيراً
حتى لا أشعر أنا بالخوف.

أعيشُ حياتي، لكني لست حزيناً.
وهل يحتاج الشاعر إلى الكثير؟
أنا أبحث في الناس عن السند،
وليس هناك، للأسف، سندٌ آخرٌ.
في وقت ما ستضطر النهاية لأن تَحْدُث،
وتأتي أوقات حزينة،
لكنّي أُدركُ أنه ستكون أمام الناس
أبياتي غير الأخيرة.

سأدفعُ لهم لقاء حبّهم وفرحهم،
لقاء الكلمة المشرقة الأبدية.
-يعيش الناس الطيبون! -أصرخُ
وأدفع لهم جميعهم طيبةً.



شخصٌ بلا اسم

ادعُ التائهَ التعِبَ إلى بيتك،
اقْسمْ بكرم له الخبز وأحضره،
هكذا، لا تنس، كانوا يدعونك إلى المائدة،
العالم متغيّرٌ، وطَبْعُ الإنسان صعبٌ.

فليجلس بيننا، تكريم الجميع متساو،
في الكونِ لا تأخذ الطرق في الحسبان،
لا وطن ولا عائلة لديه،
شاركه دفءَ موقدك.

قسمة واحدة منحها القدر،
لا صديقَ لديه، دعاءٌ بدون إجابة.
بالكلمة الطيبة أدفئهُ، أطعمه، اسأله
أين منزله المفقود، ما الذي يبحث عنه في الطريق.

لماذا اضطر أن يترك موطنه العزيز،
عَمَّن ارتدَّ في الحب قلبه؟
تحمَّل ضربات القدر وحبائل الشر،
لكن لا ذنب له، يعني مصيرهُ مشرقٌ.

مربوطٌ بالألم، كما لو كان برباط حديديّ،
فقط مع الحزن يشبه غريباً في وطنه،
رجل أشيبٌ، وحيدٌ، بائسٌ،
سيذكر شفقتك إلى الأبد.

لا يوجد أبشع من مأساة أن تنسى وطنك الأم.
احفظنا يا اللّه من أن نكون في مكانه،
هو يتجول في العالم بائساً، مريضاً.
تلتهب نظرته بشوقٍ حتمي.

فليرى في الظلام النور المفقود،
حيث سيعثر على أثر الحرية المنشودة.
وحيداً، صامتاً يقفُ أمامك-
لا تتفاخر أمامهُ بنسبٍ أو قدَرٍ.

قد يحسد سعادتك السخية.
على رضا الأم عيشنا هشٌ،
ليسمع كلامك الطيب،
سيصمت عن تقاليد أرضه الأم.

يا إلهي،
لا تمنحنا شِبَعاً،
لكن أنقذْنا من عينين حاسدتين كئيبتين
لشخصٍ نسيَ قوة جذوره.
احفظنا بيدك السخيّة من الأذى!

إذا كنتَ للجميع غريباً وروحاً حزينةً،
ومشرَّداً وليس لروحك قيمة،
لا تستسلم للشوق إلى أرضك الأم،
إلى منزلك المفقود، إلى دفء الموطن،
إلى التحلّيق بجناحٍ جرحهُ الغضب.

ليست الكرامة لشخص يزرع المعرفة في كل مكان،
العالم المغرور الفاني - حلقةٌ مفرغة،
ليمضِ قُدماً مَنْ فهم الحقيقة،
وإن فُهِمَ بشكلٍ خاطئ، إلا أنه سيمتلك النور.

في قلوب الناس الطيبين نعمة السماء.
أمثالهم قليلة على الأرض، مثل العجائب!
ويتدفقُ النهر البشري إلى الحتمية،
وقمةُ الجبل مغطاةٌ بالثلج، عالية،

كذلك أيضاً الذين يعيشون في رخاءٍ ومجد،
من غير المرجح أن ينظروا إلى الناس من علوٍّ نسر،
مديحٌ أم ذَمٌّ - النتيجة لا تهم...

لا أستطيع أن أحاسب

هذا العالم أصبح غير مستقرٍ وخطراً،
ويبدو لي أن الحياة تمر سدىً.

في الحياة الجيدة الماضية لم أكن مديوناً،
والآن لا أستطيع، ولا بأي شكل، أن أحاسب.

لا أستطيع اليوم أن أحاسب الدجَّالين
والمجانين على أن العقول تدفعهم،

وأولئك الذين يتظاهرون في التعامل باللطف،
إلا أنهم لم يحطموا الحطب مع إخوانهم.

لا أستطيع أن أحاسب المتهورين،
فالغرابُ مكتوبٌ له أن يبقى غراباً

حتى ولو ذُهِّبَ ذيله،
لن يُصبح طائر النار.

لا أستطيع أن أحاسب القملةَ المُتْخَمة،
التي بطنها أكثر سمناً من بطن خنزيرة.

لا أستطيع أن أحاسب المُتَزَلِّف الذي يُكَنِّس بلاط الحاكم،

رامياً ابنة السيد بنظرة فاسقة.

يجب أن أحاسب أولئك التيوس،
الذين بطيشٍ قادوا قطيعهم إلى الذبح.

في وقت متأخر تحاول الأغنام الرجوع إلى الوراء-
تقفُ في خزيٍ أمام المسلخ.

أريد أن أحاسب المنافقين
الذين يعتبروننا أغبياء، وليس أخوة...

كم من الكلمات التي لم أقلها تخنقني،
مثل لصٍّ ركب على حصان غريب.



الساعة

كيف يمكنني أن أعيش مُتَجَنِّباً الغرور،
دون أن أعاني من الشائعات والضحكات؟
في فراشي الذي رششْتِه أنتِ،
تصوري، بقيت ساعتي.

في دوامة المشاغل الحياتية
الفكرة الطيبة تغرق بلحظة.
كنت أفكر فينا نحن الاثنين،
أما ساعتي، فلم أتذكرها.

دعيها تعدُّ الأيام
والقرون، إذا كانت قوتها كافية.
لا تتوقف، حقاً إنها
أمضت الليلة معك.

وأنتِ في صمتِ منتصف الليل
لا تنسي تلك الليلة الطائشة.
احفظي كذكرى عني
تلك الساعة مثل مشبكٍ ذهبي.

سوارها مثل تميمةٍ ارتديه،

أنتِ شابةٌ، نقيَّةٌ، جميلة.
وإذا طرقت بابك ليلاً
افتحي لي الباب مع ابتسامتك المشرقة.

هزّي شعرك الطويل،
فوحي عبيراً مألوفاً،
حتى لا ننام من جديد طويلاً
بفرح الاحتضان المفاجئ.

رغبةٌ واحدةٌ في الصدر-
أن يبقى ليل السعادة فوقنا،
ويوقف الشروق على الطريق،
أنا نفسي كما لو أصبحتُ ساعةً.

أهٍ أيتها الليالي،
اربطي عقارب الساعة، حتى لا تسرع عبثاً.
وإذا ما قفزت فجأة من جديد،
فذلك يعني أنني مُشتاقٌ إليكِ.

قُل اليومَ

هناك سر واحد عزيز، يقلق الروح،
في ذاكرتي ليلة ساحرة، لم يكن في الحياة أروع منها.

هناك دَين غير مُسَدّد للناس
وهناك بياني الذي لم أرسله إلى لمنظمة الأمم المتحدة.

هناك صمت بغيضٌ، عميقٌ مثل القبر
هناك حقيقة لم تُقَلْ، لم تمنح الناس القوة

هناك ظواهرٌ مذهلة، لكنّ الظلام يلفُّها.
هناك كازاخ على أرضهم الأم، ولكن ليس لديهم رُكنهم.

هناك أبطال أسطوريون، منزلهم مكتظٌ في الأرض.
هناك نساء رائعات، إلا أن أجسادهن لم يرها أحد،

هناك بُكْمٌ، صامتون، لكن لسانهم حاد.
هناك مَلازِمُ خفيّة، لم تعتدْ العين على رؤيتها.

حتى لا يعيش الناس في صمت، بدون أُغنيات شعبية،
فجَّرنا المَلازِم لقديمة، وعالمنا الآن ليس ضيقاً.

ولكن كما الكحول المخفَّف بالماء لن يكون طيباً للجميع،
الحقيقة التي وصلتنا بقيت تقريباً بلا قوى.

والناس كانوا متعطشين للحقيقة، فتشوا عنها صيفاً شتاءً،
وقيل الكثير، وغُنّيَ الكثير.
لكن الحقيقة ضرورية في الوقت المحدد، مثل رشفة الماء في العطش،
عندما تتأخر، ما فائدة الناس منها؟

لا نعرفُ حجماً للحقيقة، لم يحسبها المفكرون،
لكنَّ الحقيقة تُقدَّرُ قليلاً، عندما تتأخر.

لا تَتوانَ، أيها الرفيق، تحدَّث وقُلْ الحقيقةَ الآن،
حتى تكون الحقيقة مسموعة، وحتى توحِّدنا الكلمة.

أولوغبيك يسداوليت

(ولُد عام 1954)



- شاعر وكاتب مسرحي وصحفي كازاخي، تخرج في كلية الصحافة بجامعة كازاخستان الحكومية عام 1977، وحصل على دورات أدبية عليا من معهد جوركي الأدبي عام 1985.
- نشرت أول أشعاره في ديوان للشعراء الشباب بعنوان «الجناح الشبابي». وفي عام 1985 صدر أول ديوان شعر له بعنوان «عاشق لعينيكِ».
- بعد ذلك خرج للنور العديد من كتبه التي لاقت استحسانًا كبيرًا من القراء والأدباء ومنها: «نور النجوم» عام 1977، «جوهرة آلتاي الذهبية» عام 1979، «العيد العظيم» عام 1982، «القافلة البيضاء» عام 1985، «الأصل» عام 1989، «انفجارات في القلب» عام 1995، «قمم ألطاي» عام 1998، «الكتاب الإسفيني» عام 2001 وغيرها. وأخيرًا صدرت أعماله كاملة في خمسة عشر مجلدًا عام 2006.
- دواوين الشعر التي صدرت له مؤخرًا تعد دليلًا على أهمية إسهاماته في الشعر الكازاخي المعاصر.
- ترجم الشاعر إلى اللغة الكازاخية أشعار الكثير من الشعراء الهنود، والأتراك، والفنلنديين، والجزائريين، والأوكرانيين، والأذربيجان، والقيرغيز، والمنغوليين. كما ترجم بعض أعمال ليرمانتوف، وبلوك، وكيدرين، وروبتسوف.
- تمت ترجمة أعماله إلى العديد من اللغات الأجنبية. أما مسرحيته «زيري» فقد عرضت على خشبة مسرح كوانشبايف الموسيقي الدرامي الأكاديمي الكازاخي عام 2017.
- عام 1982فازت قصيدته «الحذاء الأسود» بالجائزة الأدبية الجمهورية المغلقة «جالين».
- عام 1986 حصل كتابه «القافلة البيضاء» على جائزة لينين من اتحاد الشبيبة الشيوعي.
- فاز بجائزة مسابقة الشعر للبلدان الناطقة بالتركية، وجائزة «ألاش» الأدبية الدولية.
- عام 2002 حصل على جائزة الدولة من جمهورية كازاخستان على كتابه «الكتاب الإسفيني».

شارع أوليكبيك

أحدُ شوارع ألماتي يسمى «أوليكبيك»،
في بيوته يعيش ويترعرعُ الكثير من الناس،
فيما يتعلق بمسألة أنهم منذ زمن أطلقوا عليه هذه التسمية تكريماً لي،
فإن أصدقائي مستعدين لأن يضحكوا على هذا الأمر لقرنٍ كامل.
أحدُ شوارع ألماتي يسمى «أوليكبيك»،
يحتاجُ تنظيفه من أوراق الشجر أياماً لا تُذكر من العمل،
في حين يشعُّ أوليبيك ذو الاسم الأسطوري،
فوق رأسي الأشيب تحوم الغيوم الكثيفة كلها.
أحدُ شوارع ألماتي يسمى «أوليكبيك»،
النسيم البارد والمُطيع يدعونا للمشي،
كلُّ شيء ي الشارع متغيرٌ، كما في قَدَري،
أحياناً أشعر بالاختناقِ منه،
مِنَ الذي وهبني اسمه الشجاع،
بروحي أنا قريبٌ من الناس الذين أعادوا إلينا النجوم،
لماذا، قُلْ، يجب علينا أن نتقاسم الشارع الواحد مع الآخرين،
شارع واحدٌ لا يكفي، وأنا نفسي شاعرٌ من هذه الشوارع.

الكتابُ الحجريّ

على قبر والديَّ
أضع كتاباً قطعتُه
منذ زمنٍ بيديّ من الحجر.
أمامهُ أحزنُ أو
أفكِّر، أين أرواح الميتين؟
وتحت هذه السماء الصافية،
الأحجار أيضاً لا تكون خرساء،
فذلك الكتاب أقرأه بصوت عالٍ.
إذا صادفتُ زوبعةً،
الحزن يشلُّ قلبي،
لكن شموع الفكر تشتعل.
السماء ستُقَلِّبُ الصفحات
في هذا الكتاب المفتوح،
لكي ترى ما تُخَبِّأه،
سيقرأ حتى لغسق القمر والشمس والنجوم،
لإنهاء قراءة هذا الكتاب حتى النهاية،
لكن لا تكفيها مئات السنين.
السحابةُ التي تآكلتْ من قيود المطر،
تارةً بيضاء، وتارةً سوداء،
من هذا الكتاب
تعلَّمتْ الحنين إلى القراءة.
بعد أن تحمل الكثير من البؤس
وقضى الشتاء على القبر،
امتلكَ الكتاب جناحين،
ويحلمُ بالاندفاع إلى الأعلى.



عند الغروب،
في الوادي البارد

عند الغروب، في الوادي البارد
متمايلين بلطفٍ في العربة،
قافزين بلطفٍ،
نازلين طويلاً على السفح إلى المنزل.
جدّي وأنا، دربنا صعبٌ،
لا ينعكس في العيون.
السهوبُ تَمْتَدُّ بصدرها،
وجسدها يرتعش مع الرياح.
الشعاع فوق الهضاب احْمَرَّ خجلاً،
واختفى توهجه القرمزي بلحظة
بينما كنتُ أُحدِّق،
جدي بعد أن استدار قال:
«لا تُفتَنْ بالغروب، يا حفيدي،
مع غروب الشمس نحن الاثنان
يومنا يرحلُ إلى مكان ما.
مع الشمسِ وحدها نعيشُ.
الوقت بسهمه اللعين
سيحطِّم كل الحواجز.
لذلك، يا حفيدي، قبل الغروب،
تمكَّن من أن تُنْجِزَ شيئاً».

قالَ وصوته يتقطَّع،
أهداني نظرته،
في عينيه العجوزين ذاب
غروب الشمس الحمراء.
في بؤبؤيه تجمد الحزن،
جاءت الحسرةُ مرتعشةً.
استدار جدّي نحو الشرق،
باحثاً عن صباحٍ مضى.



المرأة التي تغسل النُّصُب التذكاري

«في شرق ألماتي يَكْبُرُ جَبَلٌ...»
أغنية عجيبة حادَّة على اللسان.
انتصبَ نصب تذكاري لشاعر وحيد،
منذ زمنٍ عليه أن يتشرَّب كبراءً الجبال.
فوق الشيح يسمو الشاعر،
المزن الرُّكامية تُغَنّي مجيبةً.
محتفظين بسرِّ الشعر في صدورهم،
ينتظر الفتيان بشغف نصيحته.
مضى الشتاء الذي كان يلِدُ الرُّعبَ في السماء،
وها قد أتى الربيع يحمل بيده اللجام،
هلَّلَ التمثالُ في الغيوم
التي رأى أنها لم تتحول إلى بخار،
وهو نفسه عاش هذه الأيام الشتوية الرطبة.
بقي طويلاً أمام الجو السيء
الذي بقيت أثاره...
لكنْ لحسن الحظ
غسلت امرأة الجسم الحجري
الذي أصبح فجأة أكثر بياضاً من الغيوم.
غسلته بعناية بالصابون الأبيض المُرَغّي.
برفقٍ مَسَحَتْ رأسه،
مثل حريرٍ أبيض تغيرت هيئته،
وظهر انتصار الدموع القوية،
تساقطت عناقيدٌ حجرية من عينيه.
ماذا تساوي الأشياء، الفضة والذهب،
إذا كان في تلك الدمعة يكْمُن جوهر الحياة؟
المرأة تُقبِّل التمثال وتحتضنه
بحزنٍ لا يعيد تدَفُّق الحياة؟

أعيشُ فقط لأحبك

أعيشُ فقط لأحبك،
أنت وحدَك، أنت وحدَك.
عاداتكَ، إشاراتك- أحبكَ كُلَّكِ
وبِثقلِ الشوقِ أحطِّمَ
قلبيَ الجريح،
بمرات كثيرة الحزن فيه أقسى.
طوال الوقت أتذكر اسمك،
وأحترقُ بصمت،
أكونُ في كل يوم
كما لو أنِّي في حلم صباح حُلْو.
أعترفُ، ما كنَت لأكبُر،
كي في الهاوية من خلال قطرة دمع،
لو أني لم أعرف مشاعرك.
وعندما من خلال وهج الصمت
ترسلين إلي نظرَتك.
أنسى لهوَ المُكر،
مستَعدٌ لأن أحني رأسي،
وأكَسر حياة التَّكَبُّر.
وإذا أبعدتِّ نظرك عني،
تنتابني رعشةُ الشوق.
أصبحُ في حيرة، سأكون مُحَطَّماً،
يغلي صبري على حافَّته.
لكنَّ قلبي تُعالجه من الجروح
كلماتٌ تقولها شفتاك.
أعيشُ فقط وأنا أحبكَ،
كم هو مُحزنٌ، يا حبيبتي، يا نوري،
أنني لم أحفظ حبك إلى الأبد
عندما تجد في الظلام أثراً
للحب، تشعل شمعةً بحزنٍ ...

أوه، هل هناك قوة؟

بِجِدٍّ يَمحو الفنانُ
ملامحَ لصورة على الورقة
بدت له ليست هي،
ظهرت بدون روح.
مثل ضوء يطفئ وجهه
لضحكته غير الحقيقية،
يمحو حواف العينين الشريرتين،
بحيث تختفيا إلى الأبد.
يمحو صيواني الأذنين،
لأنهما تحبان الشائعات كثيراً،
يمسح شفتي الفم،
لأنه يكذبُ كثيراً.
وهل هي قليلةٌ الكائنات
الغبية واللامبالية التي نصادفها؟
فيها وُلدَ الشرُّ منذ البداية،
وهل سيغسله الحليب؟
أليس هناك قوة تمحو
آثار الأيادي الوحشية الباردة،
التي جرحت القلب بِخُبْث،
التي داستك وانتهكت شرَفكَ؟

العَجَلة

نُسرعُ عندما يكون الإسراع خطيئة،
نسرع إلى حلِّ المشكلة بسرعة؛
بعد أن نحلَّ كل شيء، ونتوصل إلى لخاتمة،
نسرُعُ إلى طريق العودة.
نُسرعُ للتعليم، نُسرعُ للعلاج،
نُسرعُ لنأكل ونصوم،
نُسرعُ لنشيع الميت،
ومع أول شخص نصادفه نتآخى،
ومع الصديق المخلص نتشاجر.
ننجح للمرة الألف في الوقوع في الحب،
ونفترق من جديد، ومن جديد نتزوج.
نمسكُ برقاب بعضنا البعض،
من اليأس نبكي،
نُسرعُ، نُسرعُ...وعلى المدى
نصرخ: «لا أستطيع أكثر!»
عندما نضع رجلنا في الرِكاب،
يسبقنا الوقت برشاقة
ويضحكُ: «بحق الجحيم يا أخي
هل العجلة الجهنمية ضرورية لنا؟
لا داعي، أعتقدُ أن الإسراع
أكثر من الحياة يعني عيش الحياة كاملةً!»

الزاوية

تصَرَّف الابن الصغير بشكل سيء، وهو نادراً ما يفعلها،
فعاقبه الأب.
قف في الزاوية! - قال الأبُ بغضبٍ
مثل هِرَقل في الأسطورة الشهيرة.
وقف الابن الصغير في الزاوية مرغماً،
صغيرٌ، بالطبع، لكنه أبيٌّ في مظهره.
فقط كتفاه يرتجفان من الألم،
وفقط أنفه الصغير مبللٌ من الاستياء.
من المريح أن يكون لديك في الغرفة زوايا،
لتضع أولادك في كل واحدة منها للعقوبة.
فكَّر الصبيُّ: هل كنتَ لأُعاقَب
هذا الصبي يعاني من الزوايا،
لن ينسى الزوايا قط.
أحياناً يعلن لأمه:
«سأبني بيتاً لا زوايا فيه...»
يعجبني هذا العفريت الصغير النادر،
للأسف، هو يخالف الآداب،
كان أجدادنا محظوظين بلا حدود
لأنهم لم يروا زوايا في مساكنهم.

أنا مُغرَمٌ بعينيكِ

عيناكِ الشفَّافتان الخجولتان كدمعتين،
أضاءتا وفاضتا ذات مرة.
شعاعان مشرقان، ودليلان في الليل،
أنتما أنقذتماني في الصحراء من العطش.

اللون العقيقي للعين قادني إلى الجنون وجمعنا،
مُضيئاً نقاءً طاهراً.
في زوايا عينيك، كما في أعشاب المرج،
هناك طريق لشخصين، مليءٌ بالزُهَيرات.

على الطريق الصعبة أسرعُ فجراً نجوكِ،
نورُ النعيم يملأ عينيك،
بجوهَر الجمال الخفي، وفِكرِ الرحابة الجريء،
أعلى من الجبال الثلجية، أعلى من السماء.

في أعماق العين يكمنُ كنزٌ -أفكار أخٍ حنون،
مختومٌ بعلامات وديّة.
سيفتح كل الكنوز، ويُنطِق كل الجروح،
وفي الروح سيذيب الجليد مع الأنهار الجليدية.

احْتَرَقتُ في نار العينين، تجمَّدتُ في عتم الليالي،
شعاعُ نَظْرَتَكِ غَنَّى بوترٍ-
فيه دومبرا حزينة، وعزفٌ عاصفٌ،
والرياح الربيعية لم تتوقف حتى الصباح،
مُرَدِّدةً اللحنَ وراءك.

ضربت الأحلام بشكل جامح، أهدتني جَنَّة عاصفة،
ومن البُروق تَلقيتُ تحيات.
ومن الطرق الثلاثة القديمة استطعت أن أنحتَ ثلاثة جديدة
وبدَّلت الغروبات بشروقات.

إذا نزلَ الحزن فجأةً،
أتذكر نظرتكِ وابتهجُ،
ارتجفُ وأتصل كي نلتقي.
أنظرُ إلى الأبدية في وجهي: تَبَخَّرت بحيرة
دموعي الخفية وأحزاني!

لهذا السبب ابتهجتُ، لهذا السبب أعلنت انتصاري،
لأن نظرتكِ الدافئة فاضتْ فِيَّ،
ابتسمتُ للقدرِ - واندفعتُ صوبك،
ووقعتُ في الحب!



رسالة

أُغمِضُ عيني حتى الضوء الوقح لعينيَّ
لا يتدفق ويلمع بكل هذه العلانية.
إنه الحب. لا شيء تفعله. ربما
رياح طيبة هبَّت علينا اليوم.

طيّبة، وصلت طائرةً مثل أنفاسك.
هل هو رعد في الليل، أم إنه مطر غزير يدقُّ على النوافذ،
يُسمَع: حان الوقت لتحقيق الرغبات-
لقد عثرتِ على بابي في الفراق معي.

غاليتي، غاليتي، لتعيشي بدون حزن!
في الحَرِّ سيرنُّ الماء الذهبي تحت الشمس -
هذه ضحكتك عادت من البُعْدِ المجهول
أم هي السنون ترنُّ وتتفلت من بين الأصابع؟

هل تشفق عليها إذا كان الكثير سيواجهك
هناك، إلى الأمام، من أكثر القصائد والخطب إشراقاً
الشمس والهلال سيُتوِّجانكَ بمحبة
بالتاج المتألق للأشعة السماوية النقية.

لا تسأل الشعراءَ عن الوقت

لا تسأل الشعراء عن الوقت،
فالشعراء لا يعيشون بالساعات،
ليس من الضروري أن تستنجد بهم للإجابة
وأن تحملهم على أن يَخْفِضُوا عيونهم.

حالماً، كطفل، صريحاً
يعيش الشاعر دون أن يتعلم العيش.
ولكن بالنسبة له وحده يُخَلَّد الوقت
الذي تمكنتم من تبديده بغباء.

ما هي حياتنا؟ من الغسق حتى الفجر
إطفاءُ حرائق حتى نهاية الأعوام
لا تسأل الشعراء عن الوقت،
من الوقت –خلودٌ. في ذلك يكمن السر كله.



جئتُ إلى الحياة

إلى الحياة جئت –
من الحياة خرجت.
ماذا فعلتُ في حياتي؟
انتظرتُ النجوم في الأعالي السماوية،
شربتُ مياهاً موحلة.

في الحياة ذهبتُ أنا،
وعدتُ.
عند الفجر في وقت الصلاة
دعوت الله لينظر
ويرانا نحن الآثمين.

عرفت أذكياءَ مع حمقى،
ثم أغلقت عينيَّ،
أنا حجر صامت ميت،
ليس لديّ ما أقوله لكم.



تيار غولفستريم (1)

إلى موطنك سترجع، لكن الفرح سوف يموت ...
قال الأب عند الباب وهو ينظر متجهماً:

«إذا كنت لا تجيد كتابةَ رسائلَ إلى المنزل،

فبعِلم العروض أنت تعذب نفسك دون جدوى!»

في السابق، أذكر، كان أبي مندفعاً وسعيداً،
والآن يأتي الحزن والتأمل إلى أبي -
كما تأتي الأمواج البحرية الباردة
على وجهه مسفوع كصخرة.

ربما مزَّقه حِمْلٌ لا يطاق،
ربما أصبحت الشيخوخة تنظر مباشرةً؟
عندما ذات مرة فقد ابنه الأكبر،
هكذا أصبح أبي متجهماً وكئيباً منذ ذلك الحين.

صقيعٌ أبيض على صدغيه، وشفتاه متدليتان،
ظلال السحب السوداء تحت حاجبيه طوال الأيام ...
غريبٌ أن نرى كيف أصبح الوجه المتفائل
الشبيه بالقطب الشمالي، أو بالمحيط.

«ولَد حفيد!» - مؤكّداً على أبدية الحياة
رفع الخبرُ حاجبيه، وقوَّم كتفيه، -
أصبح وجه أبي أكثر دفئاً، مؤكداً:
في المحيط هناك تيارٌ دافئ!

(1) تيار غولفستريم: تيارٌ بحري دافئٌ في المحيط الأطلسي.

البستان الشتوي

ربما تذكرين البستان الشتوي...
أمطرَ ثلجاً على أكتافنا.
قبَّلتك، وهذا المساء
أحلمُ به من جدَيد، أحلم بكِ مائة مرة.

ربما تذكرين البستان الشتوي...
لينةً، قبَّلك الصقيع،
التويْت مَثل كَرْمة
وشفتاكَ عنب ناضجٌ.

ربما تذكرين البستان الشتوي...
لحقتُ بك في الدوامة الثلجية
قبَّلتك مرة أخرى -برقَّة لا تُصَدَّقُ،
كانت ضحكتك هادئة ونظرتك مُتَيَقِّظة.

ربما تذكرين البستان الشتوي...
والثلج -فركتُ به خديك،
وضَحكت...
تيارات دَخان
البتولا العارية اخترقت هُطول الثلج.

ربما تذكرين البستان الشتوي...
كيف أضعت الزر. وسوية
فتشنا عنه في أعَماق أكوام الثلوج.
ومن شيءٍ صغير بدأ خصامُنا.

ربما، تذكرين...
فعندها
أضعنا السعادة دون أن نلاحظ،.
تركتُك في البستان أنا، هيهات
يُرجعنَي القدَرُ الآنَ إلى هناك.
منذ ذلك الحين، خسرتُ الكثير
وفهمت في حزني النهم:
جريمةٌ هي تَبادُل القبلات مع غير الحبيبة!
وأنتِ، وأنتِ لا تذكرين البَستان الشتوي؟ ...

صباحٌ ممطرٌ

ما إن فتح الفجر رموشه،
حتى حجب السماء الضباب
مطرٌ الخريف يطرق على النافذة
يطرق بأغصان الصفصاف.

لعب النهر السماوي –
وجدتُ مكاناً للهروب على أي حال
يا ضوئي، هل تذكرين كيف حدث ذلك
وأنا طرقت على نافذتك؟

تضجُّ وتغضبُ الطبيعة
على جدول الفيضان مرة أخرى،
ولكنّ لا أجد مكاناً للهروب أكثر
لا أدق على نافذتك.

كيف تئنُّ الريح!
عشوائياً
تطير عبر الأيكات، عبر الغابات.
يدق المطرُ.
النافذةُ تبكي.
أو ربما أنا نفسي أبكي؟ ...



يسينغالي روشانوف

(ولُد عام 1957)



- تخرج في كلية الصحافة بالجامعة الكازاخية الحكومية عام 1980. وفي العام نفسه صدر ديوانه الشعري الأول تحت عنوان «البداية».
- عام 1984 خرج إلى النور كتابه «كيلنتوبي» الذي جسد ظهور الشاعر الجديد الذي أثرى الزخرفة التقليدية للشعر الكازاخي بأسلوبه الجديد ونمطه في الكتابة.
- أشاد القراء والمجتمع الأدبي بالدواوين الشعرية التي أصدرها روشانوف لاحقا ومن بينها: «حتى ترتفع نجمة الزهراء 1986»، «ضريح عائشة بيبي 1992»، «طائر الغرة الأسود 1995» وغيرها.
- تتشابك ألحان الكلاسيكيين الشرقيين والفلكلور الشعبي، وتقاليد السهوب والأغاني الشعرية للرواة بشكل متناغم مع الثقافة الشعرية الكازاخية المعاصرة ويكونان معًا الأسلوب الفريد للشاعر.
- انعكست هذه الخاصية بشكل واضح في العديد من الأشعار الغنائية متعددة الموضوعات والمضمون ومن بينها: «حب ساجديشي»، وكذلك الأشعار المكتوبة استنادًا إلى الأساطير والخرافات الشعبية مثل: «ضريح عائشة بيبي» وغيرها.
- ترجمت بعض أعماله إلى اللغات الروسية، والليتوانية، والأوكرانية، والبلغارية، والتشيكية، والأوزبكية والقيرغزية.
- أصدر روشانوف كتابًا منفصلا لتراجم الشاعر الأوزبكي حمزة نياز. وفي أعماله التي أصدرها باللغة الكازاخية، نجد الأثر التذكاري التاريخي «تيمورلنك».
- ألف روشانوف رواية «المولود من الأضواء»، والمجموعة النثرية «الطيور- أصدقائنا».
- حائز على جائزة لينين كوموسمول والجائزة الأدبية الدولية «ألاش»، وحصل على جائزة الدولة بجمهورية كازاخستان عام 2006.

شيءٌ غامضٌ هي ذاكرةُ البشر...

شيءٌ غامضٌ هي ذاكِرَة البشرِ...
أسرارُها عميقة ...
يقولون إن جَدِّي كان قديساً،
بِرَغْم أنّ روحه - أرواحٌ
كانت أفعىً رماديةً مُرَقَّطةً، -هكذا قال كبار السن، -
كانت مستلقية في زاويةِ منزله،
ملتفَّةً ككرةٍ على السجاد.

نُسيت الصراعات والحروب،
ولكن لسبب ما تذكرت المنطقةُ
بأكملها، أن فحيح الأفعى
كان أكثر حدَّة من الريح في الرمال.
وماذا لو إلى جمعِ الشيوخ
دخل جدي، يحملَ بفخامة
هذا المخلوق على كتفه، -وحده الشوقَ
كان ليوقظه لدى الرجال المسنين.

فليدينوني أنا وقصتي،
فليثبتوا لي
أن الأخلاق في السابق كانت صارمةً في الاحترام،
وأن المخلوق لم يجرؤ على الفحيح على مُقدَّسٍ،
إلا في اليوم الذي مات فيه جدي،

هذا المخلوق «النجس»
تحول كله إلى غضبٍ خالصٍ
وضرب الأرض بذيله.

أحياناً أستيقظ
وفجأة

أشمُّ بجلاءٍ في الظلام -أفعى
تزحف نحوي
تتشبث وتُلفُّني بحرارة...
هذا ليس شبحاً، وليس حلماً،
وإنما تاريخي،
يلتفُ وينزل على جسمي ...
يتسلق على كتفي...

- « ماذا تريد أن تقول -تكلَّم!
ماذا تريد أن تقول لجدك؟ » -
يستفسر،... وروحي
في كل مرة تواصل العذاب.
وأنا دائماً خائف من شيءٍ واحد،
أن الأفعى لن تستطيع فتح
حلقاتها، عقدها -
أبداً
لن تتمكن من تقويم نفسها ...

رأيت في حياتي كثيرين
اعتبروا أنفسهم قديسين
كلهم تبددوا عندما
حدثتهم عن الأفعى.
... ومستلقية هي ككرة مرقطة،
كما في السابق، مجرد تشابُك ملوَّن.
أنا أعيش ولا أعرف ...
لا أعرف،
كيف ستقوّم
ظهرها.

في القلب
ضرب صدى البوق

في القلب ضرب صدى البوق،
سبحت قاطرةٌ عبر ليلة العسل ...
من الضوء الساطع
لغابات الصفصاف
ارتدت إلى الوراء خائفةً.

وها هو الكابوس المنهِك أصبح حقيقة –
أمشي وأمشي خلف الأفق...
أفكٌّ حقيبتي، وخلف النافذة أعدُّ الأعمدة...
بضعة سطور عندها
كانت جاثمة على قلبي،
سافرتُ عبرها،
كما عبر مسارات القدر.

كان عليَّ أن أسحب نفسي وأزحف!...
من النافذة
كانت ليلة الصيف تتنفس، وكانت الأنوار تجري على طول الندى...
الفتيات المسافرات
لم يفهمن وسط النوم
أنني في جاناكورغان انضممت إليهن.

نعم، تلك كانت البداية!
عيدي دائماً كنت بنفسي
أرتبه وأحتفل به -قبل الآخرين ...
تخلَّفت في بعض الأحيان...
لكن السنوات مرَّت،
وبشوق إلى الجنة الأم
رجعتُ إلى منزلي من جديد،
مر أخرى جئت إلى هنا.

ما زالت هناك حشود الصفصاف
تواصل نموها بصخبٍ
وما زالت تدوي من وراء الجبل
همهمة القاطرة المتلاطمة...
إلى أبيات الشعر التي تراكمت في الطريق،
جذبتُ نفسي مرة أخرى
حتى المنبع...
مرحباً، يا قريتي.



أربعون يوماً مرت
منذ أن حلَّ فصلُ الشتاء

أربعون يوماً مرت منذ أن حلَّ فصلُ الشتاء
بالناس والماشية حلَّت المحن.
طارت الطيور إلى منازل ذهبية،
إلى بلدان متعددة الألوان.

وحده الغراب يُعْلِنُ نصرَه، ينعق في الفجر،
مغنياً الصقيع:

- «لتموتوا جميعكم! ..
كنت خاناً...
لا تصدِّقون؟
انا أقول!
لقد حكمتُ العالمَ في الجيل السابق.

وجميع الطيور كانت عبيداً لي،

يكفي أن أنعق - حتى يتجمد الجميع! ...»

ليصرخ الأسوَدُ لاعناً العالم كله.
العالم لا يكاد يصدقه.

ببساطةٍ فإن الخريف - للأسف - في هذا العام
مات مبكراً،
حتى إن العواء العاصف
يوماً بعد يوم، يرثي هذه المحنة ...

اليوم هو الأربعون.

كازاخستان عام 1932،
عام الجوع

« هنا هلك الناس »، –
بصمتٍ تشخرُ
هذه الهضبة السوداء الموحشة،
العالم قاسٍ، مثل تشرين الثاني،
ولا يسمع الآلام
حتى ولو صرختَ بلَوْم وراء لَوْم،
وحدها الرمال ستلاحظ
المحنة الماضية،
تذبلُ في العشب الضار لمجرى النهر ...
الماشية ماتت هنا من الجوع
في العام الرهيب ...
وراء الماشية مات الإنسان...
سترفع الزوبعة الرمال
وسترى في الرمال
خصلة سميكة لفتاة ميتة،
ولسانُ الحمَل
يجدلها بحزن،
متعجباً بالجمال الماضي.

وكانت هي فتيَّةً،
كانت حيَّة...
طار إليها فارس على حصان،
وشاخراً على الجانب،
قضم الحصان اللجام ...
واحترقت القلوب كما في نار.
ورنَّت للحبِ
كلمات ذهبية،
ونسج الجديلة الخصرُ اللين...
عشبة لسان الحمل...
عشبة لسان الحمل...
عشبة لسان الحمل...
كازاخستان ...



توريبيك، عاشق المطر

« سئمت القرية! - كم مرة كرَّرها؟ ...
سئمت بالمعول حفر السهوب،
وإطعام الدجاج الأنيق من يديّ،
وطرد القطط الحريرية -من الحزن ...
سأنتقل إليكم. القرية بالنسبة لي ليست أمراً.
قريباً سأصبح في العاصمة شبيهاً بكم...» -
في كل مرة، عندما يأتي لزيارة الأقارب،
يواصل تأكيد هذه التهديدات.
حتى في هذا الربيع يزور ألماتي.
المطر الدافئ لليوم الثالث يواصل هُطولَه من الأعالي.
توربيك في الفجر ينهض، ومثل الظل،
لسببٍ ما يتجول في المحطة كل يوم ...
يعود - مرحاً،
يقف على الشرفة،
ويضحك، غاسلاً وجهه بالمطر.
هو، مثل الطفل، وحده هنا سعيدٌ بالمطر:

«الحصاد، -يقول-، -سيكون مائة ضعف الآن!
الأرض سوف تكون رطبة
القمح في الحرارة لن يحترق ...
وافرةً ستكون الأعشاب ...
رائعٌ! ...» -
يقول.

آدم

سَرَتْ شائعة عن أن كوركيمباي الأعرج سيتزوج...
استعدَّ الأقارب للذهاب إلى منزله لحفل الزفاف.

هذا مَهْرُ العروس،
والعروس هنا،
وأضيفت
أقاويلُ وشائعات،
ربما الناس يكذبون؟
- يقولون إن الفتاة تحملُ جنيناً في بطنها...
- آه، المهم أن يحصل الأعرج على امرأة ...
إن كان في نظافة،
إن كان شبعاً ومرتباً -سيكونُ سعيداً هكذا!
وسيكون مقتنعاً بحياته المسكين كوركيمباي!...
البيت القديم دهنهُ بالطين، للعمل في وقت أقرب،
أعاد تثبيت الباب في مكانه، ومَتَّنَ السياج..
زوجةُ كوركيمباي كانت معروفةً ....
ذنبها الوحيد أنها أنجبت على الفور صبياً.
لا يوجد لحمٌ للنفاس-
اكتأب الشاب.
لحسن الحظ قريبٌ للزوجةِ أهدى إليهم نعجةً.
في كثير من الأحيان نظر الزوج بنصفِ عينٍ إلى الوليد،
الصبيُّ يبكي ويصرخ، لكنه سليمٌ معافى.
أمُّ الطفل الشابة تجلس شاحبةً،
وتنظر بحزنٍ
إلى ضباب السهوب التي لا نهاية لها.
... مرت أربعون يوماً، وفجأةً

مرضَ الطفل،
وبدأ بالسعال بشكل متواصل.
وقع الأبُ في الحزن.
عرف هو أنه بمقدور الغراب الأزرق وحده أن يعالجه،
فسارَ في المنطقةِ ليصطاد ذلك الطائر.
الطفل في صمت، نائمٌ وقبضته مشدودة-
كوركيمباي ينظرُ بحبٍ إلى زوجته ويغمزها.
وكأنّهُ خائف من أن يخيف نوم الطفل المريض،
يهمسُ:
يقول «يا مُهري!
يا مُهري!»
الطفل نائم ولا يعرف
شيئاً
عن ذلك الشخص
الذي أصبح بالصدفة أباه.
... لم يعش ذلك الطفل طويلاً-
سرعان ما مات.
أصبح كوركيمباي غير مبالٍ-
علمٌ أمْ
حلمٌ؟
يُدَخِّن كثيراً، أصبح غي مكترث بهذه الحياة -
لقد أخذ الصبيُّ
نصفَ قلبه.
فقط في الليل، ورغبةً منه في عدم إقلاق نومَ غاليه،
يهمسُ بصوتٍ خافت:
«يا مُهيري!...
يا مُهيري!» ...



قبل ثلاثين عاماً

ربما مرَّت ثلاثون عاماً
عندما أخذ تذكرةً إلى ألماتي في اتجاهٍ واحد.
في قريته الأم كيلينتوب على نهر سيرداريا لم يستطع نسيانها.
الفتى اللامع فكَّر بالأشعار.
ينظُر أحيانا:
«تحية»-من رجلٍ كتفاه محنيتان.
لا، ولُدنا كان مختلفاً تماماً...
كان ولُدنا يمشي في الصباح في الندى،
ويبتهج في السهوب. أما ذاك - كئيبٌ،
شبيه بالحجر: روحه باردة.
أياماً كاملة يجلس عند القبور.
على ضفة النهر الحور-القرين،
كم مرة أزهر، كم فقد أوراقه!
بعد أن رحل عن مراعينا، ضاع
في ألماتيته ذاك الصبيُّ الغريب.
لم يجد ما كان يبحث عنه.
يبدو أن أخاه الأكبر أزالَهُ.
شكراً لك يا ألماتي على هذا أيضاً.

عالم أورال القديم

مبعداً القصب الشاطئي،
أمشي، مثل نمرٍ يائسٍ، في اندفاعٍ،
ووحده الضميرُ يمد لي يده.
يأتيك الموت- لن تجمع العظام.
لكنَّي ممسكاً بالرايةِ الشامخة عالياً وبقوة،
سأسحقُ العدو المباغت.
ليست لك صورة المعركةِ موحشةً.
لدى عودتي عند الفجر، أرى
كيف تصلّبتَ في الحلق بتنهيدة خفيَّة.
بعد أن أنهي صلاة العشاء،
بكَ أتخيل حصاناً. هل
عرفتني يا أورال؟
مُهرك
جاء إليك.
كدتُ أخشى
أن تكون هائجاً، مشاكساً، مضطرباً...
لتمكنتُ عندها من سحق العدو،
لكنكَ بريءٌ، وديعٌ.
النقاء
شفَّافٌ فيك.
أنا كلِّي في لهيبٍ.
أبكي على ضفتك.
أنا لستُ مخلوقاً لأتهكم
على الجمال-
بل لأحميه.

الْمُهْر

هل ستتمرغ على العشب مع ضحكتك المسرورة،
أنت محكومٌ بالعالم، في قبعته...
ليست ريش سنونو، وإنما ريشة بومة.
في وقتٍ ما كنت أنا مهراً،
كانت أمي على قيد الحياة، وعدَوتُ،
وصعدت إلى القمم.
لكن يد الموت المكسوّة بالأشواك
سحبت ضلوعي...
-كن قوياً!.
لن أنسى ضحكته.
الامتعاضُ يحرق.
إلى السماء الأبدية أمد بوهنٍ يديّ.
على الضلع المنزوع نقلتُ، كما على قاربٍ،
إلى الضفة البعيدة نقلت نعش أمي.
في حضورها ما كان ليتجمّد قلبي،
وما كانت الزهور لتذبل. الآن على قريتي الأم
أنا ضيفٌ نادرٌ...
أوه، يا مهري الغالي!
اقفز ما دمتَ لا تعرف بعد حبال مرابط الخيل،
ذات مرة ستَمْتَدُّ مرابط الخيل...
وبعد الموت، ستعرف العبودية...
وستصبح قاسياً...
مثلي تماماً...

دراماي

-وداعا، - قلتُ للرمال،
-سأزورك بطريقة أو بأخرى،
لم يأتِ موعد الأحزان،
سنتقابل،-وعدتُ.

حذوتُ الحصان،
وأسرجت الجمل المخصي،
وأصبحت الشاعر الأخير،
كبرتُ. سأرحل.

يلُفُّ البُعد الضبابي،
والرياح تشتد،
من شفتي اليتيم الشاحبتين،
لا تنتزع شكوى، بل أنيناً.
الوصول إلى ألماتي على الجمل
غير مُقَدَّر.
لا ينبغي عليَّ أن أشفق
على الجمل المتعجرف.

حلَّ يوم الوداع.
مُهْرُ الأعوامِ الثلاثةِ يقضم اللجام.
ربماَ للمرة الأخيرة
يخرجُ من الفناء.

سِرْ، يا حالك السواد،
يا صديقي ورفيق دربي، سِرْ.
المدى لم يختبئ في دخانٍ،
ضبابٌ في عينيّ.
امضِ! -يا لسوء الحظ.
يرقصُ حولي،
كأني ومن دونه
الحزنُ لدي قليل.

ألا تسعدُه
الدموع من عينيّ؟
أليس عدواً لي الحصان،
طالما أنه مغرمٌ في عذابي؟

نضبتَ تدَفقُ الدموع.
لو دمعة واحدة، لا دموع!
-لتختفي...! -صرخت عليه،
باكياً بلا دموع.
والريح تذكرَّت صرختي.
هكذا رحلت عن منزلي.
رأيتُ خيولاً كثيرة،
سريعةً، وغير سريعة.

إلا أن صورة ذلك الحصان
قادرة على أن توقظني
في جوف الليالي،
ويضربني بعُرفه.

عند سفح كيلينتوبي
يقفُ وينتظرني.
مُسَرَّجاً، يقف وينتظر،
لكن وجهه لا أراه.

أوه، أين رأسه؟
أوه، أين رأسه؟
لماذا بتهورٍ
يفرُّ من يديّ؟

أبكي من جديد،
ومن جديد أستيقظ سعيداً،
أبكي ثانيةً
مثل شخصٍ انتزع منه القَدَر

آخر ما لديه.
بعد أن بقيت وحيداً في الطريق
أسمع حافرَه
إيقاعاً ساحقاً.

نار الخياشيم الساخنة،
آثارٌ تقود إلى السهوب...
حراً وبدون رأس
يرحلُ مُهري.

أثناء صلاة المغرب

صلاة المغرب لا تحتاج إلى ظلالٍ،
يجب أن تموت الظلال.
الشاطئ المغسول بأشعة الغروب،
كما لو كان قد ابتلعَ دماً.

وهنا أيضاً أُفَكِّر بالهضاب-
في الدماء هي. عالمٌ ميتٌ
أميل بسمعي إلى الماء، إلى الأرضِ،
أسمع صوتَك.

مُتَدَثِّرةً بالسواد كأرملة،
البتولا التي ظلها في الأرضِ.
بريءٌ أنا! - يبكي لي البرعم،
سامحني، يا أخي غير الشقيق.

اليوم دفنتهم كلهم ،
لكنّي لم أسمع عزاءً.
القرية مستلقية في الجوف الهادئ،
والسماءُ حمراء-حمَراء.
في القبور أمي، وأبي،
وشقيقاي الأكبر والأصغر،
وجدتي-
أخذتهم جميعهم الحرب.
قتلتهم، ولم تُعِدهم.

ظهر القمر متورماً،
وعرَّجت الطريق إلى الأدغال.
أي يوم اليوم لن أستطيع أن أنام فيه،
أي ليلةٍ على التوالي.

القلبُ الذَّابل

يأتي إلي في المنام الموتى منذ زمنٍ.
والقلب يدقُّ بجفاف،
وليس هناك ما أرويه به
منذ أن انطفأت أمي.
فوق قريتي الأم وفيها
غيمةٌ واحدة
تستقبلني
أيّاً كان المكان الذي أعود منه.
في غياب الأم يتضاءل نور الأمل،
لكن هناك سحابتي،
لكن السحابة تسير معي،
إلى القبر تذهب معي.
تقف، المسكينة، معي
فوق رأسي.
السحبُ الأخرى تسبح،
وسحابتي تقف فوق التلة.
الأخرى تسبح، وهي واقفة.
-مرحباً، ها أنا وصلت،-
أقول لأمي في أفكاري،
وسحابتي تسمعني.
-سلامٌ يا غاليتي. الجميع بخير،
الجميع بصحة جيدة، كل شيء على ما يرام.
أنتِ أوصيتني ألا أبكي؟

وها أنا، كما ترن، لا أبكي.
أحترم العادات، مثلما أمرتِ،
وتقاليدنا أحترمها،
والأعراف أذكرها، لكن لا يمكن إعادة
الأيام السعيدة الماضية.
أحبسُ الحزن والشوق،
لكن عندما ابتعد قليلاً،
كل حزني الخفي
يبكي معي بشدّة.
غاليتي، أقول: الجميع بصحة جيدة،
وكل شيء لدينا جيد.
سأصمد، سأتحمل حتى النهاية،
أصبحت قوياً كالحجر.
ماذا تقولين، ماذا تقولين،
هذا لست أنا من ذرفَ الدموع!
ربما الغيمةُ فوقي،
انفجرت باكيةً... وترتعش...

كلب الصيد الأحمر

صباحات تشرين الأول الباردة،
أجبرت الصفصاف الشاطئي القاتم على الرقص.
منذ أن مات العجوز ذو الشعر الأحمر،
يعيش كلب الصيد الأحمر أيضاً حياةً سيئة.
لديه أصبح الصندوق وعاءً،
بيتُ الكلب اُستُبدل بجحرٍ في القناة
أيُّ نعمة؟ من المسؤول عن الذنب؟
الكنّة والابن المزدهر،
لا شأنَ لهما بالكلب.
طرداه من الفناء بالحجارة:
-هيا، ابتعد!
لم يكن عليه السير طويلاً.
هناك، عند الهضبة، حيث يرقد صاحبه ذو الشعر الأحمر،
استلقى الكلب المُتعب الهزيل.
عوى بوهنٍ.
طوال الليل بكى عند القبر،
طوال الليل بكى.
توقَّف قلبه،
تلاشى الضوء. خمد تدريجياً،
لاعقاً مخالبه المنزوعة.
كان الفجر أحمرَ. على ما يبدو، بكى الحجر.
صافعاً الظلام، وتحت الشمس الحمراء
هام في الهذيان شبحُ الكلب الأحمر.
أنا أعرف أن الكلب موجود،
والضمير في الليل يخزني،
وخلال الليل يُطَهِّر روحي.

أحببتُ جنيّةً تُدعَى إينير

أحببتُ جنيّة تدعى إينير.
قُلتُ لنفسي ... ليكن ما سيكون،
موتٌ أم فرحٌ.
ها هي تقتربُ مخبئةً شفراتها تجلس بجواري.
مخفية مخالبها الحديدية في الأكمام الطويلة.
أشعرُ بعذابٍ مخفيّ.
وأجلس شاحباً على الهضبة.
إينيري، مُنصَهِرةً مع الغبار الرمادي،
من مخالبها الحديدية يقطر الدم،
وبها تُمَزِّق الأفق أمامي.
جِدارُ النار يُدْمي المنحدر،
فوق الأفقِ - توهجٌ في منتصف السماء،
كما لو أنَّه قليل ما رأيته في هذه الحياة من أهوالٍ،
ومصائبٍ وحزنٍ... ماذا أفعل؟
أصبح الظل الليلي
يجري، مثل ريح، على أطراف الهضبة.
تدنو الجنّية:... «وحدي أنا ... سأفهمك،
وليس بمقدور شخصٍ آخرٍ أن يفهمك!.
الأرض هادئة. البحيرة تلمعُ.
وفي الأعالي كل شيء على ما يرام، وحده القلب يندفعُ إلى مكان ما.
أيُّ عالمٍ حول؟
حزينٌ، مع مثلٍ هذه المخالب.
ماذا عساي أن أفعل، أخبرني،
أوه، ماذا عساي أن أفعل؟

الصحراء

ساكساول[1] أَدعو أخي.
في صحراء آلغا القزحية
نشرَ أغصانه-
أنا أيضاً مثله تماماً.

هو مثل شباط، يصبُّ بقوة.
رقبته المقوسة بيضاءُ.
ها لا تسبح الرمالُ وحدها-
الناسُ يغادرون منازلهم.

وحدنا نحنُ لم نغادر الأرض،
ولم نهجر أرضنا الأصلية.
بالكاد تحركت لخطوة
طيهوج،
في موسم الأمطار.

بِهيَجانٍ ربطت الحصان
في الحرارة الأكثر شدَّةً
على بعد خطوة طيهوج صغير
من الأماكن التي أوصى بها القدر.

(1) ساكساول: الرِّمْث أو الحمادة - جنس نباتي يتبع الفصيلة القطيفية، يضم عدة أنواع تنتشر في غرب ووسط آسيا.

الحرُّ يُزعج- ماذا في ذلك؟
في كانون الأول ستعوي الرياح،
ذلك هو قدرُ الرجال،
تلك هي قسمتهم - أن يتحملوا.

في السماء من جديد ليس هناك غيوم،
السهوب الواسعة متعطشة للرطوبة.
كم علينا أن ننظر إلى هذه السهوب،
مسكين أخي، أخي ساكساول.

السحابة ذات البياض الكثيف
ذهبت إلى موطنها.
السحابة ذات الزُّرقة الكثيفة
ادخرت قطرة المطر.

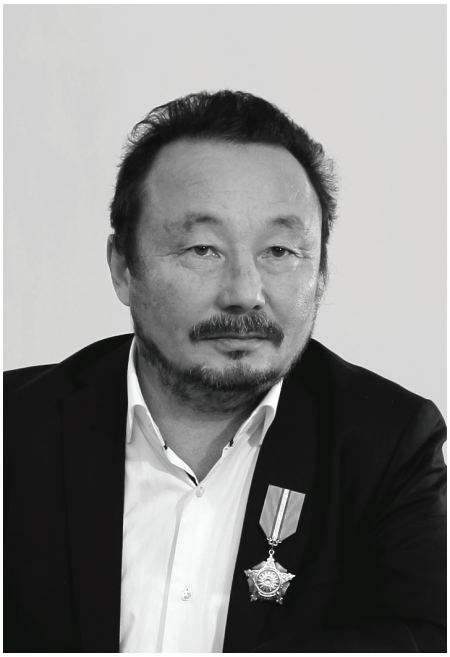
في صحراء آلغا القزحية
يمد أخي الأكبر يديه إلى السماء.
في صحراء آلغا القزحية
أخي الأكبر يسير نحو السماء.

سَحَب السحابةَ من السماء،
بفروع سوداء سرقها،
جذبَ السحابةَ إلى نفسه،
متمنياً أن يرى يوماً جديداً...



سفيتكالي نورجانوف

(ولُد عام 1962)



- شـاعر وكاتـب نثـر ومترجـم كازاخـي. تخـرج عـام 1986 مـن كليـة فقـه اللغـة بجامعـة كازاخسـتان الحكوميـة. صـدرت أول أشـعاره عـام 1985 فـي ديـوان شـعري للشـعراء الشـباب بعنـوان "الجمهـور".
- صـدر أول ديـوان شـعري خاص بـه عـام 1993 بعنـوان «الناقـة». وقـد تجلـى فـي هـذا الكتـاب نمـط الشـاعر الشـاب الموهـوب الـذي نجـح بعـد عشـر سـنوات فـي اصـدار كتـاب الأشـعار والقصائـد «عنـد الفجـر» المكـون مـن ثلاثـة أجـزاء.
- عـام 2015 صـدرت لـه العديـد مـن الكتـب مثـل « فـي ليلـة مقمـرة » عـام 2008، « وابـل النجـوم الصباحيـة».
- يتمثـل الموضـوع الأساسـي فـي ابـداع نورجانـوف المتعـدد فـي مصيـر التاريـخ الوطنـي، والكفـاح من أجـل نيـل الحريـة الذي يشـجعه روح الشـخصيات العظيمـه ونماذج حياتهم التي يتم التعبير عنها بمهارة شعرية.
- يثمـن القـراء والمجتمـع الأدبـي لغـه قصائـده الغنائيـة التـي تحكـى عـن الأحـلام والمشـاعر المتنوعـة مـن معاناة الإنسـان المعاصـر والشـاعر الـذي يحتـل مرتبـة خاصـة في الشـعر الكازاخي الحديث.
- هنـاك اتجاهـا مهمـا لابـداع نورجانـوف يتمثـل فـي التراجـم الأدبيـة رفيعـة المسـتوى لنمـاذج من الشـعر الشـرقي والغربي، والأعمـال الدينيـة وإثرائهـا للثقافـة الوطنيـة. ومـن أمثلـة تلـك التراجـم: ترجمـة كتـاب «كتـاب الحكمـاء» عـام 2009، كتـاب «الشـعر الأوروبـي» عـام 2010، «الشـعر الكلاسـيكي الأوروبـي» عـام 2011، «أربعـون قصـة حكيمـة» عـام 2013، «قـوة الضعفـاء» عـام 2013. وفـي الوقـت الحالـي جـاري العمـل علـى اعـداد وطباعـة مجموعـة مـن أشـعار الكاتـب تتألـف من ثلاثة عشـر مجلدا.
- حصـل علـى جائـزة مجلـة «جالين» التـي تحمـل اسـم أيبيرجينوفـا، كمـا حصـل علـى الجائـزة الشـبابية الحكوميـة «دارين».

بحثاً عن الأسلحة

كيف لا أبكي، كيف لا أُغَنّي،
عندما أشعر بالخوف والسوء؟
لقد أَضَعتُ السوط القوي،
بسبب رقبة جَمَلٍ ضخمٍ،
قوي وأَبِيٍّ،
جَمَلٍ ذي سَنامٍ واحدٍ.

آهٍ، هذا السوط المتهور صُنِعَ بمُعْجِزَةٍ،
من جذعٍ زيزفون وقرنٍ ورصاص- أهٍ، كم هو جميلٌ!
مقبضه بالكامل مجدولٌ بالنحاس
والفضّة مع طلاءٍ أسودَ - أن تمتلك مثل هذا كيري تاتار(1)
اعتُبِرَ منذ زمن سحيقٍ ولاحقاً مكافأَةً إلهية.
حدثَ أن الأسدَ الزائرَ نفسه،
في رحابة السهوب الرنَّانة،
ذُهِلَ من هذا السوط
وأخذ بالمواءِ كقط صغير!
مَنِ سيخبرني
أين سوطي،
سأقدِّم له بيتاً مكافأةً،
جالداً بالسوط عدوي!

(1) كيري تاتار: بالكازاخية، وتعني نوعاً من السياط.

...بعد ذلك أضعتُ سيفي
من الفولاذ النبيل-
مقبضهُ الذهبيّ الخالص رَدَّدَ
لمعان الأفقِ الأزرق،
قَطَّعتُ به الجملَ ذا السنام الواحد
والفيلَ دون تأخير.
مثل شعاع الفجر لمع معدنه
المصقول بشكل مميز.
عندما كنتُ آخذُ السيف في حملةٍ
وأجرّده من غمده،
يهربُ العدو بعيداً. ببساطة لم يكن هناك
مخرجٌ آخر.
من يديلي(2) هرب العدو،
أعماهُ اللمعان، وارتعدَ!
ومن خلال ألاكول وماركاكول(3)
عبرتُ.
الكلُّ أمامه متساوو الحجم،
فهو يزرع الرُّعبَ القاتل.
في الصحارى اختبأ الكاليمك،
وذاب الروس في الغابات.
مستعدٌ لأن أقلبَ العالم،
وأفتش، ولا أستسلم،

(2) يديلي: تسمية كازاخية لنهر الفولغا.

(3) ألاكول وماركاكول: بحيرتان في كازاخستان.

حتى أعثر على ذاك السيف المعجزة،
ولن أفارق صُحبته!

كان لدي قوس طويل جداً...
مع سهام الجعبة،
كان صوت وَتره غليظاً،
مثل خوار الثور:
عندما كنت، كمحارب في الخدمة،
أُطلق سهماً بارعاً،
في طيرانها رنَّت السهام الواحد في الآخر،
وطعنتْ-
أشدُّ الوتر
بمهارة وسهولة
أَرْسَلَ قطعانهم إلى زُرقَةِ الرحابةِ المُشِعَّة،
وشمسُ الجبال دخلت إلى الإثارة،
كما إلى أغنية مُلهِمة،
وسراب الرمال الذهبية
خدعَ بصرَ العدو!

آه، يا رمحيَ الأبيض!
أين أنت يا كنزي!
كيف يمكنني العيش في الدنيا بدون هذا الرمح الأبيض.
مَنْ سيكون مدافعاً بدون جهد في اليد الشجاعة.
أعيدوا إليَّ رمحي، أرجوكم، وأنا في ساحة المعركة
بدم الكفَّار سأروي حوافَّه المنحوتة!
صقَلتهُ بشكل حاد خلال الترحال،

غطيته بالمخمل في ليالي العواصف الثلجية.
حكمَ عليَّ العدو الغادر بالترحال الأبديّ،
وحدَهُ الغزال المصاب بجرح قاتل سيفهمُ عذابي:
مصابٌ في أحشائه،
والديدانُ تنهش جسمه.
ضاعت نعمتي
التي اخترقت العدو بشكل حاد،
اخترقته من اليمين إلى اليسار!
وأنا على صهوة حصاني، وأنا واقفٌ-
أغنّي أغنيةً كئيبة.
عندما يحدق بي الأعداء، مستعدٌّ حتى لأن أموت-
أنا مكتئبٌ ومذهولٌ بغياب المفقود.
حتى لو أنقذتُ مئات الأرواح، روحي من جديد ليست سعيدة-
والرّمح الأروع بمئات المرات، لا أحتاجه.

... خوذتي محطّمة، وترسي مدَمَّرٌ،
ودرعي معطوبة
ممزقةٌ بالكامل،
عندما يكون القتال صعباً.
كل ما هو جيد يُحَطَّم، أوه، أي حياةٍ حلَّت،
عندما لم يعد في السهوب وفي الجبال يوجد وئام!
بعد أن قصَّت الجدايل والشعر على الصدغين،
وجحدتْ بعادات الحياة، هُمِّشتْ جراءُ الذئب اللقيطة،
وهبَّت ضدَ كل ما هو مقدس.
في الناس استوطنت عقيدةٌ أكثر عدوى من الكوليرا،
أجبنا يا تينغري الأزرق،
هل الحب أكثر أهميةً من المال؟

يا الله يا عزيز! يا آدم! يا نوح-النبي!
ادعُ إلى المعركة!

توقفت عن الطعام، وعن الغناء، فقدتُ مذهولاً
الرمح والدرع، والقوس والسوط، والسيف-سيف الكازاخ،
لم أعرف الهدوء طيلة حياتي، أحصيت المعالمَ نحو النجاح...
أين هي الآن، ترسانتي، دروع الأمس؟
دون جدوى فَتَّشتُ عن سلاح البطل
في الرمال، في الوديان، وسط الصخور -من يشبٍ وأرجوان-
ولذلك أنا اليوم مهزومٌ، بلا سلاح.
وأصبحت حياتي مؤسفةً لي - لا حاجة لأحدٍ بي.
ولذلك فإن أعدائي الشرسين كالوحوش،
لا يتوانون عن أن يفتحوا بضربة واحدة من أرجلهم أيَّ بابٍ،
ينبشون في المقابر القبور المقدسة،
وباستهزاء يمزّقون إلى أشلاء كل بيت شعر لي:
أنا أعزلُ. أنا للأسف انتقلتُ إلى مكانٍ ما،
حيث الفهود الجبلية والأسود هي اليوم مجرد قططٍ صغيرة.
بجعتي السوداء لا تُغنّي بعد أن صبغت جناحيها بالدماء،
والنورس الأبيض يحمل في تحليقه لحماً مع دم.
الحمارُ وآرغاماك الآن في نيرٍ واحدٍ - شقيقانً،
عدد خسائري مضاعفٌ بخمسة أضعافٍ- ولا عودة.
الجن شيمورين والجن شورالي(4) -نذيرا الحزن-
اليوم خرجا زاحفين من تحت الأرض إلى النور.
نحن نعرف أيضاً بالوجوه والأسماء القادة
الذين يدعون الحمقى تحت الرايات السود.
ولن ينقذنا من الخسائر بلحظات معدودة
لا أخ أكبر بائس، ولا عبقري مجنون.

(4) الجن شورالي – ساكن الغابات، الجن شيمورين-ساكن السهوب والجبال.

ثروات مخازننا في أيدي جنٍ غريب،
وفي أيدي القادرين على رؤية دمائهم تغلي في العروق.
وحدها الأم-الوطن ستتمكن بمفردها من إنقاذ الوطن،
في مواجهةِ من فقد عقله، ولم يلقِ السلاح.

حتى تحفظ من الإغواء، ومن الحلم بالثروة،
ستَشْهَرُ السيف من الغمد، وستلقي على الشعب خطاباً
عن العدالة الإخاء.
كي نكون مثل أسرة، كي يولُد أبناءٌ
تغسل الشمس جباههم، ويُمشِّط خُصلَ شعرهم القمر.
كي ينضج فيهم عقلٌ حاذق، كي يكونوا محبّين للوطن،
كي يكونوا تحت ضفائر تولوم غير مرئيين.
كي يخرج من سلالة الجدِّ، من ذريّتنا،
حفيدُ الشمس، يشبه بمظهره المبدع.
والآن في نهاية المطاف
ما نعرفه ونمتلكه
لكنا لا نجرؤ على الإفصاح به:
بُعِثَ سبعة أموات،
ارتقى سبعة حكماء،

غُفِرَ لسبعةِ أوغاد
لسبعة أجزاء الكون
وفق منطقٍ غير قابل للفساد.

... وأنا لم أعثر على ترسانتي
في رمادِ الأجداد.
دعوت الريح لمساعدتي،
تواجدتُ تحت خُوَذِ الهضاب،
عن الترسانة فسَّرتُ

مع العصافير على الأغصان.
لكن كل شيء دون جدوى! عبثاً فتَّشت،
عبثاً همتُ في العالم،
عبثاً دعوتُ بصوتٍ عالٍ
المتهمين للإجابة.
وسط السهوب الأم أقف
وأنا لا أصدّق نفسي:
أحقاً أغني عن أنني
لم أعثر على المفقود؟
لم يجبني لا الصدى:
«إيه، لم يحدث، لم يُوجد،
لم ينجح لم يتحقق...»
والسنبلة لمست السنبلة،
وكان لدي الصوت الخيالي
الذي تطلقه الدومبرا
من عنقها، من كتلتها،
الكوبيز (5) يردد معها...
وليعرف الشعب:

كيف لا أبكي، كيف لا أُغَنّي،
عندما أشعر بالخوف والسوء؟
لقد أَضَعتُ السوط القوي،
بسبب رقبة جَمَلٍ ضخمٍ،
قوي وأَبِيٍّ،
جَمَلٍ ذي سنامٍ واحدٍ.

(5) كوبيز: آلة موسيقية شعبية وترية كازاخية.

المنطقة الفيروزيّة

يا منطقتي الفيروزية!...
نور شوقي الأبدي إلى كانجايلاو(6) ،
سَيْري جريٌ في ندى الصباح الباكر.
لكن الشتاء ضغطَ، شدَّد ضوضاء عواصفه،
نفد الصبر مع الأحلامِ بجمالِك.
بدا لي:
هذا هو الشعاع الأزرق على وشك أن يتوهَّج،
ستستيقظ السهوب، وتهتزُّ، ومعها نستيقظُ نحنُ،
ونرى كيف تلتقط الشمس من الشتاء حوافّها،
ونُصدِّقُ نهايةَ شتاءٍ طويلٍ لا ينتهي!
جارًّا خلفه قوافل الخزامى البرِّية،
الربيع على وشك أن يرجع إلى منطقة كانجايلاو الفردوسية،
وبالرَّحابة كلّها يَنْصب على المروج يورتاه،
وينقر التُرغُلَّة كي تهتفُ مُغَنِّيَةً.
مُتَوَرِّد الخدَّين -طاووساً أبيضَ -
يخطو الفجرُ من خلال العتبة الجبلية العالية.
تتمرَّد المُهر وتدوس الأعشاب الصاعدة،
والجيادُ تقفزُ وتَعبرُ كانجايلاو،
والروح والأشعار على الحصان المُجَنِّح تجري بلا طرقٍ.

وبعد أن شتتتها الأشعة، تُمطرُ حشود الرؤى،

(6) كانجايلاو: اسم منطقة.

وضحكة الأنهار السعيدة غرقت في الدهشة،
وسرابُ الصحارى
من الأملاك الصمَّاء ابتسم ساخراً،
والممرُّ النهاري غفا ممتداً تحت الشمس.
براعم الأشجار
فتحت في الصباح عيونها،
ورأت القمرَ شمعاً أبيضَ،
وفتاة ترعى القطيع في الممر الرطب،
في النهار وفي الليل دون انقطاع،
مثل البنان - وحيدةً وحيدةً...
وتخرجُ في الصباح لتتنعم بدفء الشمس.
وأنا راكب على حصاني أوقظ المنطقة بحثّي،
أَسمعُ نغماً هادئاً مع أنين يخرجُ من القلب،
والفتاة المغنِّية أجدها بعيني.
الأفق يغرق في الشروق الدموي حتى حنجرته.
سأمتلئُ بنفس الحب في الرياح الطاهرة،
سأربط الحصان وأتسلق على الجبل العالي،
وأتحول إلى فراشة وأتوه في زهور الربيع.
الجبل، مثل صدر فتاتي والمغنّية،
سيمزق قميص السماء الأزرق الدافئ.

أسقطُ على العشبِ ممزقاً القمصان القطنية،
أتأمل في برج السماء، حيث تدور الطيور المهاجرة
وحيث العذراء تتكهنُ على الفور بباقات المعجزات.

... ولكن ما دام الشتاء لم يتمكن من أن يتخلّى عن الغضب،
ويحجب الأحلام بحجابٍ أبيضَ،
ويحمل رؤايَ مع العاصفة الثلجية إلى السماء...
لكنَّ الربيع قادمٌ مغرّداً بصوتٍ حلوٍ ناعم.
مع أشعاري، مع دفء الجنة الروحية
تجولت قوافل الخُزامى على الهضاب القديمة.

وفي الليل تحرَّك الجليد مطحوناً من الحافةِ إلى الحافة-
لعلمه أن السماء استمعت
لصلواتي الخفية.

يا أرضيَ الفيروزية! ...
منذ ولادتي أنتِ قريبة وعزيزة!
أنتِ تدعين الطبيعة إلى وليمة كونية أسطورية،
من قوس قزح تبنين مظلةً إلهيةً سماويَّة،
يا أرضي الفيروزية!
يا عالمي الربيعيّ اللازورديّ...



أغنية الربيع

روح الربيع تنتشر في الوادي،
روحٌ حرةٌ تتدفق بلا حدود.
بعد أن استوعبت كل ما تراكم في الصدر،
في نعيمٍ تستمع السهوب إلى غناء الطيور.

في نعيم تستمع إلى غناء النبع،
كما لو كانتْ تستمع بعناية إلى أشعار.
على الضفاف تتفتح الزنابق،
والخشخاش يزهر في السهوب.

تهمسُ لي بهدوء: «غنِّ من القلب!»-
عندما أسير في الحقول المزهرة.
الأرض والسماء، مثل أخوين في العقيدة،
مستعدتان لأن تفهماني على عجل.

ابتهجت الروح بالنهار الربيعي،
وزَبَطت الإوز الطائر،

واحتفلت مع الصيحات والفرح
على النهر الفيروزي بالمنزلِ الجديد،
أضمُ صوتي إليها.

حللت عقدة الإلهام،
أنتظرُ مفتوناً بالجمال:
هل سيفهم أحدٌ هاجسي
بعاصفةٍ رعديَّةٍ تولُدُ في الزُّرقةِ؟!

عاصفة ثلْجِيَّة

ترمي العاصفة على الوجه حفنات ثلجٍ،
ومثل لولبٍ ترتفع إلى أعلى؛
تغضبُ، تناقض المنطق السليم
تطير رأساً على عقب، وتطيحُ إلى الأسفل!
مثل ذئبٍ لعوب،
تُتهَكُ تماماً.
موجات البحر أيضاً ضُلِّلت،
واجتاحت الثلوجُ الأرض.
وفجأةً!
كما لو أن ألف شامان
عزفوا على الكوبيز مع العاصفة،
والأصوات الضبابية المجنونة
جُدِلت في سوط من الشعر.
كأنَّها خيولٌ لطيفةٌ
تنهض في عَدْوها على قوائمها الخلفية،
يتعقبها مطارداً سوطٌ
ومصيرها المجنون.
مثل شخص يطرق
جلد جمل عالياً في السماء.

كما لو أنها بمغرفة تصبُّ
حليب إبل مخفوقاً قليلاً.
ليس عبثاً حوَّلت ليلاً
سيمفونية العاصفة الثلجية إلى أشعار،
حيث الذئاب السبعة تقاتلت مع الذئاب الكلبية،
تتدحرج على الأرض،
متدحرجةً على السهول الثلجية.
فاجأتني العاصفة الثلجية
عندما أوصلت أكوام الثلج الطريقَ إلى السماء...

لكن الملاك الأبيض خرج إلى الطريق
وحملن تحت جناحه الأيمن.



سيرجي يسينين
في «بلاد الأوغاد» (7)

يسينين، أعْدَمَكَ برونشتاين (8) ،
بسبب قصيدة غير مُرضية،
ولكن كم من الأشخاص في المعارك الفكرية
تطرقوا إلى هذا الموضوع؟

لا، ليس مُذْنباً ضمير الشاعر
في تلك العلامة لمعاداة السامية،
يسقط الوصم! بوهج النور
غُسلت الرّوح السلافية!
أجلْ، لم توقَف أحياناً
في فضيحة ضرب،
لكن الجوهر الأخلاقي الرُّوحي
كان ثروتك الأكبر!

وحدث أحياناً أنه
في فورة الانغماس الكحولي
حجبك الجنون
عن هذا السُكْر المتهور...

(7) سيرجي يسينين – من أشهر الشعراء الروس في القرن العشرين، وهو أبرز شعراء حركة التّصَوُّرية. عرف بأنه شاعر حساس ومتدين، وقد لاقى الكثير من التضييق بسبب تدينه في ظل الثورة البلشفية، وكانت نهايته مأساوية، فقد انتحر في العام 1925 وهو في سن الثلاثين.

(8) برونشتاين، ليف دافيدوفيتش: المعروف لقبه بلقبه " ليون تروتسكي » – ماركسي بارز وأحد زعماء ثورة أكتوبر في روسيا عام 1917 إضافة إلى الحركة الشيوعية العالمية في النصف الأول للقرن الماضي ومؤسس المذهب التروتسكي الشيوعي، كان له الأثر الفعال في القضاء على أعداء الثورة.

يسينين، المشاعر المميتة
لتشرُّدك لعِبَت،
وأنت، كما لو كنت ألواح القبور،
قرعتَ باب سرقة جديدة-

في وجهك عمداً
أغلقوا الأبواب.
وأنت بصقتَ على كل الخسائر
وفي وجه كل مخلوقٍ متعجرف.

يسينين حياته الرائعة
رماها على سكين في عراكِ حانةٍ،
ورأسه الذهبي
كثيراً ما أضاعه في عراكِ حانةٍ،

تركتَ للناس
موهبتك الجامحة المواظبة،
كي تسمو أرضك الأم
إلى قدرها الجائر،

لكن موهبتك يا يسينين خالدة،
لم يمسها سمُّ العدوى،
لم يَمحُ ذرةً منها لا لينين،
ولا بطرس الأكبر النحيف...

والسنوات الرهيبة طارت،
السنوات الملعونة، أعدموكَ في «أنغلتير»(9)

(9) أنغلتير: فندق من فئة أربع نجومٍ وسط سان بطرسبورغ، وُجد في الغرفة رقم 5 الشاعر يسينين مقتولاً.

جلاَّدو ليل الحرية!

كم هو مؤسفٌ أنك لم تأتِ، يا سيرجي،
إلى حانة من الشكل الكازاخي،
حيثُ يُسكبُّ الجنجل الحلو الأصفر،
ولكن ليس هناك شتائم جريئة،

كم هو مُحْزنٌ أن «حافظ» مع «الخيام»
لم يجدا فيكَ مَثَلهما
في سعيهما الدءوب
لتمجيد كلّ شعراء العالم!

لكنَّ يسينين لم يكن معروفاً
عندما غنَّى نغمَ خوجة أحمد (10) الساريامي،
لكن المسألة لم تكن في ذلك،
وإنما في حدس الشاعر:

إلى روسيا من باكو وجَه
قدميهِ محبوب آلهة الإلهام،
ومجَّد شاغاني (11) إلى الأبد
(الشكر لتشاغين (12) على الروابط!)

ربما، اليوم أيضاً، الثمل

(10) خوجة أحمد: خوجة أحمد يسوي- أحمد يسوي أو عطا يسوي (1166-1093)- شاعر وفيلسوف ومتصوف تركي من مواليد مدينة تركستان الواقعة حالياً في جمهورية كازخستان، كان أول شاعر اشتهر بالكتابة باللهجة التركية المحلية.
حافظ الشيرازي: الشاعر الفارسي الكبير.
عمر الخيام: الشاعر والفلكي الفارسي صاحب الرباعيات المشهورة.

(11) شاغاني: تاليان شاغاني- صديقة الشاعر يسينين، مدرسة للغة الروسية وآدابها، أرمنية الجنسية. بعد عامين على تعارفهما، كتب يسينين قصيدته الشهيرة "شاغاني".

(12) تشاغين، بيوتر: لقبه الحقيقي بولُدوفكين - صحفي سوفيتي وشخصية أدبية وناشر، أحد الأصدقاء المقربين ليسنين.

يسينين بحبٍ يمسد من جديد-
يقطف زنابق الجنَّة،
والبراعم يمسدها برفقٍ...

تركتَ للناس
موهبتك الجامحة المواظبة،
كي تسمو أرضك الأم
إلى قدرها الجائر،

لكن موهبتك يا يسينين خالدة،
لم يمسها سمُّ العدوى،
لم يَمحُ ذرةً منها لا لينين،
ولا بطرس الأكبر النحيف...

أجلْ، لم توقَف أحياناً
في فضيحة ضربٍ،
لكن الجوهر الأخلاقي الرُّوحي
كان ثروتك الكُبرى!

حيث تُعارضُ الأغنية،
يبكي الحزن من خلف الجدار،
وليس هناك خلاصٌ، حتى لو تنفجر،
وهذا ما يقرّبنا معك.

هناك أملٌ وفرحةٌ،
عندما أغني الأغاني حتى النهاية-
نسير على طول البستان
في وطننا- في الجنَّة...



العيش - الوجود

مَنْ أكون أنا ؟ -
أنا نفسي لا أعلم، صدقوني.
شبحٌ متحركٌ للموت الحار؟
فهمتُ متأخراً، حتى ذلك كان جزئياً -
أنا وليد رغبةٍ شهوانية.
لو كنتُ أعلم، لاخترت مساراً آخر
بعد أن قدمتُ إلى الدنيا؟
لا، البتة!
كثرةٌ هم من تتملكهم الشياطين،
غير المذنبين في عواطفهم،
لم يستطيعوا الإفلات من هذا النصيب،
ولم يخرجوا من متابعة عين الليل.
حتى ولو ولُدتُ من شهوة الكلاب،
حتى لو انزلقت على اللعاب من الفم،
لكني غير عازم على الأنين والنباح.
أنا إنسانٌ! في هذا أنا على يقين.
بمجرد أن فتحت عينيَّ-
كان على الحجر منجلٌ حاد-
قوبلتُ بتملقٍ دنيء،
وابتسامات شريرة، وضميرٍ زائف.
انكشف لي رسمٌ! - كان عظيماً،
عن أنني عضضت لساني الآثم،
ماتت قصيدتي ومقطعي اللفظي الأصلي،
ولم أعد قادراً على الكتابة:

ذلك الرسمُ كان أعمى وأصمَّ وأجوفَ،
وإضافة إلى ذلك كله، كان عارياً!
حشر في ضميري أنفه البغيض،
أنامه وفخّمهُ...
شتَمتُ كي لا أختفي:
«اذهب بعيداً، أيها الهجوم اللعين!
طلبت من الله الرَّحمة،
وددت أن أقرأ رمز الإيمان،
لكنَّ الرسم المخادع حرق عقلي،
ولفَّه بالدخان، وحوله إلى شمعٍ.
وشعلة الأحلام الشعرية
أحرقها في لهيب الرمي العصبي.
كنت أغني بشكل رنان، كما الزجاج،
كنت شفافاً، لكن الشرَّ كان يغلي،

هاجم جوهر عيشي ووجودي،
وإلى الهاوية تدحرجت حياتي.
إلى الجحيم هوت النعمة
وبلحظة تحوَّلت إلى هباء منثور.
أغطية الجمال التي كانت في حالة السُكر،
اُستُبدِلت بخِرَقٍ نتنة،
حاولت أن أغلق عينيّ،
لكنهم صرخوا في أذنيّ: «هذا مستحيل!»
ليس رسماً - قبحٌ! فليخفني،
ليفعل، فكَّرتُ، سيشتمُ بغضبٍ
ويذهب بعيداً... لكن لا! - تعرَّى...
وزوبعةً ملعونةً بدأ يدور! ...

تَهليلُ الروح

تألُّقك هو كفني
الذي لفُّوني به.
آهٍ، أيتها الملكة البيضاء، إقرئي علي الصلاة،
وقولي: «أنت أغنيةُ تَهليلِ روحي»...
إيه، لتغيَّر العالم بشدَّة في تلك اللحظة،
ولضَحِكْتُ أنا ضحكةً آثمةً عالية!
أما أنا، الأبدي، فكُنتُ أقرأ أغنيةً مخصصةً لك.
هكذا قولي: «أنت أغنيةُ تَهليلِ روحي»...
علِّقي زهرة على صدرك.
ورموشك تنفتحُ، مثل براعم الربيع،
صلاة الجنازة فوق رأسي،
والأغنية التي كرَّستها إليك
سيجمعهما قرانٌ عند اللقاء،
والملائكة باكية مثل أطفال حديثي الولادة،
ستقيم وليمةً مهيبةً.
أودُّ أن أهبَ الأرضَ جمالاً،
والسماءَ فرحاً أودُّ أن أهبها.
عندما تبكي الملائكة كالأطفال،
عندها سيمتلك الصبرُ شفقةً،
والأغنية والصلاة ستجدان بعضهما البعض،
فقط قولي: «أنت أغنيةُ تَهليلِ روحي»...

الخريف

جفت عشب الريشة، ظهر الخريف بقوةٍ،
إلى الجنوب تُهاجر أسراب الطيور،
الأوراق-القلوب تهمس بتوافقٍ:
«لقد اصفررنا من الحزن والألمِ».

وملتفتاً إلى الوتد الذي تركه،
يضحك الحصان ذو النجمة البيضاء على جبينه:
«أيعقل أن أترك سهوبي الغالية،
أيعقل أن أجد مصيراً آخر ؟»

الهضاب والتلال الشبيهة
من بعيد إلى جلودٍ غير مدبوغة-
مستعدةٌ لأن تخرج من جلدها
خلف الغرانيق وأن ترتفع إلى الأفقِ
في تعطشٍ لا ينضب إلى الارتفاع.

والحقول العشبية تندفعُ في صبغةٍ مزرقَّة
متمنيةً أن تتحول إلى غيوم.
أنا، ضيق الصدر، لا أثق في الخريف،
ففيه يكمنُ حزنٌ يائسٌ.

بيأسٍ أفركُ يديَّ:
من سيغنّي لنا إن غابت الطيور؟
والريح تبكي عند النهر،
وتسقط أمام الهضاب.

كل ما جرى هنا لقرون
لأبناء بلدنا الذين مضوا إلى السماء-
عايشْتُه الآن في لحظة،
لكني لم أفهم حقيقة أساسية:

بالتأكيد نحن طوال الحياة، مثل الطيور،
نُغَرِّدُ، وبعد أن نلحقَ بالربيع، نُفتِّشُ عن ربيعٍ آخر؟!



النَّفَسُ الأخير

«الأرض تحاول أن تشدَّ الناسَ
إلى جوفها. وأنتَ لا يمكنك إيقافها!»-
الغرض من هذه النصيحة-
جعلكَ توافق على الاستلقاء في القبر.

مع كل يوم تتغلغلُ فيها بشكلٍ أعمق،
جامعاً كلَّ عبء العالم في حدبتك.
كُنتُ لأحملك، كي أُعطيكَ بشكلٍ أسهل،
لكنك أنت تختار مصيرك بنفسك.

لا تعتقد أنك عجل الأضاحي-
في هذا المعنى لم يجد الحكيمُ عيباً-
في بداية البدايات وقع عليك
الحمل الذي قتلك في النهاية.

عندما تموت - ستقام وليمة عن روحك،
وسيلفونك بالكفن ويدفعون كلَّ شيء عنك،
وتصلّي الجوقة الجنائزية،
والكلمات الدامعة لخطابات التأبين غير كافية.

والناس دون تكلُّف وتظاهُرٍ
يظهرون رشاقةً غير مسبوقة
ويسرعون حشداً إلى المقبرةِ،
حيث فم القبر مفتوحٌ على مصراعيه.

يبلعك التنين في الطريق،
منزلك ستجده في الجنة أو في النار...
غير معروف. لا أخبار من هناك
ولا يوجد شهود عيانٍ لسوء الحظ.

وستكفُّ الديدان في الأرض عن الصيام،
وتنطلق أغنيتك، مثل طيرٍ،
وروحك تحلِّقُ سحابةً بيضاء
وتتحول إلى غيمةٍ مُنْتَحِبَةٍ...



حكاية عن الطموح

يقولون لي إنه ملاكٌ!
ماذا يفعلون، لا يرغبون في أن يعرفوا.
سأقفزُ إليك عفريتاً على مخمورٍ،
أيها الطموح الأبله، أيها الغرور الملعون!
لا تتواجد عيناه بلا
بريقٍ، حيثُ يرقصُ شيطانٌ أحمقُ.
إذا التقطتَ النظرة الشيطانية، تتحول الحياة إلى جحيم.
يزحفُ إلى روحكَ ثعبان، يفتح أسرار الآخرين بسكينٍ،
ويلطِّخ النوايا الصافية بلحظةٍ واحدة.
بدورانٍ عشوائي، وبتعاملٍ عشوائي،
يتلمس، يفتش، يصيح، يصرخ.
وأنت تتراجع -تتراجع، كما لا ينبغي-
ويصيبُ الدَّمارُ
ماضيك المستقيم، وصبرك المنتظر.
يا له من حظ سيئ!
لقد وقعت تحت الشر الكوني يا أخي.
ربما ما كنت لتقع، ما كنت لتقع في الطُّعم،
لكنَّ الحزن الساحر للشرف المهور بختم الشيطان،
والمكتوب من اليمين إلى الشمال،

لم يتسع له لا العقل، ولا الرحم.
يثور الدم من الشر الكوني،
يحكُّ في القلب ضمير بتاح،
بتاح مع فانوسٍ ضخم-وقت الليل
سيمزِّق بالصرير في دمك أذنيك وروحك الخادعة.
الهدير الوحشي الشنيع، الشهواني تماماً
سوف يطلب المساعدة شيئاً فشيئاً
من الشياطين من كلِّ دم ونوع.
الشتاء سيجمدّك حتى العظمِ،
وبصقةٍ واحدة سينزع عنك جلدك، كما لو كان بورقة زجاج!
الصقيع الذي اخترق التلال وسُجنَ في العظام،
يصرخ بِملء فمه: «الطموح هو الرغبة التي منها تسودُّ الروح وتتصلَّب.
إلى خمرِ الخيانة الكونية لا تتحول نيران الجحيم،
بل الطموح في شكله النقي،
بدون الشوائب التي تعوي في زُرقةِ السماء.
مهما صرخ الغرور، ومهما طلب الغفران،
ومهما ضغطوا حنجرته، ومهما اضطربت أنفاسه،
صرخة الشهوة المغرورة تأبى الهزيمة.
والكلب الأصيل المغرور
رفع قدمه عالياً،
هكذا اخترعَ حجمه!
انظروا! -يقفُ وينفخُ على القمر!

خيبة أمل

1

الشعر هجرني ودفاتري نظيفة،
أشعر بالاختناق والضيق في قبضة ألماتي.
كما في هذيانٍ أقرأ: أشعر بالاختناق والضيق!-
ولكن أين رحل صوتي السابق - غير معروف.

أنا نفسي غريبٌ...كيف لي ألا أسقط من علو،
كيف لي ألا أحرق الجسور خلفي.
في المدينة الكئيبة، كما في حمّام حجريٍّ،
أزدادُ في الغرور والخداع قذارةً.
لو بسرعةٍ أتحرر من السلسلة البغيضة
وأصل من جديد إلى السهوب الحرَّة.
برد الشتاء يجتاح صدري، وروحي تشفي،
لكن العبودية تضطهدني وتشلّني،
لا يوجد طريق إلى هناك، أنا في أسرٍ دائم،
والدرب إلى الأرض الأم تطغيه الأعشاب الضارة.
أنا في أسرٍ، ؛أنا في أسرٍ في بُعدي عن السهوب.
أنا وحيدٌ، والأشعار لا تزورني.
المدينة تحت رحمة التجار والموظفين،
تجلَّط الدم في عروقها الحجرية الصلبة.

أبصرتُ، وفهمت في نهاية المطاف:
أعيش في سوق أمواتٍ أحياء!

2

سأذهب إلى قبر موكاغالي[13]
أضع الزهور، وأنحني إلى الأرض.
ربما سأسمع في الرد على ذلك:
«أنا سعيدٌ لأنك جئت لزيارتي أيها الشاعر!»
ينهضُ تتمايل الظلال،
ونتحدثُ عن توليغين[14] ،
ثم عن قاسم[15] ، عن إبداعهما،
عن القصائد المدوَّية الفريدة،
حيث تلمعُ البروق في السطور المتوهجة،
ولا تخشى قول الحقيقة.
وعن أبي بكر كايران[16] سأتحدث،
وعن نجاح بايبوتا× سأقدِّم تقريراً.
وموكاغالي نفسه عندما كان حياً
أطلقَ نسوراً فتيَّةً إلى السماء.
«كان المصير للتحليق ضيقاً،
لكن الشعر ليس بمذنب»–
سيقول لي موكاغالي متأملاً
ببيت الشعر الذي أبدعه في البُعْدِ السماوي.

(13) موكاغالي ماكاتايف: شاعرٌ وكاتبٌ ومترجمٌ كازاخيٌّ سوفييتيّ.

(14) توليغين، أيبيرغينوف (1967-1937): أديبٌ وشاعرٌ وعالمٌ.

(15) قاسم أمانجولوف (1955-1911): شاعرٌ كازاخيٌّ.

(16) أبو بكر كايران، بايبوتا سيركيبايف – شاعران كازاخيان معاصران.

في منتصف الليل سأسمع: «أنقذ الروح!»
وفي الصباح سأصعد إلى قمة كينساي(17) .
لكل تجار العالم سأقول من العلو:
«أودُّ أن أبصق على عادات الغرور!»
وللناس سأنحني إلى الأرض...
-إلى أين ذهبتهم؟
-إلى موكاغالي!

(17) كينساي: مقبرة تذكارية على قمة جبل بالقرب من ألماتي.

السهوب.. الليل.. الغموض

ملوِّناً بكثافةٍ كلَّ صرخة،
تلاقى في أحضاني الليل والغموض والسهوب.
وبلسان الهلال لعقتُ
من السطح الحليبي الأملس قشدة الغيوم.

هل هو نغمة وتر مقطوع، أم أنين نجمٍ ساقطٍ؟
أم هو رش الكبد بالملح؟
استيقظت روح حمامة الليل
وغطّى تصفيق الأجنحة وجهي.

عندما صرخَ العدم حولي
وأَنَّت الشياطين بشكلٍ يائسٍ-
بدأت أقرأ، كالدعاء، لآبايَ:
حلَّ الظلام، الوادي الممتد
ينام بهدوء. وأنا فقط
غير قادرٍ على إيجاد الهدوء في الليل.

يدعوني الشيطان غامزاً
ومشيراً إلى الفناء الخلفي. وأنا أكرر:
«لماذا سمحتُ بأن أسرق عمري الذهبي
في ساعة اجتماع النجوم - ثمار بستان الليل؟»

وحلَّقتُ إلى حدودٍ لا قعر لها،
وتمسكتُ بأغصانِ السماء
مُلتهماً مع الطحنِ ثمار الجنة،
مذهولاً من تحليقي.
«النجوم السبعة» -
النموذج الأولي المبتدع للوعاء-
غالباً ما يذكرني بالكوبيز.

مشيراً إلى المسار إلى المجهول،
«درب التبانة» بغموض يعزف على نفس الوتيرة.
ولكن إذا ما لمستَ أوتار الكوبيز-
ستوقظ مآسي الكيبتشاك والأوغوز ...

إلى عبّء الألحان السحرية،
ساخراً من الشيطان البائس الوحيد،
يهبط إلى الرقص شيطان متحمس وقوي.

عندما يغطي منتصف الليل المنطقة بأكملها،
تصبح السهوب رائقة وهادئة،
وتسقط الغابات والجبال في النوم.
يرحل الهلال، نوره المتدفق
من القرون المسنونة الحادة إلى النتوءات الصخرية،
يجفُّ شمع بداية كلّ البدايات...

لكنّي، ذاهباً كما في الأحلام،
صعدتُ في السماء عالياً جداً.
حان وقت الرجوع إلى الأرض.

عندما استعيد وعيي، أرفع يديّ:
«أيتها الليلة-الحمامة، لا تختفي دون أثر!
لا تطيري، ابْقَيْ فوق رأسي!-
مكتوب لي أن أرى القادم،
حيث روحي تُصَلِّبها الرغبات،
ولحمي يُعطى للكوكبار
و-ما يجعلك ترتجف!- الخيول تصهل وتعدو،
والخيّالة يمزقون اللحم إلى أشلاء!...

خجلت أحزاني كلها
واختبأت، ودُفِنت عميقاً،
اختفت الشياطين من أغصان السماء...

وحمائم قبل الفجر
بمباركة الله
رفرفت على الأرض...

مرثاة

بقرنه المعقوف ثقب الهلالُ السحابة السوداء.
عائدٌ أنا إلى البيت، والصمت مخيِّمٌ.
على الطريق الطويل تعبتُ قليلاً،
وغفوت، ورأيت في المنام حصاناً.

أمتطي الحصان! وأمامي تضيق الوديان.
سرعة الضوء- لا شيء! أرى من علوٍّ-
لمعت الأحلامُ أمامي... أرى الهدف!
لكن حصاني أكثر إشراقاً وعلواً من الحلم!

أمتطي الحصان، أمتطي!... ومن جديد ملأت
القوة العاطفية والمتهورة للقصيدة.
وحصاني يفهمني من نصف كلمة:
الطريق مُشرقٌ، ومربط الخيول الذهبي قريبٌ.

كل شيءٍ أبيضُ،
حصاني السماوي،
مثل بجعةٍ يسبح، وأنا أيضاً أسبح.
أنا أصرخ! سؤالي يتدلَّى فوق الهاوية:
«يا حصاني، هل ستأتي؟
هل ستأتي في الحقيقة؟»

العلامةُ الخفيَّة

في السماء تعوم الغيوم،
صدري يتنفس بحرية من جديد،
الحزن غادر صدري-
نورٌ خفيٌّ يتدفقُ إلى الكلمة.

نور النجوم مُدَخَّنٌ بالسحب
والهواء بدون جسدٍ،
الليل مثل شجرة من أعماقِ السهوب،
نجوم مثل براعم متفتحة.

السر ليس مصادفةً وليس فجأة
يومئُ، جاذباً وواخزاً-
لماذا أنت واقفٌ تحت الشجرة، يا صديقي الوفي،
تتوسل من أجل الحظِّ في الحياة؟

لا تحزنْ، ولا تُخفِ غيظك،
وأنت تقترف أعمالاً آثمة.
الشجرة-الليل. فيها مآثركَ،
فيها عالم الألغاز، هشٌّ بشكل مخيف.

ضوء خفي يسطعُ فوقك،
علامة خفية وضعت عليك، أيها المحارب،
اذهب وراءها إلى المعركة المميتة-
أنت تستحقُّ نصراً جديراً!

شجرة الليل نسيم السهوب،
تتمايل قليلاً على صوت الأوتار،
وتُضيء عالم الليل كلّه،
مثل عروس بطرحتها.

ساوكيلي(18) مثل علامةٍ خفية،
مثل زهرة الفجر في رحابة السهوب،
نحونا يسرعُ الفجر-فليكن،
أجنحة الشمس سترتجف قريباً!

(18) ساوكيلي: بالكازاخية- غطاء رأس العروس المزيَّن بالأحجار الكريمة.

غولنار ساليكباييفا

(ولُدت عام 1963)



- تخرجت الشاعرة الكازاخية الموهوبة في كلية الصحافة بجامعة كازاخستان الحكومية عام 1986.
- عام 1991 صدر كتابها الأول بعنوان «نسمة الهواء في اليوم المشمس» الذي جذب إليها اهتمام القراء. وظهرت بعد ذلك دواوينها الشعرية مثل: «الروح»، «أحلامي».
- ترجمة أشعار «مارينا إتسفيتايفا»، «الظهيرة»، «سامحوني لأنني أتيت إلى هذا العالم».
- أصدرت دار نشر بكين اثنين من دواوينها الشعرية.
- حصلت على جائزة لينين من اتحاد الشبيبة الشيوعي، وجائزة «ألاش» الأدبية العالمية، وجائزة مسابقة «شيجيز شيناري» في الذكرى الـ 150 لميلاد الشاعر العظيم آباي قونانباي.

- دخلت أشعارها ضمن العديد من المختارات الشعرية. ويمتاز أسلوبها الشعري بالنظرة الخاصة لظواهر الحياة التي يتم التعبير بطريقة أصلية في إطار البحث عن الشكل الشعري مما يجذب انتباه واهتمام القارئ.
- منذ أن بدأت خطواتها المهنية الأولى عبرت عن نفسها باعتبارها صاحبة كتابة شعرية مبتكرة؛ حيث تحكي أشعارها عن تجارب إنسانية دقيقة لمعاناة النفس البشرية يتم الكشف عنها بصدق ومهارة.

المقطوعة الموسيقية

الريح ستتلاشى بعيداً،
والليلُ سيهتز.
ستندفعُ ظلاً-
لن تعثر على الطريق،
مثل نهر بلا مجرى، لن تتدفق.
ستموت نهاراتك،
وسيأتي الليل.

أنت تتعذب فيَّ،
بي تحلم،
تهدّئ ضميرك، وتنسى بصمتٍ.
أنت لا ترى أي شيء،
تجلس محبوساً،
بائساً كئيباً،
بلا نارٍ تحترق، وبصمتٍ تموت.
تجري الشهور،
تسرق الأحلام.
وفي الجانب البعيد
أنت لست على حصان.
أعلمُ- أنت تضعف وتحزن بسببي.
تدور في الليالي،

تتسلل خلف القمر
بدرب الوهم،
أنت مجرَّد أحمق
رماه مالكه، صوت بلا مأوى.
كنتَ تسمى قريةً،
لكنك لم تتحطم،
تختبئ،
تتبدل،
لا توافق على شيء.
الأفكار تتألق،
المشاعر تتدفق.
لا تذرف دموعاً،
لا تُغَنِّ،
ولا تطلب المساعدة.
يذوب ثلج الأمل،
يسحقه الغضب في الغدير.
لا تُكَفِّر عن الخطأ،
ولا تتفاهم مع العالم،
من جديد لم تربط جناحيك بقوة،
أنت لا تصدق نفسك،
تتحدث تافهاً عن هراء،
تتصل بنفسك،
توبخ نفسك،

تصرُّ على رأيك.
ارتعدت السماء،
غارت في الأعماق،
وأنت تقول: هدوءٌ ربَّاني؟
تتنعم بالحياة،
تطلب: « يا شمس، رُشِّي! »
وسيحل الليل...
كل الأحزان بعيداً !...
تشفي، تتعافى،
تقرر في الخفاء،
تردّدُ بحماسٍ:
« الحياة رائعة ! »
وتسقط خصيصاً:
« السعادة لا حدود لها ! »
وتسمع في الرد:
« بالنسبة لشخصٍ ما نعم، وبالنسبة لآخرَ لا...»



تـوَقُّع مجيئك

توقع مجيئك مثل تذوق عسل الفلفل.
نهاراً شوق: متى سيرتفع القمر؟
توقع مجيئك مثل رمي الجليد في اللهب،
والتخمين: سيأتي أم لن يأتي؟
توقع مجيئك مثل الصراخ في الفراغ،
كأن تجلد نفسك بسوط قاسٍ،
أو أن تتحرك متلمساً سحابة عمياء،
وتفرح هناك، حيث حان وقت البكاء.
توقع مجيئك مثل طير يتأرجح على غصنٍ
يمكن أن ينكسر تحته؛
انتظارك مثل صحراء غُمرت بالماء،
أو مثل البقاء مع المصيبة على حدة.
توقع مجيئك مثل النظر في المرايا،
والجري قبل أن يبتلعك الضباب،
أو مثل إطلاق ألعاب نارية من الثلج،
مثل ارتداء قلادة من ملح وزجاج،
وأثناء ذلك الانذهال بطعم الشمس،
والصراع حتى النصر مع ظلك،
والتساؤل: كم هي رائعة الحياة!
يا إلهي، كم هو حلوٌ الضياع!
انتظارك هو رؤية الخبز في المنام،
أو التحول إلى حجر أبيض-أبيض
من شأنه أن يُذَكَّر فيَّ.
حتى تُمسحَ الخدود المتوردة من العالم،
وتضيع عيني الحادة هدفها،
سأنظر إلى الطريق ليلَ نَهار ...
ومن منا سيتجنب مثل هذه السعادة؟
سأنتظرك، وفي هذا حياتي:
أنا-أنتَ، وأنت يا حبيبي أنا!

هكذا تسقط السماء

هكذا تسقط الشمس من السماء،
هكذا تنتحب الجبال والغابة،
هكذا تطلب أمواج البحر المحررة
من الشاطئ المعجزات.

على أي حال، الحياة رائعة!

أحياناً يحجب الضباب العيون،
والسراب يتحول إلى خداع،
والشكوك تقتحم الباب،
ومنزلك تمحوه العاصفة الثلجية.

على أي حال، الحياة رائعة!

من السلاسل يتمزق قلبك،
يريد أن يغادر المنزل كلياً،
يفتش في الكهف المظلم عن الأمل،
وتسقط روحك في غياهب النسيان.

على أي حال، الحياة رائعة!

تندفع نحو القمر خلسةً،
لكنك من على الحصان تطير متشقلباً،
وبعد أن تفقد الدعم السماوي،
تتحول إلى نتوء سهوب رمادي!

على أي حال، الحياة رائعة!



تجمدت وُرَيْقَة الروح

تجمدت وُرَيْقَة الروح،
وجسم الشجرة ارتجف من البرد،
والشرق نصف مستيقظ أضاء،
عين الشمس تنظر،
تراقب من الغيوم الوادي،
وتتابع عن كثب:
كيف تسير الحياة خلف النافذة؟
الحياة تُدخلنا في دورتها:
تارة تبتسم، وتارة تبكي،
وتارةً تعطي كل شيء، وتارةً تحجب كل شيء ثانيةً،
حافظة وُرَيْقَة روحي،
من عيون الليل السود، في صمتٍ
تتدفق الأشعار...

المظلَّات تطفو

المظلات بلباقة تطفو على طول الشارع،
مخبئةً الوجوه في التدفق.
توقفت امرأة. لكن هنا
الناس المسرعون لا يعرفون
المرأة من العصر الماضي.

مفروض عليها أن تصدِّق وتنتظر،
أن تنظر طويلاً وبصبرٍ،
عند التقاطع تقف منحنية،
في قلبها المحطم تطير الأنماط،
حتى ولو كانت مبتلةً تماماً.

بقي القلب، ومُسِح الوجه.
لا تحتاج إلى وابل المطر.
الذكريات ضُغطت في حلقة
بستان ألماتي.

في الحقيبة خبزٌ وحليب،
ورسائل غير مرسلة ...
ولكن لا أحد تعرفه،
غير موجودين أولئك الذين اشتاقت إليهم،
لن يعرفها الحاليون أيضاً.

تبحث عن الشمس وراء الغيوم،
كي يَروْهَا -
كيف تمشي في العالم وحيدةً
مع إيمانها الأبدي- سيطل القمر-
ويضيء الأفق البعيد.

المرأة الحزينة تقف في صمت
في ملابس بيضاء مبللة.
الدمعة لا تذوب، لا تزال واقفة
كتمثال الأمل.

لن يضيء الأفق،
نسيت كل شيء،
أتحول إلى مظلة إنقاذ-
أحمي المرأة إن لم يكن من الهموم الثقيلة،
فمن المطر.



لا توقظني

لا توقظني، لا توقظني... عند الفجر
أنا أَحَلِّقُ في منامات سماوية؛
لا تفتش في الوقت العاصف
إذا ما تهت أنا في المتاهات.

كنْ أغنيتي العزيزة،
وبالشكوك لا تعذب روحي.
إن أصبحتُ ليلاً-اصنع
من الهواء الخفيف سُحُباً عاصفة.

أمامك ينفتح طريقٌ
لم تحم به بعد.
لا تَنْسَني في الطريق،
وإلا ستضيع أنت نفسك.

هل سأكون في الانفصال وحيدةً-
سأبقى صديقاً أميناً،
مثل السهوب - أبيةً، وعزيزةً -
حيث الحرية للعواصف الرَّعدية والعواصف الثلجية.

لا تلمني إن غضبتُ،
لمجرد نزوة النصيب الخاطئ،
سأندفعُ بعيداً! ... وذات مرة سأظهر،
وسأنفتح سطريَ العصبي.

سأعود بعد انتظار مائة عام،
سأفتح الأبواب العزيزة،
وقوس قزح جليّاً بعد المطر،
سأمتلك قلبك...



بينيلوبي وأنا معاً...

عشرون عاماً ونحن ننتظر دون تذمر،
ننسج سجادة انتظارنا.
ندمج ضوء القمر مع حرارة الشمس
ونقف في هيئتنا-
أكثر موتاً من كل الراحلين وأكثر حياةً من كل الأحياء -
بينيلوبي وأنا معاً.

بعد أن أطفأ عطش السحابة الرمادية،
ووضع الصخرة مخدّةً،
ينام البطل بعد المعارك. ونحن ننتظر،
مثل ورقة شجر تنتظر مطر الخريف،
متصلّبين ومُتلوّيَيْن من الألم-
بينيلوبي وأنا معاً.

في قصر القصور الباذخة
متماشيةً مع الصبر، تدق القلوب.
نعيش بشعور الفرح،
ومع لحن الترقب ننسجُ،
دون أن ننظر إلى الغرباء من النوافذ،
بينيلوبي وأنا معاً.

سامحوني

أظهروا تجاهي شفقة ورحمة،
سامحوني لأني جئت إلى هذا العالم،
لأني وُلدتُ هكذا، كما أنا،
لأني عملت بِجِدٍّ وبشكل عقيم.
سامحوني!

سامحوني لأنني
أحببت، محترقةً،
منتظرةً المحبوب في الريح،
لأنني لا أذكر الإساءة والشر،
سامحوني.

سامحوني، سامحوني
لأنني لا أنسى
أنني من قلبٍ صافٍ
أتمنى التوفيق،
لأنني أخدش الأرض وأصرخ،
شاتمةً قدري!

سامحوني على الإيمان بلا سبب،
على سعادتي،
المشّعة على نحوٍ مخالف للعادة،
على كل ما حولتموه إلى وهمٍ،
إلى وميض نار.

سامحوني،
لأنني لم أفهمكم دوماً،
واستجبت إلى مكركم المزدري،
وصححت شالي،
وحلَّقتُ في أحلامي،
متوهجةً في تحليقي.

سامحوا
الأغاني والكلمات القلبية،
الفستان التالف
عند لقاء قوس قزح،
الأحلام التي لم تصبح واقعاً،
كتفيّ الهشتين،
عَمَايّ.

سامحوني لأنني
على أسئلتكم
لم أجرؤ على الاعتراف
عن الأحلام الجريئة
وحبستُ دموعي المتدفقة-
حفرت في قلبي مثل شظايا،
وتنزف.

سامحوني
لأنني أخفيت الجروح الدامية
تحت أربعين رقعة،
تحت الضباب الرّمادي،
وتحت تساقط الأوراق.

سامحوا ريشتي،
لأنها حلَّقت؛
وشعري،
لأنه ارتفع في السماء مثل حمامة؛
وكتابي
الذي لأجلكم ألَّفته،
وأنا أرتعش من الخوف.

سامحوا ضربات قلبي
في استشعار معجزة،
على أمل
ألا يمسكم البرد؛
سامحوا شاطئي المهجور،
الذي منه
أنظرُ بِحُبٍّ.



كم انتظرتك!

كم انتظرتك، كم انتظرتك،
لكن الظلام لم يتبدد ولا لحظة،
خفيةً كنت أنظر إلى الطريق،
حتى أجنحتي لم أتمكن من تصويبها.

انتظرتك مثلما ينتظرون خيرات الخريف،
مثلما ينتظرون الخان عند البوابة الذهبية،
أم مثل قطرة شمس ربيعية مبكرة
تَهبُها السماء.

انتظرتك مثل عسل عنبرٍ
ينتظر في المناحل الأطفال الصغار.
مثل سهوبنا القاحلة في بعض الأحيان
تنتظر عاصفة رعدية منقذة وهطول المطر.

بزغ الفجر وأنا أنتظر،
والمرأة التي كانت
طوال هذا الوقت باستمرار معك،
لماذا لم تمت من السعادة...

في الليلة الممطرة
تبكي الروح

الروح في الليلة الممطرة تبكي.
ليس هناك ما هو أغلى من روحك؟
روحي تجوب الشوارع،
مقبِّلةً آثار حلمي.

الشوق والفرح إلى الأبد قريبان،
وقلب الفتاة يذرف الدموع.
وحظك مع نظرته القاسية،
سيدخل في معركة معك.

الروح في الليلة الممطرة تبكي.
لكن من يواسي روحي؟
حتى الشجرة لا تواري
عيوبها في صمت.

مرئية كل قروحها،
وتنهداتها الثقيلة مسموعة.
وفي قطرة رطوبة لعاصفة ثلجية،
تكمن الألحان.

بألمٍ حلوٍ سيستجيب
وبحزنٍ مشرق سيُغري.
لن أستطيع الصمود،
وصوتك يعيش فِيَّ.

أخشى أن صوتي هشٌّ،
كي يتغلب على كل الشكوك.
أنت قريب مني في الليلة الممطرة،
وأنت بعيد عني، مثل هذه الليلة.



لن تجد راحة أبدية لك في السماء

لا توجد في السماء راحة أبدية،
اهبط نحوي، كن معي، أيها القمر.
سننظر إلى النجوم، فمع الحنين
كل واحدة منها مخطوبة.

ولُدت كي تسطع حتى موعدٍ،
ومن ثم تختفي إلى الأبد.
حسناً، تعال أيها القمر، لا تكن قاسياً،
أنت تعرف أن العيش وحيداً مصيبة.

والأرض في الحزن وحيدة،
والمَرِحون في الحشد وحيدون،
للوحيدين كل شيء يسير جانباً،
حتى وإن كانوا سعداء.

وشوقي سيترك النجوم،
شاعراً بطعم الدموع المالح.
لا تصل إلى الشمس، فالشمس أكثر حدَّة.

هي ليست رفيقة طريق لنا، أنت وأنا.
في منتصف الطريق سأتوقف أنا.

أسير على الطريق
مُهْدياً نفسي

أسير، على الطريق نفسي أهديها،
وكما الزهور أبعثرها على كل من يقابلني.
وصوت السعادة أشكره،
وهو بدا لي في الهاتف أبدياً.

الحياة بلا حب، بالطبع مجرد خدعة،
وفراغ، إن أعلم ذلك.
مثلما بدون ثلجٍ لا يمكن أن يكون هناك شتاء،
وبدون طيورٍ في العالم لا يوجد صيف.

أسير، أضحك، لا أرى حداً.
لا أستطيع الابتعاد عن ذلك.
أتجول في طريق سعادتي،
وسأذهب إلى حيث يقودني قلبي.



توَجَّه إلى السماء

إذا غابت السكينة في روحك،
والأرض تذهب من تحت قدميك-
توجه إلى السماء في روحك،
وسيساعدك الله!

كن نقياً وصادقاً، لا تضل الطريق،
لا تلعن قدرك،
حتى لو لم تستطع أن تجد نفسك،
مثل القمر وسط النهار.

وشاحي لا يجف من الدموع،
لدي حزنٌ في روحي،
لكن شعاع الشمس جلب الأمل
واعداً بيوم جديد.

ما الذي أنتظره من الحياة - الهدوء؟
ما الذي ينتظره القدر مني؟
سأسأل الحديد، لامسةً بيدي
جبهته الباردة.



يا لها من سعادة

يا لها من سعادة - أن تلتقي مع الربيع،
من السعادة تبكي.
ليس الخريف أنتظره في شوقي وحيدةً
شاتمةً الطين.

أيَّ بهجة أعيش؟ - أنا نفسي
لا أعرف بعد.
أتجول في غابة العقل البكر،
أتجول في الظلام.

جميل أن تجد في الحقيبة ذلك الوشاح
الذي بانتظام
مسح مؤخراً
تدفق دموع الغفران الحارة.

كم هو مفرح أن تجلس على كرسي متأرجح،
وتنظر إلى البحر،
وتُغرق إلى الأبد
من القائمة أولئك الذين لا يمكن حصرهم.

كم هو مفرحٌ أن تمسك التدفق المجنون
الذي يأخذ بعيداً،
وأن ترقص على حماقة البحر،
كما يطلب القلب.

كم هو مُفرحٌ للروح، عندما يقطفون
الأزهار لك،
ومع النسيم البارد الانتقال إلى أنت -
فلْيَجْتَحْ !

أنت تنسى الكل - والآن في قرونٍ
تعد الساعات،
تنظر كيف يطير النورس
في الغيوم بخفَّة.

يا لها من سعادة أن تلتقي مع الموج
ووراء زهرك
تترك العالم المعقَّد والمضحك،
وكل الأحزان.

أن تثق فقط بالبحر وحده،
وموج المد،
وليس بشيء أو بأحد آخر.
وأن تكون سعيداً.



مارالتاي ريميكبيك

(ولُد عام 1969)



- تخرج في كلية الفنون التشكيلية التابعة لمعهد جامبول التربوي، وبغض النظر عن تخصصه العلمي فقد كان مولعاً بالشعر.
- بدأ نشاطه الإبداعي تزامنًا مع حصول كازاخستان على سيادتها الوطنية.
- صدر أول ديوان للشاعر تحت عنوان «القمر - السطوع» والذي حصلت بفضله على جائزة اتحاد الشباب في كازاخستان.
- ثم أصدر بعده كتاب «القمر» الذي كان سببًا في حصوله على الجائزة الشبابية الحكومية «دارين» .
- حصل على الجائزة الأدبية الدولية «ألاش» على رائعته الشعرية «قنطور».

- حصل على منحة رئيس جمهورية كازاخستان ثلاث مرات التي تمنح للفنانين والمفكرين المبدعين.
- انتشر الكثير من قصائده بين جمهور القراء مثل: «الشعور بالأصالة»، «قاراجادش»، «نزوات التذوق»، «هل تفكر في؟»، «السعادة»، «نشيد الصف» وغيرها الكثير.
- شغل منصب سكرتير مجلس اتحاد كتاب كازاخستان.
- يشغل في الوقت الحالي منصب مديرة الشركة الحكومية «غرفة الكتاب».

العِقاب

مئات المرات عذّبت روحي، مثل وتر،
مع اعتقادي بأني أهزم الشيطان.

تطير الغرانيق بعيداً - والقلب يئنُّ،
يبكي دم القدر ويتجمد في شراييني.

تبكي أبواق وطبول الجنازات،
على حكَّامٍ تركوا عروشهم.

عبثاً يبحث الشعراء عن هابيل تحت الحجر،
أجدادهم قاتل أخيه - قابيل.

من الجنون أجري، ولا أشعر برجليّ،
من النار التي بالأمس أشعلتها.

أنا، مثل قابيل الذي دفن أخاه،
لقرنٍ أعاني وأبدو مذنباً.

أنتظر مثل الجميع-تعزف أبواق الجنازة
سيتدفق الناس إلى المحكمة من الجهات كافة.

بالدروب والطرقات السماوية والأرضية،
وسيحاسبُ قابيل مع هابيل أمام الله.

الخلط

من القذفِ والعين الشريرة تعبتُ،
وأصبحت مثلاً على شفاه الجميع.
غير الخلط في صمت منتصف الليل
لم أجد روحاً صريحة.
وكشف الكون لي
أسرار النجوم في القمر المكتمل.
سكبتُ روحي... وفرحت!
ونظرت إلى الوراء...وحزنت:
مع مَن استلقيتُ على سرير الشهوة،
لو أن ملاكي الحارس هرب،
لو أن الصديقة كانت مجردّة من الخجل،
لو أن القمر بكى فوقنا؟
أين ذاك الحب مع دمعة على الخد؟
حلوٌ في البداية، ومرٌّ في النهاية...



التائه

إيه، يا أورال! يا بؤبؤ عيني في عتمة الحِقب،
أنا أيلك، أنا قريبك الذي ذهب إلى السهوب.
أنا، مارلتاي، أنظر إلى الغرب بمرارة،
في الوقت الذي يستقبل فيه الشرق فجراً جديداً.
على داراك(1) – على شجرة الحزن– سأربط
شارخاتاً(2) كبيراً. ومن جديد سأنظر إلى الغرب:
هناك شارخاتي، مثل حزام الجد أورال،
موجة متلهفة سرقَتْهُ.
أنا أيضاً كنتُ قد انزلقتُ، مثل حزام من على الجذع،
واختفيتُ، لكن في ذكرى الأجداد العظماء لم تُمحَ.
مثل مهر فقد أمه،
لا أتعب من البحث عنها.
عندما أَنْجبَ الزمنُ الأبطال المتمردين،
عندها غنَّت القبيلة الأغاني اليائسة.
إيه، يا أورال!– الوحيد والفريد،
أنت تعرف قوة شعراء الكون كلهم.
أنا فقط أمشي عند سفح هضبة
الشاعر القائد كارتوغان؟
أنا أشابه فقط خلفاءه

(1) داراك: شجرة على القبر.

(2) شارخات: منديل ملوَّن كبير.

وببريق المجد لا أتفوق عليهم.
ولكن منهم مَنْ نسي الترانيم السابقة،
هؤلاء أخرجوني عن طوري
بغبائهم وصممهم. ما كان لينقذهم
صوت الكوبيز، ولا إيكيلاس العظيم.
من خلاله تدعوني طبيعتي
وتشعر «ببوزينغين» السوغورا.
منذ ذلك ذلك وأنا محكوم عليَّ أن أغنّي معاناتي-
أُقلعُ إلى السماء، وأهبط على الأرض بثبات.
أعاد أورال الأوراق إلى أغصان شجرة الحياة.
وأخبر من كان أسلافي.
أورال، أمام منحدرك الذهبيّ
أقفُ كما في حكاية نهايتها سعيدة.



كلمات وعيون

بيت الكتَّاب صاخبٌ ورائعٌ.
أخطبُ متأخراً، وأعترف متأخراً.

أنهض من خلف الطاولة الصغيرة.
الوقت متأخر، يا أصدقائي، سأرحل.

النظرات تحفر في ظهري، كالسهام،
الجميع متلصصون متحمسون وجريئُون.

النظرات تحفر في ظهري، كالسهام،
ربما لن أخرجها وأنا أسير.

جميع الخيول مع حوافر ذهبية،
تطير بقربي مع الحاشية.

إما أنهم في سباق يتنافسون،
أو أنهم علقوا في الماضي وغرقوا.

يا طفولتي، أنت تعبسين متجهمةً–
الصدر يمزقه غناء سوغور(3) .

حين أتذكر شرف ماخامبيت(4) وانتقامه،
لا أعطي للتواضع عهداً.

كوكوبوز(5) النجوم تبكي في السهوب وفوقها،
عندما تصل بعُرفها إلى منابع آباي.

---

(3) سوغور (أليلي سوغور، 1862-1961) – مؤلق كيوي ومؤدٍ كازاخي.

(4) ماخامبيت أوتيميسوف (1803-1846) – شاعر وقائد وواحد من مؤسسي حركة التحرير الشعبية.

(5) كوكوبز: الأسماء الأسطورية للنجوم في قاعدة "مغرفة» الدب الأصغر.

بعُرفها المشع تغسل الكوكوبوز،
وتندفع إلى الحرية، وتحطم القيود.

في بيت الكتَّاب تدور الدوامة.
لقد حان الوقت للتصادق.

لا، لم يَحِنْ بعدُ لأحفاد كامبار(6) ،
ليقهقهوا ويركلوا بحوافرهم بقوة.

ويمزقوا أسنان بعضهم البعض في المبارزة،
ويتصادموا بجباههم المسحوقة.

ذكرى ساكين(7) ، وذكرى سابيت(8)
في معارك العميان لن تُقتلْ.

إذا لم يلمس قادير الكحول،
فإن موكاغالي لم يخجل من الخمور القوية.

إذا احترق آديل مع أميرخان(9) –
فنحن، كما في هذيان، شاهدنا تلك المواقد.

النظرات تحفر في ظهري، كالسهام،
النظرات، كالسهام، حارقةٌ وجريئة.

ربما هي عيون الراحلين.
ربما هي عيون الأحياء.



(6) كامبار: بطل ملحمة كازاخية.

(7) ساكين سيفوالين (1897-1938): شاعر كازاخي.

(8) سابيت موكانوف (1900-1973): شاعر كلاسيكي كازاخي.

(9) أميرخان باليكيبيك (1969-2014): شاعرٌ كازاخي.

الشامان

أيتها الطيور، مع أغنية إلى الخالق، حلّقي في الأعالي،
وإلى شرف الإنسان انظري؛
انظري، لقد اختبأ في عروقي جنيٌّ،
أمامه ترتجف جنُّ الظلام الأخرى.
في ضحك جنّي حلم طفل،
حفيف خطواته جنية القلب.
بكاء الكوبيز ارتفع إلى القمر،
وأصبحت الليالي تَحرق مفاتيح الأوتار أشعةً.
سأموت- سيبكي الجني، ويصرخ الطائر
وسيتحول الأمل إلى شعاع ساطع.
سيلمع الشعاع، وسأعود مع أسراب الطيور،
وأتسلق من تحت الأرض مع الورود.
إما في الوقت الذهبي، أو الربيعي
قبَّلتني على فمي بأغنية رائعة.
حبي الأول من الصحراء
بمنديل السماء الأزرق تلوِّح الآن.
لم أنسها في دوامة الدنيا،
لن يموت فيَّ الحب قبل الموت.
مرة أخرى تدور الأفعى ليلاً بالقرب من النار.

ملاكي الحامي صديقٌ لها.
عندما يعيش جنيٌّ وجنيَّة في وفاق-
لا يوجد في كل الأرض ما هو أحلى.
أرفع يدي إلى السماء،
لكن استجابةً للصرخة تَصمتُ أرواحي.
أنتِ من الجانبين ذهبية، أيتها الأفعى؛
صدرك المخفي فضيٌّ.
لا تلمعي في منامي- أتعذب،
لا تأتي إليَّ في المنام -أبكي.

أنتِ مثل سبيكة تشعين نوراً في الظلام،
بتاجك الذهبي تتلألئين.
ملك الكلمات من الجبال الذهبية يتنهد حسرةً.
يتنهد برودة وحزناً.



الخالق

نثر النجوم في الظلام،
رفع الشمس إلى السماء،
ولد الحياة على الأرض،
نفيًا للموت.

الحمد لله العظيم
على الحق الذي لا مثيل له؛
الشكر لك على كرم عطاياك،
الشكر لك على حكمتك في أفعالك،
والشكر لخلودك!

أمامك وحدك أستطيع
أن أتبارك للمعركة،
أو أشكو مصيري،
وأنا أصلّي بطمأنينة.
المجد للخالق العظيم!
أعبدُ وأصغي:
تاج التوافق الجلي
ألبسته للأرض.

في سمعك وبصرك-
البحر، سفوح الجبال، الحواف،
السهوب، وعين النهر
مع نقيق أزواج الضفادع.

الأفق الذائب
بقدرة لقادر يحيا.
السهوب المغادرة للنوم،
تتنفس عبيراً.

مهد حياتي،
باب إلى العالم الموهوب.
أنت حلمي وهدفي،
وثواب إيماني.

الأبواب مفتوحة، ادخلوا
في صحة جيدة أو بِجُروح،
رعايا وقادة،
إلى الأبدية يسيرون متساوين.

أيها الخالق، أنت نزّلت لي
كلامك في الموعظة-
أنا فرخك، ورسولك
وبضميرٍ سأتقبل الامتحان.

أقول ببهاءٍ
بلسان أفواهٍ عديدة:
عالمنا تحت القمر، منزلنا
صنعته بقدرتك
وشعورك القادر.
أنت ملجأي الأمين،
وإيماني وسندي.
إذا غادرتني روحي-
ليكن ذلك ليس بقريبٍ.

سأردد اسمك،
وقلبي سيخفق مثل طير.
آلاف الكلمات في الفجر
تخرجُ، مقدسةً، ومصلّية.

سيقول الرسول والمؤذن
بارتعاش: «المجد للخالق!»



حجر بالبال

آخذ في يدي كوبيز وحزني يهدأ.
كلماتي تلمع كحبات العرق في الحرّ
تخرجُ على جبيني،
وقلبي الحجري يذوب ويذوب،
عندما آخذ في يدي كوبيزي.

يا بالبال(10) ، أنت قريبٌ لنا، ونحن أحفادٌ،
نتقاسم الحزن والفرح.
نحن أيضاً صبورون، وأيضاً ثابتون،
مثلك، يا بالبال الذي منحت لنا الحياة.
لقد رفعتنا بأسمائنا ودمنا،
يا شريكي بالحزن والروح المجروحة،
لقد منحتنا الحب الأبدي،
أنت نَمَوْتَ من الأرض، وأنا للأرض غريبٌ.
«ابجد...-أهمس، أبجد...»- ماذا تعني؟
عن ذلك يجري جدالٌ لقرون عديدة؟
قلبي الحجري يبكي،
عندما أنظر إلى بالبال عن كثب.

لقد سموت بروحي إلى ما وراء البصر،
أنت جذبتني إلى ألعابك الشيطانية.
كنتَ وسط الأحياء إلى الأوان.

(10) بالبال: حجر ضريح.

تمكَّنت من أن تمجد في الجنازة الموت.
وليد السماء، وهل أنا أجرؤ...

الوحيد الذي يتذمر من الموت على الأرض؟
البتة! ولتلفني، كالأفاعي،
أيادي الفتيات في الظلام.

ليس بمقدور أحد أن يمتلك القدر،
أمام الأبدية البوابات مشرعة،
وددتُ أن أقدم قرباناً على القبر،
لكن لا يوجد عدو جدير، مثل أسد.

بالبال!... على صدري نزلت قطرتان،
والقلب يدقُّ وينبضُ بصوت عالٍ.
أنت تبكي، يا أخي،- الدموع تصقل الحجر؛
أنا أبكي، يا أخي،-عيني تَتْزف!

منذ القدم والشمس تمنحني قوتها،
لكن وحده يمكن أن يرى الحقيقة
بعيون أبدية ونور أصلي...
والجدال بين الشيطان والإنسان
وحده اللّه قادرٌ على حلّه.

الصورة الزيتية

بقي القلم على الطاولة.
هناك ورقة على الطاولة.
وهذا مصباح لم يُضَأ في الظلام،
وهذا القرآن -بدون فضة وذهب.
والنهار يقف، لكنه محروم من الغروب،
يبدو أن لا فجرَ أكثر،
لكن الزهرة موجودة -قمرية، صفراء اللون.
سيكون من الأصح القول عنها -رائعة! ولكن ما ذنب الورقة والقلم،
في أن العالم طار من مكوكه، أصبح فظيعاً؟
وبالمناسبة، يميل القرآن نحو الساعة
ونحو الطائر تميل الزهرة الحريرية...

القنطور

ابن السهوب العظيمة، أسرجت حصاني المجنّح.
انقضَّ العدو عليَّ - غير مُلجِّم طبعي!
والسيوف لمعت مثل العُقاب السماوي.
كم من الزهور سُحقت، كم من الأعشاب تجعدت...
يا عزيزي، أنت تؤكد: «تعمقت التجاعيد».
لماذا تعبتُ من رؤية هذا اليوم؟ -
في البحيرات لا تنقر الأوزُ الأوزَ،
الصقر طامعٌ في ظل العصفور.
طحنه شعبي. لكنه يأتي لزيارتنا
من رحابة الفضاء، حيث رعد الماضي،
روح رائعة -روح أسلافنا -للقتال مع العدو.
على الأرض، كما من كف، سيترك العظام،
ولكن الدعم سوف يولُد، ويحمي المنزل الأم.
سيأتون وبعد أن ينتقموا سيتبددون في الرماد.
على الأرض، كما من كف، أرواحي.
حتى النهاية لو نفهم الأغنية التي طارت إلينا
من الأزمنة الغابرة.
مثل الحكيم كولتين،
فقدت حلمي. وما شأني
حتى بابتكارات اليوم؟ أنا في الميدان وحدي...
ما العمل مع جهل الأزمنة الغابرة؟
لقد تخاصم مع نصف العالم -وعلينا أن نفهم

استمرارية الأزمنة، ورابطة الأحياء والموتى،
إذا طاردنا وحطمنا بعضنا البعض مرة أخرى
الإنسان ينكِّل بالإنسان بشدة،
لكن الهدف لا ينبغي أن يكون محزناً، صدقني!
الجامح بقلبه - يَحرق الحي.
لقد أدركنا هذه الحقيقة الآن
حصان متين غير منكسر - ظل الإنسان.
أسلاف اليوم في المنام لا يزعجونني.
قلبي منهم، ومن الزمان البعيد،
لا يوجد فيه أي استجابة لغضب النار.
لماذا أنت صامت؟ يَحرقني الأسف.
وما الذي تعزفه في صدري، أيها الكوبيز؟
فجأة، ظهرت الرؤية أمامي من جديد -
من الحدود السماوية، من كواليس النجوم.
كما لو أن سلسلة نتوءات الجبال الصغيرة انتهت،
أصبحتُ سلسلة من التلال القوية، كما كنت في الأيام الخوالي.
ثم قفزت على الطرق الرنانة،
ساحقاً الحجر الخالد، وهازّاً القمر،
وطرتُ إلى السماء بسرعة البرق.
حَلَّقتُ قاطعاً الشرارات الحارة،
حوافري الذهبية في الأعالي،
مثل الأهلة، في الهواء الأسود لمَعَتْ.
الجسارة استولت على روحي. والنجوم البعيدة
هزَّت الصرخات المتأججة فيَّ.
«أرواح الأجداد، يا إلهي! - صرخت في إثارة -
أعطني المباركة من أجل التوفيق!»

الصورة الشخصية

مثل سليمان، تحدثتُ مع الوحش والطيور
بأغنيتي شوَّشتُ أنا رأسي.
بعد أن متُّ، مثل عالَم منقرض، نثرتُ الصفحات،
لم أستطع جمع أَفكاري، وغنَّيْتُ في فراغ.
أذهب مع الوقت - لكن الوقت أخفُّ من الغبار.
في كل مكان أرى الحزن في وادي الحياة.
أنا لم يدمرني الخير - الذنوب أحرقتني.
لم أجد أصدقاء حزينين في قاعِ الحزن.
وكَنْز القرون في هدوء تاج محل،
نُهب كلُّ شيء، كل شيء سرقه الزمن.
روحي، ربما أصبحتِ الآن قلباً
لجمل صغير؟ ربما تعيشين دون أن تتذكري الشر؟
ماكر وخادع تحليقك، أنت تفتشين عن نفسك
التي فُقدت على الأرض، حيث لا يوجد سوى الحزن والخداع.
ستنتقلين إلى آخرين، تصفرين ريحاً ربيعية.
غطت ثلوج نيسان الزهرة. إنها تشبهني.
الزهرة، مثلي، تحت قشرتها تخفي الحلم بالأبدية.
بلغت الأحلام- أنقِذْ نفسك من الأكاذيب إلى الأبد.
اعتقدتُ أن قصائدي في تدفق سريع
ستواصل حياةً سريعة الخطى، وستؤجل ساعة الموت.
ومثلَ العشب الصحراوي، مددتُ جذوري - أوردتي،

وتجذَّرت في هذا العالم، ولكن هل بلغت الكثير؟
ماذا دمرت؟ ماذا خلقت؟ على ماذا أنفقت قواي؟
أنا في الثلاثين من عمري. غارقٌ في التأمل. ومسودة سوداء.
وهل تحتاج إليّ الحياة؟ ومليئة بالحزن،
ماذا ستقول للناس أغنيتي- خيط الإنقاذ؟
لم يلاحظ أصدقائي وأعدائي عبثاً
أنِّي يمكنني أن أقول الحقيقة وحدها.
حتى وإن كانت أحياناً مُرّة يكون على القلب وعلى الأذن،
بين الحياة وعدم الوجود يقودني سطري.
فلو جلستْ ذات مرة على طرف شعرة ذبابة -
ستتألم عظامك ويهاجمك الألم.
تَمُرُّ مساراتي عبر الظلام - لقد أصبح عزيزاً،
وسوف يتعرف عليه الناس، حلمي هو القمر.
حين سقطت قطرات الحبر الأحمر في الحليب،
عندها يُظلم قلبي - كوبيزي وتر - الحزن.
وهذه النظرة الموجهة إلى مكة، هنا سجادة صلاة،
وهذا الإنسان يركع، لتحبه السماء.
في الروح - هدوء وصمت، مخفيّان عن العين.
انظروا: هل أنا مستقيم؟ هل أنا أشبه نفسي؟



في دعم محمَّد

إيه – ما ...
ركعتُ واضعاً العالم كله على ركبتيّ،
سأقسم للشمس المغادرة قسماً مقدساً:
عندما تسقط على أرض الكازاخ الظلال المميتة –
فإنني سأستبدل ريشتي بسيف، وسأهبُّ أنا!
سأطلق إلى الفجر بقسمي، وسأهدِّف مباشرة.
أمام الشمس المشرقة أيضاً سأقسم راكعاً.
أنا هنا، أمامك، يا وطن الأجداد العزيز!
نحن معك من نفس الدم، وسأكون أول من يدخل في القتال.
لقد ولُدت في يوم وفاة نبي الله محمد.
مَنْ غيري سيشفي قلبكِ، أيتها الأرض؟
كما قال موغاميت: «سوف يأتي. ترقبوا الشاعر!»
وظهر الشاعر. وجاء. انظر –إنه أنا!

في الحانة

أوه، أيها الإنسان المقدس،
أوه، أيها الطيب أتوجه إليك!
(وهل إذا شفقت عليَّ، ستصبح أنت فقيراً؟)
حتى تَهدأ روحي، ويَشْفَى قلبي،
أسألكم بالله، صُبُّوا مائةَ غرام!

لروحي ستكون هذه الرشفة أيضاً سُمًّا،
ولكن في وسعك تقريب تدفق اندفاعاتنا.
ومن يدري، ربما سنصبح أفضل الأصدقاء،
وسوف نأتي إلى الخلود، وسنجد طريقاً من الطرق.

أوه، أيها الطفل البريء،
أوه، أيتها الروح المباركة الطاهرة!
إذا كان أحد يعرف ماذا تحملت في حياتي المتهورة.
فقط باكياً ناحباً، تائهاً على درب التبانة،
وهل بإمكان مُتَنَسِّكٍ أعمى أن يفسد شيئاً؟

مثل رجل عجوز، أصبحتُ أصلعَ، وأهدرت شبابي.
عبثاً عبرتُ هذه الحياة، عبرتها دون جدوى... أقف على الحافة.
لا يوجد أحد حولي. حتى الصديق لن ينظر إليَّ في عيني،
إلى السماء رفعتُ يدي باكياً قدري.

أوه أنت، أيها الفرخ الطيب!
أوه، أيها المقدس والبائس، مثلي،
وهل يمكننا خداع شخص ما، بإذابة المكر؟
لكن بجناحين يغطيان بهدوء تفاحتين،
يا ملاكي، قل أنت: هل هي حقيقة، رقتك؟

وداعٌ مع الأرض

هنا حجابٌ أزرقُ، ضبابٌ أصمّ مرةً أخرى.
نجمتي غير مرئية هنا - سأذهب لأبحث عنها.
في النهاية، حيث الربيع، في ازدهار المرج والبستان،
الأرض مليئة بالعبير وأنا مجنّحٌ!

يسطع العالم!
يُجبرني على أن أنسى حزني،
وتنهداتي المريرة، وأحلامي عنَ الربيع،
وسأقلع وأندفع إلى البعد المشرق!
لكن الشغف بالوجود الدنيوي حطَّم قلبي ...

ومع ذلك، كن ممتناً:
لقد شربت السم والعسل.
إيه، يا رأسي الصغير العابث في التسكع!
من أصبح شاعراً على الأرض هو بائس إلى الأبد.
إلى جانب ذلك، إذا كان كازاخاً ويحب الجنجل، مثلي.

من جديد يبتعد لغز الألغاز - نجوم السماء ترتفع.
يا نجمتي الخضراء، أنا معك، أذرف الدموع!
سنعود، لن نعود - النور لا يعرف ذلك.
لم أعرف إلا القليل هنا من الأيام والسنوات الجيدة ...

القمر

عندما تكون الكأس مملوءة إلى الشفة–وجود غير موثوق به
وإشراق روحي يتدفق عبر الحافة،
إلى الأبد وبدون رجعة.
قلبي مسكين
ينهار في منتصف الليل، يهز الجحيم والجنة.
يندفع الفكر في الوقت الذي يجول هو في الأرض،
يتعثر ويحزن، ظلي، مثل لص بائس.
أنت وأنا–روح حية، جسدنا هو زهرة في كآبة.
وجدنا بعضنا البعض، لكي نضيع هنا.

لقد رفعتك، كثيراً، على ما يبدو، عظَّمتك.
انْهَمرَ الضوءُ الأصفرُ من السماء مثل انْهِمَارِ دموعي.

ربطني البدر بالمصيبة إلى الأبد.
مرة أخرى بقيت وحيداً، وروحي تؤلمني.
أمواج القمر تهتز، الأمواج تعذبني.
أحرق الهواء بالنار، وأتنفس لهباً ساخناً.

ما هو ذنبي؟ – أنا لا أعرف ... ولكن عندما لا يكون هناك راحة،
وَجِّه اللومَ إلى الحب –لماذا هو نقي مثل هذا السمو؟
والْمَس القمرَ بشفتيك – يسطع الضوءُ فوقَك،
وصلٌ لقمر السماء، وصلٌ له، وصلٌ!

منتصف الليل...

أزاحت القبة، وانسكبت النجوم من السماء،

والقمر ظهر. أخبِرْني، نجمةُ مَن تحترق هناك؟ -

هي نقطة لقائنا، فيها موتي، وحياتي.

قمران -الأرض والسماء -ستربطهما إلى الأبد.

الحبل السُّريّ، مركز الكون، سعادتِي وتعاستِي ...



تاناكوز تولكينكيزي

(ولُدت عام 1977)



- ولُدت في الثاني من نوفمبر عام 1977 بمدينة ألماتي. وفي عام 1995 أنهت دراستها بالمدرسة الجمهورية المتخصصة بألماتي ودرست دراسات متعمقة للغة والأدب الكازاخي.
- عام 1999 تخرجت بتقدير امتياز في جامعة آبيلاي خان للغات العالمية. وفي إطار برنامج الزمالة «المستقبل» درست بجامعة روبرت شومان بكلية القانون الدولى بفرنسا في الفترة1999 – 2000 وبدأت كتابة الشعر خلال دراستها بالمدرسة.
- تنشر قصائدها ومقالاتها في الصحف والمجلات الحكومية. وتترجم القصائد الفرنسية إلى الكازاخية. تم نشر أول قصائدها عام 1988 بمجلة «الرائد».

- فازت بجوائز مسابقة «شعر الربيع»، وبجائزة الأدب في المسابقة السنوية «جيل الشباب». كما فازت في العرض الجمهوري «شاعرات كازاخستان». حصلت على المنحة الرئاسية في تخصص الأدب عام 1998. وحصل على المنحة الرئاسية «بولاشاك» عام 1999، وجائزة «شابيت» عام 2002.
- عملت منتجة بالقناة الحكومية «Qazaqstan»، ورئيسة للجمعية الابداعية «جيل الشباب» في الفترة 1994 – 2001 ومن قصائدها «نحن من الجبال»، «أشتاق»، «أطلب الكلمات»، «أستانا العاصمة» عام 2001، «اللهب» عام 2008، «يديك» عام 2014.
- باعتبارها فائزة بمسابقة الشعر الدولية استقبلها رئيس طاجيكستان 2008. كما استقبلها رئيس كازاخستان عام 2010بعد حصولها على المنحة الحكومية.
- قامت بترجمة كتاب أشعار الشاعر الإسباني الشهير خوستو خورخي بادرون من اللغة الفرنسية إلى اللغة الكازاخية.
- ترجمت كتاب «دوائر الجحيم» عام 2014. كما قامت باعداد مختارات من أعمال الشعراء الكازاخ باللغتين الإسبانية والأذربيجانية للمرة الأولى عام 2017.

حاوِلْ أنْ تَشْفِي قلبِي

أرجوك، حاول أن تشفي قلبي!
جميع الأبواب مغلقة أمامي.
من الخجل أرتعش أمامك
مثل عبدٍ. لا مفر.

قد يحدث فجأةً أن أقف قريبة منك
في ترام مكتظ بالناس.
ماذا عليَّ أن أفعل؟ أأقول: لا أعلم؟
أم أتحول إلى خرساء تماماً؟
طيلة حياتي أنهكت نفسي بالقلق،
أمتد إليك- لاعنةً أم مُحِبَّة،
وأجبر قلبي على أن يصمت،
أندفع صوبك هاربةً منك.

ساورتني في الليالي الشكوك،
وخمد موقد آمالي
الذي وددت لو أصبح فيه رماداً.
تحت بريق البرودة في عيون الآخرين.

أنت سارقٌ، سرقت شاعري خلسةً،
أنت تقوم بالتجديف فوق روحي.
أم إن القدر أمر بأن
أسمح بارتكاب الجنون؟

حسناً، حاول أن تشفي قلبي،
افتح كلَّ الأبواب أمامي،
كي لا أرتعش أمامك،
كي أكون قادرة على أن أتدفأ تحت تلك النظرة.

أميلُ صوبك

أخطو نحوك، مثل مسافرة نحو المنزل.
سأرمي برأسي على كتفك وأنسى ألمي.
دعنا لا نُدخل قلبينا في لهيب،
مانحين الفرصة لأحد ما ليحسدنا!

أميلُ نحوك بعد أن أهدأ للحظة،
مكَلِّفةً الروح بالمسار الحلو.
والقلب يخفي صبره في صدري،
وعيناي تلتهبان، تتوقعان المعجزة.

أنت نقيٌّ مثل حجز الزمُرّد !
أنجذب إليك، مثل إلى وعاء الحقيقة.
أسامح العالم عن كل ذنوبه،
طالما سأكون بقرب كتفك...

لا حاجةَ...

لا، لا حاجة إلى الشموع، ولا إلى النجوم
ولا توجد حاجة إلى مخالفة آداب سلوكك.
في الظلام أقرأ لك قصيدة،
وأنت من خلال السطور ترى روحي.

أنا أحرق باللهيب قلوب الآخرين،
أما نحو قلبك، فأمتد حتى إلى قربه...
فوق القهوة أرفرف، مثل نحلة فوق الرحيق،
وأنت تشربني حتى آخر قطرة بعينيك.

أنت ثَملٌ من النرجيلة، وأنا - من العذاب.
لكن الحياة لم تتغير ولا لذرَّة.
الغابات ارتدت ملابسها الملوَّنة،
سيأتي الخريف-وستذهب النعمة كلّها.

من جديد - مقهى على الشاطئ العالي،
حيث افترقنا، أنت وأنا، مساءً...
...لكن الربيع كان صدفةً مذنباً
لأن قُبلتي بلغتك فجأةً...

سوف أطلب العيش طويلاً...

أريد أن أموت! أريد أن أموت!
أريد فقط أن أمسح دموعي!
أنت ترى- أتجول في العالم مثل الريح،
لماذا عليك أن تتحمل بكائي؟

أريد أن أموت! وأن أشطب ثلثَ كل شيء!
أريد أن أمحو بالقبلات شفتيك تماماً!
أريد في سلسلة المطر أن أهبط فوق الموت
وأدفئ حياة أول شخص أصادفه.

سأخبره ليعلم من الآن فصاعداً
أن التحمّل واحدٌ للجميع في العالم.
فأنا لست المذنبة في أن ما يسود في كل مكان
ليس الحب، وإنما الموت.

أتسمع؟ سأسأله؟... صدقني،
أصبح باب الخراب يُفتح،
أنا لست بحاجة إلى هذه الأرض،
ولا إلى الشمس، ولا إلى الهواء، ولا إلى طير، ولا إلى وحشٍ...
أنت وحدك بالنسبة لي أثمن من كل الخسائر.

عندما ترحل

عندما ترحل
عدما ترحل، وتنظر إلى العيون بقسوةٍ-
لا تبقى إلا كلمة عاصفة واحدة:
وأنت ترحل. لا إخوة، ولا أعداء...
سوف يتدفق النور دون شواطئ.
لكنك سترحل. خلف الأفق، خلف الكيلومترات-
إلى هناك، حيث السماء تسندها الأَرْزاتُ.
وهنا قصائدك تفقد معناها،
والشمس تفقد معناها أيضاً،
والمطر،
والرياح...



المساء من جديد

المساء من جديد. هبط الظلام.
بسط الليل أجنحته المظلمة.
وكم أريد أن أتصادق مع شخص ما!
من الصعب العيش في هذا العالم بلا صديق.

كل الشعراء على الأرض من الله،
قادرون على أن يسكبوا الشعر عاصفةً.
ولكن إن تاه الحلم في الظلام-
مَنْ ستأمرون أن يسكب الخطايا؟

أودُّ أن آتي إلى الأصدقاء من بعيد،
وأطرق أبوابهم على طريقتي دون اتصال،
وأن ننظر عند العتبة في عيون بعضنا البعض،
وأن أدفئ بالشاي روحي.

في كل ركن من أركان المَسْكنِ هاتفٌ.
وإذا كان الرنين مكتوماً،
سيَرِنُّ فجأة، ويهتز فجأة،
وهذا يعني أنني دون أن أقلق منامي،
أعطاني المنبه رسالة - صديقٌ حقيقيٌّ !



ولماذا أحتاج إليك...

ولماذا أحتاج إليك...
ولماذا عبثتَ في رأسي،
هل تنبأتَ بسعادة بهيجة لنا نحنُ الاثنين؟
من الحب ثملةً دخلتُ بابك.
خرجت صاحية وسط الليل المظلم.
تخيلتُ نفسي سحابةً طائرةً فوقك.
لا تحزن لأنني سقطت مبكراً من الأعالي.
غالباً ما يمنح الوفاء الموت للطيور في حياتها.
ألم أبحث أنا عن ذلك الموت معك؟
جئت إلى هذا العالم لأكون طائراً حراً،
لكني بنفسي طرتُ عصفورةً إلى شبكتك.
لن أجد الآن علاجاً منك.
أريد أن أشرب كل ما هو أقوى من السُّمِّ!
رياحي الخريفية انغمست في الحرية،
تغني أشعاري في حقلٍ فارغ.
حسناً، لو أنك بقيت على الأقل قريباً قليلاً -
ليحمينا الموقد من ألمٍ قادمٍ...

تَوَسُّل

إذا خان عزيزٌ بدون أي رادع-
عَلِّمْني أن أغفر، وأن أصبر.
إذا كان لا يخفي احتقاره-
عَلِّمْ الخائن أن يفهم..

إذا ثوبي الأبيض الثلجي
رشّته بالطين فجأة سيارةُ تاكسي مُسْرِعة،
عَلِّمْني ألاَّ أنهال عليها
بشتائم سريعة متهورة.

إذا فهم الناس مطالبي
على أنها شرٌ خفيٌّ،
قل لي: هذه ليست هزيمة،
أنا الآن مجرَّد محظوظة!

علِّمني أن أرى الخالق في كل شخص،
حتى في أحلك الأيام،
كي أتعامل مع الطفل
كطفلٍ، علِّمني أن أغفو.

علِّمني كيف أتعامل مع المصاعب،
وأن أصل بيدي إلى القمر.
ماذا عساي أن أفعل، إذا كانت الطبيعة
قد منحتني الحب والخصام؟

عَلِّمْني كيف أعيش بدون أشعة الشمس
التي تدفئ الأرض.
عَلِّمْني أن أكون مثل زهرة عباد الشمس،
أعالج الناس بابتسامة.

عَلِّمْني أن أكون معجزةً للمعانين،
أو على الأقل واحدةً منهم،
ذات مرةٍ ذهبتُ، كقاصَّة،
لأخفف الألم عن الجميع بلحظة.

عَلِّمْني أن أتغلب على نفسي،
كي أرى العالم الخاطئ حولي،
ليس في نقص المال، ولا في وفرته،
مثل عيدٍ بهيج مفرح.

عَلِّمْنا كي لا تسقطنا
الكلمة الوازنة بقوة الشر،
وكي تكون مبهجةً،
كما كتبها الله نفسه!

عَلِّمْنا الصبر للعيش بلا دموع،
حيث تفرح الروح،
وحيث أتنعم بالصباح البارد،
مسرعة إلى العمل على الأجنحة.

لدى المارّة وجوه جدية،
العالم يزداد قسوة يوماً بعد يوم،
أعطني القوة كي أغضب من نفسي،
عندما لا يسمعني حبيبي!

عَلِّمْني أن أكون ببساطة مُحِبَّةً.
سأتحمَّل كل شيء!
سأوقد الموقد في المنزل...
لمشيت في الحياة في خِرَقٍ،
لو عرف هو كيف أحبُّه بقوة.
فليسمعني!- أتوسل...

لا تصمت

...لا تصمت!
كم هو الجو باردٌ في الليل...
أرجوك، قُل...
قُلْ أي شيء على الأقل!

أرجوك، لا ترفض حبي!

عندما تكون في مزاج،
عندما
حول الشوق،
حزنٌ أو متاعبٌ،
عندما تحترقُ بكاملك بالنار-
أسرع إليَّ!
ضوئي يشتعل في النافذة!

هل روحك تحترق؟ سأعطيك لتشرب.
أو ربما أنت لا تعرف كيف تطلب؟
أوه، يا إلهي! ماذا يمكنني أن أفعل الآن؟
خذ، ابكِ. أو الأفضل- صدِّقني!

فلْيُغَنِّ الندى في العشب عن الحب!
فلتهمس أوراق أشجار الغابة عن الحب!
فلتتحدث الأصوات عن الحب...
مؤسفٌ أن الغضب يحرق عينيك.

أتسمع؟ الربيع يغني عن الحب!
يغني هو، يرنّ هوُ، جميلٌ!
يدمدم بحيث العظام الناهضة
ترقص في فناء الكنيسة!

أرى كيف ترتعش يدك.
الدومبرا ترفع الأصوات إلى السماء،
تغنّي ويصفّق الميدان،
وفي ارتعاش يندفع الحصان الصغير.
لذلك فليخبرنا الميدان عن الحب،
الغروب ممزقٌ بالحرِّ حتى الألم!
فلتصرخ الروح عنه في الليل.
أما أنت- فابكِ... لكن لا تصمت.



مرثاة

1

بقتلي، أنت توقظ الحب.
وتمنحني نعمة اليأس مرة أخرى...
لكن أنا في كل الأحوال- قط اتصل بي!
أموت في الدم، وسأغني عن الحب.

أنا نفسي، بشكل غير معقول، لا أستطيع التغلب عليها:
أن أكون معك، يا حبيبي، في الفرح والموت!
ألم القلب يزهر أشعاراً،
فالموت والحب متساويان أمام الرب.

إذا نزل علي برد الأرض.
لن أصدق أن مشاعري تلاشت،
سأحتضن موتي، لكني سأغني عن الحب:
الموت مع الحب صديقاي إلى الأبد.

2

لا أستطيع أن أحب جزئياً،
أحترق في حبي بشكل لا يُطفأ،
براكين المشاعر في روحي تلتهب بكل قوتها،
وتنفث أبياتاً ناريَّة.

لن أشارك حبيبي مع أي أحدٍ،
مرضُ الحب يُعدُّ جرحي.

مع هادمة البيوت لا أتفق!
مشاركتك مع أخرى-فقدان للروح.

لا أستطيع أن أحب جزئياً،
من الغيرة أحترق، يا حبيبي،
لا تطلب مني الهدوء-
اتحاد القلوب تباركه السماء.

حبي يعصف، يهز القارب،
فأنا، على الرغم من أنني أبدو وديعة أحياناً،
لكني يمكن أن أحرق الروح في لحظة،
عندما أكون في أسر شك الغيرة.

لا أستطيع أن أحب جزئياً،
أطير عقل حبيبي،
أحترق، لكني أحلم بالهدوء:
حبي مثل الطقس السيئ.

أنت مضطرب ليس مصادفةً...
لن أجلب لك السعادة يا حبيبي،
لذلك قلبك
يشعر بحزنٍ شديد...

3

عبير الوحدة - نعناعٌ -
يدفئ بالحزن الأحضان.
أسير وسط تدفق الناس
في المحيط البشري وحيدةً.

وعندما تستنشق عن طريق الخطأ
سر العبير الحزين،
فإنه يزعجك، ويسحرك،
لأنه يحنُّ للأبدي.

رائحة النعناع للآخرين غير مكترَث بها،
هو يهدئ في بعض الأحيان العاصفة،
هو يفصل بيننا في الخريف،
لأن الحزن ينضج.

إلا أنه لا يستسلم - يتدفق
وإلى المحبوب يندفع بخجل-
يا عبيري المحبوب القوي،
يا داعياً إلى السعادة الأبدية.

منحت المصير لآخَر،
بكيت وابتعدت.
أبعدت القناعة بعيداً،
ووهبتك الغفران.

من المحتمل أنك غاضب مني
لأنك لم تر دموعي.
لقد ملأت القلب بالحب،
لكن كيف أتخلص من الألم؟
هربت فوق البحار والمحيطات،
ولم أقل لك شيئاً.
كل ما عذَّب القلب- فليذهب إلى الجحيم!
لقد استبدلت الحزنَ
بأغنية.



مسامحة

أسامح كلَّ من ضرب خلسةً،
ولم تهتز له يد،
وكل أولئك الذين لم يغفروا لي موهبتي،
ولم يبحث لدى الشمس عن القوى المنشودة.
سامحت كل مَنْ سوَّد النقاء،
الذي سكب القذارة على الكلمات البريئة...
في عالم الغسق يندفع ضوء رنَّانٌ،
العالم الأرضي كله تدفئه المغفرة.
إنها بمفردها تبدد قوى الشر،
ستحترق المصيبة، وسيبقى رماد ...
أشعر بالأسف على الذين في انتقامهم
لا يرون الروح السماوية بأعينهم،
ولكن يمكن لسلسلة الأفعال الخاطئة
أن تجد دائماً غفران القدر.
لكن تذكر الحقيقة المقدسة ...
في غفران الشر لا تضع اللوم على الخير.



من الآن
أُعلِنُ نَفسِي ملكةً !

من الآن أعلن نفسي ملكة!
تميزتُ أنا بالوحدة الملكية!
مثل الحب الرخيص، بالكاد يذكرونه!
هناك حيث شُوهدَتْ بجعةٌ، لكنها في الواقع بومة!
صوت القلب منذ زمنٍ يرنُّ بشكل غريب،
مثل بابٍ قديم يصرُّ فوق العتبة.
لا أحد لا يعرف حقيقتي كلها،
ليحكم عليها تسعون قاضياً.
...من خَرَّب بستاني، ودمَّرَ كل ما هو حي؟
من الآن أعلن نفسي ملكة-
تميزتُ أنا بالوحدة الملكية!



بقلبك تسأل محبوبك...

بقلبك تسأل محبوبك أن يكون صادقاً،
كل شيء كما هو بالفعل يتحدث عن المشاعر الرقيقة.
والزهرة التي تنمو من خلال الحصى،
تريد أيضاً أن تكون محبوبة، وأن تحب.
إذا أهداك صديق عزيز زهوراً،
تولُد في قلبك أحلام عاطفية.
هذه هي معجزة الشعور اليقظ:
هو محبوب لك، وأنتِ محبوبة له.
بعد أن طردتُ الحزن، أستطيعَ أن أفهم شيئاً واحداً:
ليس عبثاً هذا اللهب يحرقني!
تارة أودُّ أن أحلِّق، وتارة أتمنى أن أموت...
لو أني أعرف أنِّي لمحبوبي حبيبة!



أشعر في روحي ...

لا أشعر في روحي إلا بثقلٍ مع فراغٍ،
فأنا خُدعتُ بالحلم المنشود.
ويجب أن أفقِد اللص السلطة،
إذ ليس لديّ الآن ما يمكن سرقته.
على قلبي يضغط الاستياء والكآبة،
فأنت بقيت فيه، وهذا العبء ليس سهلاً.
ومعنى الحياة وسعادتها لا يمكن أن نفهمها،
عندما يمكننا أن نفقد كل ما هو جيد.
لا يوجد في روحي إلا برودة كلمات الوداع الجليدية،
ومرة أخرى يأتي حزنٌ مميت منها ...
سأرحل. ما كان عزيزاً مات.
إنها الحياة، يا عزيزي، هذا كل شيء.

آليا داوليتبايف

(ولُدت عام 1977)



- خريجة كلية اللغات بجامعة خليل داسموخاميدوف الحكومية بمدينة أتيراو بكازاخستان.
- أصدرت في عام 2014ديوانًا شعريًا يحمل عنوان «نفس الإشعاع»، وفي عام 2017أصدرت ديوانًا شعريًا بعنوان «صرخة الروح» بتمويل من الحكومة.
- اشتملت هذه الدواوين الشعرية على العديد من القصائد التي من بينها: «هناك بحيرة تحت القمر»، «مدينة أوربولاك الصغيرة». كما نشرت قبل ذلك بعض القصائد الغنائية مثل: «أن تكون شاعرًا من الله»، «حقيقة لا جدال فيها»، «حبي الأعمى» وغيرها من الأشعار.
- تم تضمين أشعار «أكبيرين» و «جانارتاو» في المجموعة الشعرية الدورية. كما قامت بتأليف عشرات المقالات.
- ترجمت إلى اللغة الكازاخية أشعار ريلكيه وتيميربولاتوف. وقامت بترجمة المسرحية الكوميدية «مسرح» لمايكل فرين، ودراما «أنتيجون» لجان أنوي.
- في عام 2016 تم نشر أشعار الكاتبة في المختارات الأدبية «كازاخستان-روسيا» التي أصدرتها سفارة كازاخستان في روسيا.
- تعمل في الوقت الحالي محررة لمركز الفنون الشعبية بإقليم أتيراو بكازاخستان، ومدير الجناح الشبابي بالجمعية العامة «الروحانية».
- عضو اتحاد كتاب كازاخستان، وحاصلة على جائزة المهرجان الدولي «إلهام» لعام 2008.
- حصلت على جائزة المسابقات الشعرية بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد البطل الشعبي باورجان ماميش والذكرى الـ 350 لميلاد الشاعر والمؤلف الكازاخي العظيم تولي بي.
- نالت جائزة «سالكام جانجير» في المسابقة الشعرية الدولية للاحتفال بمرور 550 عامًا على إنشاء الخانية الكازاخية.

قصيدة بلد عنوان

لم تُحدَّدُ خطة الأمس.
لو يشفق عليَّ أحدٌ ما.
لم يبق سوى خُرَجٍ
مُثَقَّبٍ مثل غربال.
لكن بفضلِ الخُرَج،
بسرِّ روعة الثقوب
تسلَّقتُ إلى القمة،
ونزلت عند الغروب.
راكمتُ السمَّ في دماغي،
وجمعت العسل في الوادي.
أحببتُ شيطاناً،
وأوصلته إلى حدود الجنون.
أرسلت إلى أطراف العالم
رسائل مثيرة،
لكنها بقيت دون إجابة
كلمات الفتاة السمراء.
بكى الناس على النعمة،
(واحدٌ بصدق، وآخر كاذبٌ)
تواروا، واضعين
الشفقة أمام وجهوهم.
مع مرر الوقت تعلّمت
أن أرضى دون الاندفاع بسرعة
أقوم بالعمل.
وأيضاً أود أن أقول:
الحقيقة - هنا في أشعاري.



ومرة أخرى على كاروي

(إلى ماخامبيت (١))

في الربيع وفي الخريف جئنا،
جدي الروحي، إلى القبر العزيز.
اليوم مرة أخرى جئنا إلى كاروي،
حيث أنت مدفون، أيها البطل الثائر.
يبدو لنا أننا نصغي إلى الروح الحريصة،
ونتذكر الوصايا عن المساواة.
لكن من يفهم الطموحات حتى النهاية؟
من سيرمي كل شيء وراءه؟
لا تكفي الشجاعة ليلاً ونهاراً
للمتابعة اليقظة للشعلة الأبدية.
روحك تحوم في السماء حارسةً،
ناظرة إلى العالم بنظرة متفحصة.
مزارك مقدَّسٌ، تحت القبة.
تهدأ بسلام معاناةُ الشعب.
هناك ما يكفي للأحفاد من الشعلة الروحية.
لكني أتوجه إليك مع رجاء: لدي ابنٌ،
جئنا سوية، أشفق عليه:
اسكب شجاعتك في قلبه.

(1) ماخامبيت أوتيميسوف (1804 - 1846) : شاعرٌ، واحد من قادة ثورة الكازاخ في غرب كازاخستان.

أنت شفقي الليلي

أنت شفقي الليلي مع الجبين المتأمل،
رأيتك - تنفست دفئاً.
رفرفتُ بجناحي واندفعت إليك،
في العناق - جرى كل شيء وفقاً للقدر.
بالكاد توقعت أنت مشاعري الصريحة،
أنت سمحت بالحب، وأحرقتَ بشكل مؤلم.
فجأة من الجسدين المحلّقين دوت صرخة،
وتلألأت الليلة الغائمة فجأة!
نشرت أنت جناحي النسر بشكل قوي،
امتلكتني - رميت بنفسي إلى اللهيب.
أقسمت بحماس شديد على عدم وفائي،
وأنا نفسي في وقت لاحق صدقت هذه الكذبة.
ليكن ذلك كذباً، وليذهب القسم إلى الجحيم،
وغطرستي ستذهب إلى الجحيم.
أنا مريضة بذلك القسم، لا يمكنني أن أشفي
ومن إحجامك أن أتغلب على مرضي.
نظرتي غسلها المطر، تجمد بكائي في صدري.
أنت يا شفقي الليلي، عُد، لا ترحل!
اِعترف أخيراً: ألم أستسلم أنا
بدون تفكير إلى سلطتك؟
قلْ بذنب مَنْ تحطمت المرايا،
والقلوب؟...وأنا نفسي في أي شيء لم أكن محقَّة؟
قل...



لدى الحقيقة
مكان شرف - السجن! ...

لدى الحقيقة مكان شرف ... السجن! ...
حيث الحقيقة الشخصية... صماء وبكماء ...
تحفظ تحت القفل مخاوفي الخفية،
وأعمالي الشريرة، ومقاصلي الجديرة،
التي فيها لا ألوم بقسوة لا نفسي،
أنا سأقطّع وأعدم نفسي.
في السجن حقيقتي مثل شمس في الظلام،
وأبواب السجن مغلقة بإحكام.

واجهتُ الكثير طويلاً،
لا أستطيع الكذب والنميمة،
لن أقول شعارات
ولن أمجّد الحقائق العارية.
«هورا!» - صاحها البليغون من على المسرح،
وبتهورٍ حطموا بالجدار جباههم.
يحدث أن الأغنية أيضاً تهبط على الصخور،
ومثل مهرة، تتعثر فجأة...

مستهلكة، مثل شرف عاهرة،
سأغلق الستارة، وأفكر لدقيقة
بجدي الذي سئم القتال،
عن الوطن الأم الذي أصبح عشاً أجنبياً.
سأفكر بناقتي،
بطفلي المضطرب...

بينما حاولت القتال مع نفسي،
قارن الناس الحصان المحدد السرعة
مع الحصان الذي يجر العربة-
معطين مصيراً واحداً للاثنين.



لغة آباي

لغة آباي، لغة الأم،
لغة ساحرة،
حيث الحزن مشرقٌ، حيث ترتعش الروح،
أقول منذ ذلك الحين وأعيشُ شعراً.
لم أعرف الترحال ...
وكم من الحزن جلب.
قضيت الليل تحت حجارة بالبال،
عشت نصيب الذئاب.
في تلك الغابة الغريبة تمنيت
أن أعيش بعيدة عن أمي،
من اليأس صرختُ
في لغتي الأم.
في تلك الأعوام أبطأ الوقت سيره،
تعرَّت الروح: لماذا أعيش؟-
تارة سُمٌّ شديد الحلاوة، وتارة عسلٌ شديد المرارة؛
تارة في دم الخد، وتارة في دهون.
يا لغة أمي، أقف أمامك،
مخفضة رأسي،
أمامك في الدموع أصلّي لشيء واحدٍ،
سامحيني، لا تدفعيني.
أنا رفعت علَمي التركي في السهوب،
ولن أفلته من الأيدي الأمينة.
أوه، أيها المتنبئ آباي، امنح روحي القُوّة!
عزز روحي الموروثة!

أنا مجروحة في قلبي

أنا مجروحة في قلبي...
أنا مجروحة في قلبي مائة مرة،
ومائة مرة خيطتَ الجرح.
كنت أنوي العيش بدون قشعريرة وحرارة،
لكنك أذهلتني... إذا نجوت، ونهضت-
سأقول بصراحة: أنا مجروحة في قلبي،
لكن أنت- لا تصلح لي!
وأنت تقول: لا توجد أي مخاوف؟
لماذا باهتمام شديد نظرت إلي؟-
لم أستطع المقاومة، واندفعت إلى بركة الخريف،
والريح جذبت من ألحان الكواري أغاريد حزينة.
تجمد عقلي من الخطوط والطرق المتعرجة
التي مشيتها وراءك في بعض الأحيان،
وبهذا عقّت حياتي للغاية.
وماذا هناك! هي لم تكن سهلة بدونك، الله يرى.
آمالي أزهرت خصبة ومتأخرة،
حضور الروح هرب بخجل وخفية.
أنا مجروحة في قلبي مباشرة. والخريف باردٌ.
والنظرة الفاحصة ليست آخر ما قرّب بيننا.
أطاردُ خلف السراب
تحملت المصاعب كما يجب.
أقسمت ألا أحب أحداً قط...
لكني أحب!

أحياناً أكون غريبة...

في بعض الأحيان أكون غريبة...
ضحكي يقبع في أعماقي.
أسمع الهمس الكوني في لغطٍ عام،
صوتاً حزيناً يخطئ بالقوافي.
انقضى الوقت، وتوقف الزمن،
وجفَّ، ونفد دمه.
الصبر المرير في حالة سكرٍ حتى الثمالة،
والشر ابتسم بشكل مريب.
أودُّ أن أسمع الضحك العبثي
الغامر لصديقي.
صديقي وضحكه لا يمكن تمييزهما،
مع يأسي لا ينفصمان.
شقيقا قلبي.
بدا أني على وشك أن ألمس بيدي
حلمي، وكل شيء سيتحقق،
لكن الأيام تمرُّ بهزات عصبية.
ومن سيسمعني، من سيفهمني؟
أجلس في الركن الأحمر-الأخضر،
أكتب وأهمس عن أنه لم يتحقق...
وماذا في ذلك؟ اخترقت الكلمات الغلاف
وبلغت القوى العليا لوحدها،
واشتعلت؟ وانفجرت السماء؟
أهٍ، أيها البرق، ريشاتك الذهبية
تتوهج وتتألق يا سيدي!
شكراً لك على البرودة والصبر!
لا تقتل، أرجوك! أرجوك...



السُّمُّ الشديد الحلاوة يحرق الحَنَك

السُّمُّ الشديد الحلاوة يحرق الحَنَك،
نحن الاثنان نعبر آبَ.
آب يتذكر غناء الكوموز(2) ،
من صبري يقطع القلادة.
أنا محرومة من الهدوء، أنا محرومة من الحكايات
التي ينتظر آب نهايتها الجميلة.

أنت سئمت كلَّ شيء، أنا سئمتُ كلَّ شيء.
صمت همس القلوب. وصل الخريف.
آب يختار النساء، يُدوّرهن في الرقص،
يضيق البيابي، ويحولها إلى لآلئ.
آب ودود مفعمٌ بالعاطفة.
نتذكر ربيعاتنا، سعادةٌ عارمة!
في ضيق عينيك يتراقص شعاع مرير،
وتذوب لؤلؤتي، وتخفت النظرة النسائية.
لا اتصال، ولا انقطاع،
لا ننسى بعضنا، ولا نندمج في واحدٍ.
لم نُقسم نحن على حبٍّ أبدي، لم نتخلَّ عن دمعة القلب.
نحن مثل مسافرَيْن تأخرا
على السفينة، ونلوِّح إثرها في حزنٍ.
الحمد لله -شاطئنا العزيز ليس بفقيرٍ.
الحمد لله-نؤمن بأننا سنكون في المستقبل أكثر ذكاءً...
هل أنت موافق؟

(2) كوموز: آلة موسيقية وترية.

الحب الصامت

يا حبي الصامت، يا حبي من طرف واحد،
كيف تعيش بدوني، وبدون شروق؟
هل أنت مُدَلَّل القدر؟ لكن من جديد
لا تُشَمُّ من الريح إلا برودة.
لا يستطيع المكرس لهم، ولا المعانون،
أن يشاهدوا على جلدهم نصيبنا،
لكن الدمغ يشتعل، يدق بأجنحته على النافذة-
وبأغنية الموت الحزينة يندفع إلى الحرية.
أوه، إنها نظرتك بدون أمل ودفء؛
أوه، إنها نظرتي المنتظرة للرقّة والحنان!.
يا ضوئي، لم أستطع أن أحصل في الرد
على فرحٍ، وإنما على حزنٍ... وكل ما تبقى-خرافات.
غرقت على الفور في عينيك العمياوين.
خذني إلى الطريق تحت الأشعة الصافية-
سأبدأ في الرقص متخليةً عن الخجل والخوف
ومن السعادة أسكر ليالي مجنونة.
لو أنك شاهدت رقصتي المليئة باللهب،
لو أنك شاهدت، يا صديقي العزيز! ولو أن الغيرة قفزت!
لكن الشمس لم تشرق...وبالقرب أنا غير موجودة...
والهاتف صامت...وهل ينقصك حزنٌ....

أن تصبح شاعراً - نعمةٌ من الله

أن تكون شاعراً - نعمة من الله،
الأكثر صعوبة أن تكون إنساناً.
كل ما لم أحققه،
هو الآن أغلى إليّ.

في العذاب وَلدتُ القصائد،
أعامل نفسي كعدوٍ،
من قيودي هربت
من ظلام الأنهار والبِرك الحليبية.

أصعب من حياة الكلاب
حياتي. لكن قلبي العاري
ما زال يهدي
علامات نجمية.

على خلفية الأوهام
أقف وحيدةً
وسط الشعراء المحطَّمين
لست الأخيرة في الصف.

يتحملونني مثل طفل-
بعد المعاناة والإخفاقات-
القصيدة ملفوفة في قماط
تحت نحيب جنائزي ...

بلد عقل

أنا أفقد عقلي، لكني بنفسي أشعر:
أحب ضحكك المجنون بجنون!
يشتعل شعلةً تلمع في منتصف الليل،
يرتجف مع الريح ويطير
إلى النافذة المفتوحة، حارٌ وسريع،
وفي القلب يستعر اللهيب!
أنا سعيدةٌ بما يحدث، لكني أخفي-
ذلك ما كتبه القدر عليَّ.
كنت محكومة بالحب،
وفي عجزي ذنبي.
أنا ممتنة لهذه القُرعة،
بدونك تصرّف قدري بحماقة،
ونظراتك أذابت الحرية
وحددت مسبقاً نصيبي.
أنا لم أتوقع أن
تحب رجلاً من ضحكه-خطيئة حتمية.
حاكموني، إذا على ذلك يحاكمون،
وحدها أحلامي اتركوها في أمان.
سأعيش في الدنيا بلا عقلٍ-
الأمر الذي سأعترف به أمام المحكمة...

عدم إطاعة العقل

صديقي-شخصٌ
يدهش الجميع.
في بعض الأحيان هو غريبٌ،
وأحياناً عنيفٌ وغير واقعي.
لكن في الشرف والذكاء
لا منافس له.
بدون توتر، بدون خوف
لا يعيش وفقاً للأوامر.
بدون مقود وبدون أشرعةٍ
اكتشف العالم... لكن الحزن ينهشني:
ليس لدى هذا الشخص أصدقاء.
غير مرئي لكل الناس... لا يكترث.
في بعض الأحيان يقول الجواب
ويُظهر شخصيته،
لكني لا أستطيع أن أشهد
على أنه موجود، وليس كذبة.
وكاذبة الإجابة الأخرى
عن أنه غير موجود في العالم.
وإن كان غير موجود في العالم،
أكون أنا نفسي قد سقطت في الشباك،
في شباك ذلك الشخص،

ولن أُضجره.
أنا نفسي لا أعرفه،
أنا ببساطة أؤلف أغاني،
أغانٍ لشخصٍ،
ولن أُضجره!

لماذا لم تنتهِ الحكاية الخرافية؟

لماذا لم تنتهِ الحكاية الخرافية؟
من أين يأتي الألم؟ وماذا أخشى؟
ابتعدْ عن عينيّ، مثل سراب!
وبدونك سأعيش بشكل رائع!
اخرج من قلبي! أنا بدونك سأبقى متربعة مع تاجي
على العرش.
أليس عبثاً رفعتُ بإلهامي... رجلاً إلى القمة؟
أنت، أيها المصنوع من خيالٍ ووهم،
لا تجرُؤْ على الاتصال بي لاحقاً.
لا تجرُؤْ على أن تعلِّق زهرة أملٍ على صدري
عندما أنطلق في رحلة طويلة.
توقفت عن اعتبار نفسي
من العاشقين المظلومين والمحرومين،
بغيض لهم أن يلقوا بأحبائهم وأحلامهم
من علوٍّ. أجبْ بالمثل-وكل شيء على ما يرام،
لكننا في الحكايات الخرافية في معاناة.
وأنا، دون أن أدّعي النجاح،
ذبتُ في ضحك بهيج،
والآن، كما ترى، وحدها القصيدة
قادرة على أن ثير الحسرَة فِيَّ.
عندما تمتطي حصانك،
لا تلتفت إليّ.
الزمن يشفي... والسطر يثني...
سأعيش بدون بشكل رائع!



أنا اخترعتُك

أنا اخترعتك
حتى تكون الأغنية،
حتى لا أموت من الشوق
في انتظار السعادة؛
حتى في لحظة خطأ
لا يخبو ضوء الأمل.
لو أن هناك سببًا
لأن أختفي عن العيون الصاخبة.
كي يومئ لي العلو
ليتحقق حلمي-
أتحول إلى طَيْر-معجزةً
يحلِّق في السماء عالياً.
اخترعتك...
إن كنت غير محقّة،
اعذرني على الأنانية،
لم أفعل ذلك بقصد الشر.

أكبيرين يلغيزيك

(ولُد عام 1980)



- خريج كلية التاريخ بجامعة الفارابي الوطنية الكازاخية، مؤلف دواوين شعرية بعنوان «همسة الظلال» و «مصباح وراء حافة اللانهاية» وقصة «الطفولة التي لم تكن».
- حاصل على جائزة الدولة للشباب «دارين»، والجائزة الجمهورية للشباب «سيربير»، وجائزة توليجين آيبيرجينوف والجائزة العامة «ألتين كالام».
- تنشر أشعاره بانتظام على صفحات الجرائد وفي مواقع التواصل الاجتماعي.
- قام بترجمة أعمال إيفان بونين، ودميتري ميرجكوفسكي، وفارلام شالاموف، وفلاديمير فيستوسكي وجيما أبولينير إلى اللغة الكازاخية.
- في الوقت الحالي تم إصدار ونشر الكتاب المزودج لأشعار أكبيرين يلجزيك ويرلان جونيز بصيغة «Twinbook».

وحدة

على حافة الكون الكبير
أرض وحيدة.
نعيش عليها بتواضع
وعزلة، أنت وأنا.
أي عيش في هذا العالم
لوحيدٍ؟
وضع العنكبوت شباكه،
يصطاد فراشة فيها.
وحيدة هي-الجذع، الحجر،
كل ذرَّة - وحيدة،
الطائر تحت الغيوم،
الشاعر-
سيد السطور.
وحيداً يحترق
دخان السيجارة...
من الأعالي ينظر القمر-
نظرته وحيدة.
الموت والوجدان - وحيدان،
كل شيء وحيد.
والله أيضاً...
معنى الحياة شديد القسوة-
فراشة وعنكبوت.

الكوبيز ... القلب

عندما يزحف النهار إلى الغروب، وتنتصر على العقل الأحلام،
والحدائق المُعتمة عندها تعجُّ بأناس عشوائيين،
في هذا الوقت تندمج جميع أصوات العالم في تيار واحد،
ويأسر كلَّ وجداني صوت الكوبيز الجبار،
عندها يظهر لك في الدائرة شامان يغنّي،
ستغني روحك في صدرك مصدِّقةً حلاوة الخداع.
عندما ينشطر حجر الجبال المتحمس، والأنين الملهم،
ستدرك كم هو يرثى له هذا العالم، وكم هو مقيدٌ.
وعيد الوجود هذا يمتد آلاف السنين،
محيطُ عشب الريش الأشيب سيحجب النور أمامك...
وفجأة تنقلك قوة خفيَّة إلى أرض أخرى،
حيث حولك تنهدات غريبة، مثل هرير عُسَبُرةٍ(1) رهيب.
وحياتك الخالية من الهموم كالريح بكل قوتها،
ووحدها ستتبخرُ في الهواء رؤى القبور القريبة.
سيمزق وتر الكوبيز الغاضب الحجاب عن رحابة السماء،
وستنجذب الغيوم في السماء إلى قطعة الأرض.
ثم من أعماق الظلام تجتاحُ رياح جليدية،
تبدأ عناقيد النجوم تنهار تدفقاً من الهاوية الليلية.

(1) العُسَبُرَة: أنثى النمر.

هكذا تظهر في هذه الساعة طهارة روحك!
وكي لا تندم لاحقاً، أسرع للتغلغل فيها!
على الأرض ستهبط الملائكة وأرواح من رحلوا،
ستجتمع كلها هنا...
يمنحنا الكوبيز النور الأبدي!
يهبنا الخالق من السماء سحر الأصوات الغريبة!...
روحي تتناغم معها، وعزيزة عليّ هبته!
لكن عليَّ أن أكون أكثر تواضعاً، حتى لا يتمكن الشيطان
من أن يشوّه في روحي المغنّية ما وهبني الله بسخاء!
كي لا يصمت الكوبيز،
ليصدح في قلبك إلى الأبد!



الصبي العجوز

ضواحي المدينة،
رائحة نتنة،
صيف خانق.
من المجارير تطير تنهدات المشردين المحرومين.
متجنباً العراك، كل يوم يسير هنا-
صبيٌ متسول، مصابٌ في عقله منذ الولادة.
في هيئته الحزينة يذهب ليسأل الناس الطعام.
بمشقةٍ بدأ العجوز الصغير ذو الأعوام السبعة العيش.
ربيب الأرض اليتيم، ثمرة ذنب والديه،
من الإهانة تسمعُ منه تنهدات الحزن.
بالنسبة لي الفقراء هم أناس حقيقيون...
إذا ما رمى أحدٌ بسخاء له في القبعة
قرشاً نحاسياً،
يصدّق أن المرض سيبتعد عنه،
ويغني في القصب، ولا يتذكر شيئاً.
لكن على من ينادي هذا الصبي العجوز؟
يتجمد الدم في العروق، أغنيته - صرخةٌ خرقاء.
جسده ينهشه المرض،
وعيه غارق في الظلام...
لا تظهر حشود المارين غير المبالين تعاطفاً معه.
واليوم -مثل الأمس ...
رائحة نتنة وحَرٌّ جهنمي.
من المجارير آهات المشردين من الصباح وحتى الصباح.
ويعزف على قصبته، ويذرف الدموع المؤلمة،
وهي في يده، مثل مزمار، يُغَنّي، يُغَنّي...

النشوة

شعرت أن الأجنحة ترتعش على ظهري،
وحلَّقت كما لو كنت ملاكاً، كما لو كان كل شيء في المنام.
انطلقتُ وارتفعتُ
محلِّقاً في السماء،
ودموع فرح سكبتها العيون الملهمة.
« لو أنني أجد علاجاً لجرح قلبي،
لغنيت للقمر الكبير،
ولتمكنت من أن أحضن الشمس! ... »
مع هذه الفكرة ارتفعت
فوق أشد الآلام الجهنمية،
واستسلمت للابتهاج بالحرية
روحي المسكينة.
فروحي لم تر مثل هذه النعمة قط،
فما بالك إذا طارت بعيداً، لا تعرف إلى أين.
من بعيد أرى جنة عدن تتراقص سراباً،
أنجذبُ بروحي نحوها، مذهولاً بهذه المعجزة.
«أحقاً ظهرت أمامي فجأةً خمائل الجنة
التي وصفها الأنبياء؟!... سأدخلها، يا إلهي! »

أرى ظلالاً مجنحة تتغلغل في البستان الساحر، مثلي،
مصطفةً بخجلٍ متحمسةً للجوائز.
هناك تستقبل الظلالُ الأقرباءَ والعبيد،
تتحدث معهم بصمت- لا تُسمع هنا أصوات! ...
طالما أن الناس في مثل هذا الرضا، فلماذا أنا يائسٌ؟
قالت شيئاً دون تفكير أفعى مطوية!
هل كانت امرأة أم شيطاناً،
أنهكها شغف الليل، وفي عينيها سبح القمر.
اتضح أنّي جاهل، غزوت الجنة دون إذنٍ،
على ظهري ضربني ملاكٌ بسوطٍ وكأنه يقول:
اعرف الشرف!
و بلا أجنحة هبطت من جديد إلى هذا العالم، حزيناً،
ومنذ ذلك الحين أخاف بشدة نفسي بلا أجنحة.



شلل النوم
(الكوابيس)

فجأةً تمكَّنت الغربان السوداء من أن تملأ منامي،
عن شكوكي ومخاوفي تنعقُ بصوتٍ عالٍ.
بنَتْ أعشاشَها (أعرفُ، دوماً) في شعري،
وترمي في فروة رأسي الرعب الأسود لكلماتي الجريئة.
هناك، في أعماق اللاوعي، تدور دوامة
توجه العقل إلى أفق مجهول.
أتجول في منامي لأفتش في تجوالي عن
بيت أبي الذي لم يُبْنَ، وأنا فقط أحلم به.
في بيت أهلي ذاك، أرى كل الماضي في حلمي الضبابي،
كلَّ أقاربي وأصدقائي ... الذين لا يذكرونني.
في الفناء تنقر الحمائم الحبوب، محدِّقةً بالغربان.
إنها طيور أمزجتي التي عشتها منذ زمن بعيد.
كل ما في هذا البيت كما في السابق... وبطريقة جديدة الآن...
أبي مع أمي، أخي مع أختي... الباب مفتوح لي...
لا أجرؤ على دخول بيتي، يقول المنام الرهيب،
حقيبة السفر في يد المتجول انقلبت إلى كلب أسود ...
داخل الجدران تصرُّ ريح لا تهدأ.
المنطقة بأكملها تتابع القادمَ بترقبٍ.

أندفع ممسكاً بالكلب من طوقه،
أنظر في النوافذ منادياً أمي وأبي،
غير راضٍ لأنه لا أحد يعريني اهتماماً...
أبي ينظر إلي من النافذة وهو صامت...
رميت كل شيء، وأذهب مبتعداً إلى عالم اللاوجود الغامض،
كما لوكنت نفسَ الريح، لكن لست أنا على الإطلاق...
فجأة يأتي في الظلام من فناء الكنيسة أنينٌ محموم،
ومن الرعب يرتجف على الطاولة مصباحي...
أستيقظ، مُبعداً بكفي ضباب الحلم.
هل منامي هو حقيبة مظلمة؟



القطرة والحجر

الليل- ليس ليلاً، بل وقت الفجر.
الهلال يضيء في الأعالي،
القطرة تهمس للريح بشيء ما،
متسكعة على صخرة.
هل هي دمعة؟
أم شبحٌ متقلب،
أم سرابٌ مُغرٍ؟
فأنا أيضاً - كذبة، خطأٌ،
خيال شخص ما ونزوة.
والدموع في العيون الحزينة...
هي أثرٌ مشرق للحزن.
وتحت القطرة حجرٌ نائم...
أم هو ضوءٌ سقط من السماء!
الشعر يفوح صبغةً...
هذا مهزلة، ظلام فارغ.
والدمعة -بوزن الحجر،
الدمعة-الحجر ثقيلة.
الليل- ليس ليلاً، بل وقت الفجر.
الليل-ضرب الأوردة الخفية.

أنا -لست صورة إنسان،
هكذا، قبر القوى الخفية.
وعندما تموت التنهدات،
سيأتي عالمٌ هائجٌ،
مثل حجرٍ، سينهض،
ويمزق الحجاب عن نفسه.
الليل- ليس ليلاً، بل وقت الفجر.
أسمع صوتاً منسياً،
أنادي الصورة العزيزة،
المخفية في قطرة حجرية.



المدينة خريفاً

من نافذتي تُرى حربٌ شرسة من أجل الحياة،
ما هو معنى الوجود، من يستطيع أن يقول لي؟
يجب أن تنهض على الأربع وتصرخ،
وتصبح وحشاً.
حتى تلمع العينان الخضراوان!
من خلال نافذتي يُرى دوماً شارع مكتظٌ بالناس،
وثلاثة أنوار
تضيء الأفق.
ولكي أؤلف بيت شعرٍ، أحتاج لأن أشرب-وسأشرب،
مستشعراً حزناً كبيراً.
من خلال نافذتي يُسمع دوماً هدير المحركات،
صاخبة،
تنفثُ في الهواء غازاً أزرقاً...
وكي لا يتحسروا على الماضي، يذكر الجميع الأسفلت الملتهب،
غالباً ما تكون الكلمات لنا غير دقيقة.
على النافذة من جديد يدقُّ مطرٌ مشرَّدٌ، ويضاعف كذبه،
والكعوب تطرق على الرصيف ...
لو أن الخريف يتمكن من أن يؤلف قصيدة،
لأصبح ضباب الحياة للحظة مشرقاً أمامي!...
من خلال نافذتي يُرى دوماً عمق الكون الأسود...
سأكون سعيداً لو أبصق على أموالهم! ...
وإذا ما نظر أحدٌ في وضح النهار إليّ باحتقار،
فإني أرى نظرة الوحش الخضراء.

ضباب

من حزني وألمي مولودٌ
ضباب السهوب، السميك والثقيل كحلم.
فيه يتجول ملاك، والليل لا يملك سلطةً عليه،
هو بنور الجنة مضاءٌ حتى قدميه.
هل لدي ما يكفي من الصبر الدءوب؟
تتموج ساعتي ضوء الوقت في الظلام.
أسمع في الظلام الدامس بكاء طفل
مولود لتوه من عشب الشيح.
مُقَدِّماً نفسه برعم مسك عطري لم يتفتح بعد، بكي.
بعد أن أصبح ضحية لفكر غير مُطهَّر من الكذب،
العقل المقتول منكبٌّ ساجداً هنا.
مكر الكذب! انظر إلى ذلك، لا قوة!
كما لو أنه ريحٌ تجمدت في الطريق،
يخيمُ على السهول ضبابٌ بثقلٍ أبيض.
وبشكلٍ مبهم تُرى فيه المنازل المألوفة-
يا أرضي المهجورة، يا قريتي الكازاخية...
كما لو أن الابن الضال قد تمسك بوطنه من جديد...
شعاع الشمس يسقط على شعري.
الضباب الأعمى وأنا ...نحن وحيدان تماماً هنا.
ومع ذلك، لم أتمكن من أن أتحدث عن نفسي:
من المستحيل التمييز بيني وبين الضباب...

كلمات متقاطعة

لمس فكري أسرار الوجود،
وتمكن من أن يبدد الظلام حوله.
ولكن من في العالم لديه القدرة على أن يفهم حزني؟
مع الألم يتنهد أحدٌ ما في قلبي.
بقلبي سمعت أنا صوت الكون،
وملأ الرعد السماء الفارغة.
تذكرت أمي،
مليئاً بشعور الذنب الشرير،
صرختُ بحيث أصبحت النجوم في السماء مرتبكة.
حاولت أن أرمي قناعي، وأصبح نفسي،
لكني شعرت بالاشمئزاز من صورتي القديمة!
شاهدتُ الهاوية، مستمتعاً بالفراغ...
فيها لا يمكن الاستناد على شيء.
من أين جاءت فكرتي؟ من وهبني إياها؟
أين تجد كلمتي الصادقة معناها؟
أرتفع إلى السماء، بين أنوار الليل،
ولم أفهم في هذه الحياة شيئاً.
أحدٌ ما في السماء يريد كشفها،
الكلمات المتقاطعة المتشابكة لوعيي...



في ليلة 1 حزيران

طيور سوداء – قطرات سوداء،
تسجد.
أناس مملون، عيون بدون رموش،
آهات المستشفيات.

غبار ساحة المعركة، خيول ميتة،
أرواح الحرب.
يا لها من صورة، من يغمغم،
يا إلهي، اهدأ!

تنهد يطير، ألاحظه
بعين الروح
برعشة يهتز ويختفي
قوس قزح الظلام.

بماذا تهدّئ؟
بموسيقى الضوء؟ بغاما الظلال؟
بظل القمر؟
في سطور العهود، أحدٌ ما إلى الأبد
يسحق الأحلام.

انتهى! إنه الصيف. الرياح مع التحية
تهمس: «نَمْ ...»
الصدى يبتعد، ببطء في لون
وروائح الربيع ...

التصوف اللاسلكي

أصوات الشظايا تطلقها حنجرة
شخص ما، مع بزوغ الفجر
في غرفة صغيرة كلمة-مذبح
الليل يرتدي حجابًا.

صوت شعبي
فجوة هواء؟
المطر يمتص الدماغ و
بسؤال هادئ الباب مفتوح على مصراعيه -
صدى القرنفل.

يندفع من مكان ظل موسيقى،
نوتا عالم غريب.
تسقط حطاماً حاداً المؤامرات
صرخة قيثارة ساحرة.

... صورة جلوسي، ها هو أنا، كما يقولون،
أصوات ملاعب رماية سحيقة.
مرة أخرى بكلمات الإله المألوف لنا
يهمس بهدوء من الهواء! ...



المرثاة الليلية

في غرفة هادئة الليلُ يمزق الحجاب.
لم نولَدْ بعد بسوناتة.
أفكارنا مثل الخريف على الضفة الأخرى
وترقص على نعش شاعر ...

لقد ولُدنا بالكاد تحت الألم الأبدي،
ربما سأل اللّه آخرون ...
هذه الغرفة هي سهل العناقات الهادئة،
لأننا نبكي تماماً كالأحياء؟

أنت وأنا تقريباً لم نتقابل أبداً
في ظلال غير مفهومة من الحزن؟
هذه الغرفة عبارة عن فقاعة قاتمة لريشة،
فقط تحت حنان الأوتار نعربد ...

يمكن لشمعة المشمع أن تمر،
مثل ظل وتختفي مخاطرةً.
إذا لم تجدنا في هذه الضواحي
لماذا نحزن نحن بكل هذه المرارة...

بظلٍّ أسْوَد ...

بظلٍّ أسْودَ قابع على ورقة،
بضوء أبيض أستيقظ في الصباح الباكر.
ربما سأصبح في وقت ما ساحراً،
لكنني سأبقى ساذجاً وغبياً.

الأفق مشتعل في الشرق
أتعلم وأنسى عن الألم.
سوف يلمسني الليل بتيار لطيف،
والروح ستنتحب بالتأكيد!

حجراً رمادياً سأجلس على الطريق،
أستبدل ضعفي بصلابة.
مونولوجاً غريباً غير مفهوم،
سَمعك مراراً وتكراراً أقبِّله ...

شرفة. أقف، أدخن، أبكي...

شرفة.
أقف، أدخن، أبكي...
أحدٌ ما يهمس لي «اكتب»:
«مثل اليوم، أنا لا أعني شيئاً
أنا مجرد ظل روح كبيرة ... «.

والليل بعيون ضخمة،
يرى كل شيء، يرى ...
لا تتنفس!
بمثل هذه الدموع النجمية،
وحدهم الأطفال يجيدون ...

وأنا طفل أيضاً. أبي في مكان ما ...
إنه قريب رغم ذلك. هو وحيد.
قل لي من أنا؟ لا جواب،
قل لي من أنت، أيها الدخان الأسود؟

وحياتي أمامه مثل الطفولة،
وأنا طفل رائع.
وسأضطر في وقت ما
لأن أعود إلى السماء، إلى مسقط رأسي!



نازيرا بيردالي

(ولُدت عام 1980)



- شاعرة كازاخية واسمها المستعار نظيرة بيردالي.
- ولُدت في الخامس من يوليو 1980 في قرية ساريكيمير بإقليم جامبول في كازاخستان.
- أنهت دراستها الثانوية بمدرسة كيكبايف عام 1977 وتخرجت في جامعة الفارابي عام 2001.
- نشرت قصائدها في الجريدة المحلية بإقليم طراز «أك جول – الطريق الأبيض» وفي الصحافة الحكومية وعدد من المجموعات الشعرية.
- قامت بتأليف بعض الكتب: «الليلة الممطرة» 2001، «القلب المحب» 2009، «جميلة الكون» عام 2014.
- حصلت عام 2004 على جائزة آيبرجينوف الأدبية.
- حصلت على زمالة رئيس جمهورية كازاخستان في مجال الأدب عام 2014.

سؤال: «أين أنتِ؟»

«أين أنتِ؟»- سؤالٌ واحدٌ أسمعه كل يوم،
وفي الواقع، أين أمضي الوقت؟

دائماً مع الابتسامة أسير في العالم،
أجد نفسي من جديد في كل يوم.

من يحتاج لي والدموع في عينيّ؟
لا ينبغي أن تعذّب الناس بمشاكلك.

وإذا تعثرت فجأة على طريق الحياة،
أجد القوة لأن أقف وأسير من جديد.

وإن لم يكن هناك قوة لأن أنهض- سأحلّقُ طائراً فوق الأرض...
وأعثر على الفرص لأن أعيش وأكونَ نفسي.

لا تكشف للناس نقاط ضعفك،
أحزانك عميقاً في نفسك خبئها.

أوساخ الإساءة من نفسك بلا رحمة امسحها،
وإلى الأعلى نحو حلمك الأبدي حلِّق.

وإذا ما آلمك جسدك وروحك،
لا تدعي أخاك وزوجك يعرفان بذلك.

ليس الشعور بالوحدة، بل وحده قانون القدر،
مكتوبٌ للإنسان إلى الأبد.

والحياة مع مصائبها بالنسبة لي ليست فظيعة،
فقوتي في أشعاري كامنة.

لم أعتقد أنني سأضيع في هذه الحياة الفانية،
أنا معكم هنا،
لكن فقط... في كوني الخاص.



ذلك هو قلبي!

إذا ألقى الصباحُ على الليلِ شالهُ الأبيض الثلجي،
إذا أيقظتك الطيور الهامسة، وأهدت إليك السعادة،
وإذا طلَّت الشمس البيضاء مع ابتسامتها في نافذتك،
مضيئةً بلونها المتوهج الشرقَ المحترق-
ذلك هو قلبي.

إذا قبَّلت الريحُ خيوطك ممازحةً،
إذا بدأ المطر الغزير فجأةً يحطِّم بعنف سقفك،
وثملاً بشروقِ السماء، يزين المطرُ
بالزهور الفتية سطح الصحراء الهامد -
ذلك هو قلبي.

إذا سقت الأمطار بالربيعِ رحابةَ الوديان،
إذا بدأ الجندب في الصيفِ يصدحُ بأغانيهِ في الحقول،
إذا زارتك في يوم رأس السنة، حاملةً تمنيات السعادة،
وحلَّقت كرات الثلجِ بهدوء على فروع شجرة التنوب،-
ذلك هو قلبي.

إذا الصفصافة الحزينة، على أبواب الشتاء البارد،
نشرت في الأرض مشاعري المخفيَّة،
وتسقط على الأرض ورقة من شوق ميؤوس منه،
أُصلّي أن ترفعَ هذه الورقة وتأخذَها للذكرى-
ذلك هو قلبي.

المطر

أيها المطر المحبوب!
هل هذا حقاً أنت؟
وصلتَ في الصباح ضيفاً مرحَّباً به!
جلبتَ ربيعاً وأحلاماً جديدة،
وحزناً جديداً جلبت معك!...

أغنيةً حزينةً يدق المطرُ على نافذتي،
أسكبُ الدموعَ، شكوكٌ في قلبي،
أتذكرُ أياماً عشتها منذ زمن،
هذه الدموع تحيةٌ لأيام الطفولة البعيدة.

أه، لماذا أيقظت الحزنَ فيَّ؟
لماذا أنت طورت حزني؟
اضطربَ قلبي، وتدفقت أبياتي...
المشاعر الحزينة تعبت من الصمت،
من أعماق قلبي ارتفعت موجاً.

هذه الغيوم التي كانت معلَّقةً فوقي،
جلبها معه الربيع القادم،
قطرات رطوبة، نهار ربيعيٌ، مطرٌ ليليٌّ،
بكَ كنتُ دائماً مُغرَمةً بقلبي!...

ها هو الخريف...

ها قد جاء الخريف الحزين، وأصبحت أوراق الشجر ذهباً،
مرة أخرى أعمال، مرة أخرى شاشة، مرة أخرى - كلمات، كلمات، كلمات...

مرة أخرى أملٌ، مرة أخرى ضحكٌ...
لأجلكم، لأجل الجميع منذ الصباح أصلّي،
قلبي يطير، مثل ورقة شجر، يطير ويسقط في الوحل...

وأولئك الذين داسوا عليها، تمنّوا لي السعادة مرات عديدة...
ربما ينتظرني في اليوم التالي ينتظرني درس قدرٍ جديد؟

أغنيةً حرَّةً كنت أنا،
وأنتِ سحرتني،
يا مدينة الخريف.
لا تتألَّقي، فأنتِ تخدعين الحياة!

العالم كلّه بالنسبة لي اليوم- مثل علبةٍ مليئة بأعواد الثقاب،
وأنا على مفترق الطرق أقف أمام تسعة طرقٍ كبيرة.

انطفأت الشمس فوقي،
ملقيةً حفنةً من أشعة الوداع.
للخريف
ولها
أنا مجرّد ضيف،
مجرّد ضيفٍ...

الربيع

جاء الربيع ، لكنني لم أستطع الغناء ، كما كنت دائماً أغني
في الأيام الخوالي ...
خرجت إلى الوادي ولم أر فيه أثراً للطيور،
لكن أين هي؟

ملأت زهرة الثلج روحي بشعور الشباب، أعطتني القوة
لأواصل العيش.
لكن القلب رطب ومظلم، لا يدفأ،
وماذا أفعل...

وحتى وإن لم تكن هناك نوارس على النهر لعدة أيام -
انتظرتها.
وها هو الربيع جاء من جديد، أريد ذلك أم لا،
جاء الربيع.

على المدينة خيّم الليل، ومرة أخرى النجوم فوقي
تكذبُ بشكل جميل.
خرجت إلى الشرفة ليلاً،
قطفت زنبقةً جميلة:

«أيها الربيع ، أنت هنا!»

لكنني لا أسقط بقلبي في نبض الحياة الليلية،
الليل بارد.
أُخرجُ قرصي المفضل، حيث تغني طيور الربيع -
واحداً، واحداً.

ولا تسمع الأشعار في روحي، على الرغم من أن الوقت قد حان لي بالفعل
لأن أجد الهدوء.
كنتُ حزينةً لأيام عديدة، كنتُ مشتاقةً للربيع،
لكن ... لربيع آخر.

في الطريق

بين العِلم والحُلم
لا أستطيع أن أشرب وآكل.
مثل بندولٍ
ليلاً ونهاراً يدقُّ على دماغي.
لا يوجد ثمة شيء آخر،
مثل عدّ الأعمدة على الطريق.
أتابع بنظري القطار،
قريباً سيطير واحدٌ آخر.
أيتها الأعوام، أيتها الأعوام، هل حقاً
سيبلعك ضباب الذاكرة؟
هنا، عند هذا المنعطف،
كنتُ ذات مرة...
لقد طرتِ مثل دخان،
لا ترجعين.
حولي- سهوب، منازلُ، بساتين...
أيضاً تطير إلى الماضي.
الناس-الظلال خارج النافذة
بلحظةٍ يطيرون بعيداً.
أتذكر الماضي،
يمرُّ الليل في نعاس.
السفر في قطاري،
ما زالت النهاية بعيدةً.
من هناك خارج النافذة
لوَّح لي بيده مودعاً؟
دون أن أعرف، نظرتُ:
معها ترعرعنا سويةً.

بلحظةٍ خانتني
صديقة أيام الشباب تلك؟
وهذا رفيق سفرٍ في الليل
أرى نظرته من الظلمة.
لا تنبش الماضي،
هو مَنْ أهداني زهوراً!
ظلُّ غاليتي- أمي،
عندما كنت في السابعةَ عشرة
ودَّعتني.
الأعوام في الذاكرة تذوب
انعكاساً في العمق:
أمي، أبي، وأنا معهما،
سويةً، كما لو كنا في المنام.
أمي تصبُّ الشاي،
أبي يقول شيئاً...
من أجل مثل هذه الذكرى،
أوه، يا إلهي،
أيها القادر على كل شيء،
ربما جديرٌ
أن نعيش في سلام؟!

يومٌ آخَرُ ...

يوم آخر ...
يوم آخر عشته،
على نافذتي يدق الليل، نهاية طريقي.
في صمت منعزل أقفُ وحيدة،
على مسرح الحياة، أمام الجمهور، على الطرف.
فنانون نحن!
مغنون، ممثلون، شعراء....
بتمثيلنا نحن أذكى من الجميع، لا شك في ذلك.
بتمثيلنا نحن دوماً أذكياء،
بتمثيلنا نحن أجمل من الجميع،
بتمثيلنا نحن أقرباء في هذه الدنيا...
الشقة الكبيرة أسميناها «الأرض»،
تلك الشقة استأجرناها كي نعيش حياتنا،
على الطاولة آنيةٌ وزهور...
إذا شعرتَ بالوحدة والحزن-
اطرقْ على نافذة جارك بهدوء!
قاعتي بلا جمهور، وأنا شعرت بالفراغ.
ها هو النور ينطفئ، أزلتُ الماكياج، وأقفُ في الظلام...
عبارات الوداع، وفي اليوم التالي ظلام.
يأتي النهار، لكن الليل ينتصر من جديد.
كما لو أنني مدفونة بالفعل في القبر.
اعذروني، من الآن فصاعداً لن أستطيع لعب دوري،
اعذروني، لقد أنهكتني الحياة قبل أواني!



القلب ينبض
بسعادة أكبر...

القلبُ ينبضُ بسعادةٍ أكبر، ونظرتي مليئة بالسعادة،
ارتدت السهوب أجمل حللها.
تبتسم مرحِّبةً، وكأنها تقول:
«تعالي إلى أحضاني يا ابنتي!»
السلاسل الجبلية تدخلُ في السماء المظلمة،
في الوديان أزهرت في الصباح أزهارًا زاهية،
أصبحت السهوب رائعةً، بحيث تعمي البصر،
السحب ترسم نقشها الناعم في السماء،
تلمعُ بيضاء كالثلج في الأفق الأزرق،
مثل أختي الصغرى - أحبها شقيَّةً!
والشمس تُقبِّلني بلطف مثل الأم.
ومع الحب تندفع الرياح مُعانِقةً بفرح.
من بعيد يلوّح بحماسٍ، ويعذبني
أفقٌ بعيد المنال، يومئ لي من بعيد.
ها هي جبالي الأم، والبحيرة والبستان،
أواصل صعودي أعلى وأعلى، لا أنظر إلى الوراء.
يا سهوبي العزيزة، ولِدتُ أنا من أمطارك!
وذبتُ رؤيةً في الأفق الأزرق...



الليلة السوداء

من يشبه سواد الليل؟
أرملةً شابةً،
في نظرتها حنينٌ،
لا شيء أكثر.
الضوء البعيد في ظلام الليل
يومئ للفراشة
تتدفقُ من عَيْنَي الأرملة
أحلام أفضلَ الأيام،
هل الفراشة مذنبة في أن
الحياة قاسية تجاهها؟
القلب-الفراشة...

ربما هذا ما كان لقرون:
لدي البعض مصيرٌ يحسدون عليه،
ولُدى آخرين- مريرٌ...
ما هو غير مفهوم للغة،
لن يسمعه الليل...
عندما تخبو النار في القلب،
لا مساعدة...
من الحزن تبكي الأرملة،
لا فرحَ لديها.
القلبُ فراشة عمياء،
القلب يحتاج إلى ضوء.

الفستان الأحمر

الفستان الأحمر لم ألسبه اليوم.
لكني سألبسه- لِمَنْ لن أجذبه؟
أنا مثل زهرة، ومنْ يمتلك الشجاعة،
منْ سيلمس تلك الزهرة بيده؟

لهدفٍ خفيّ...
أو ببساطة هكذا، بطيشٍ...
سببتُ للجميع الدوار.
كل من حسدني في السابق بجنون،
بفستاني الأحمر سحرته الآن!

إلى قمم العالم صعدت الآن،
قبَّلت الشمس الحمراء في عينيها!
باللون الأحمر نافست الأجرام السماوية!
... وخمدت الشمس، والليل في الروح آن أوانه...

سألبس الآن الفستان الأسود.
بحيث لا يلاحظني الناس ثانيةً،
سأكون في الصمت والعتمة-
كم من الأفكار، كم من الحسرات، كم من الأحزان...

الفستان الأسود ...
في الأشعار- حنينٌ وعذاب،
وفي الروح-برودة مميتة، كما في القبر.
أيها الفستان الأسود، سأخلعك بسرعة!
بمقدوري أن أنتظر صباحاً آخَر!
لكن الصباح لن يكون أحمر، بل أبيضَ كالثلج...
سأحرق الماضي بنار حمراء،
سأطفئه بمطر حنين لا حدود له،
لن عيش الآن الماضي، بل الحاضر!

أنا نفسي أتحكم بمصيري،
اليوم سأخرج إلى الناس في فستان أبيض!
... الإنسان يطهِّرُ بروحه حياته كلها،
ألا يصبح أفضل وأكثر حرية؟



الخريف

نهار خريفي.

مطارٌ.

قلبي ينتظر بقلقٍ.

ماذا سأفعل إن لم تهبط الآن طائرتك؟

لماذا نلتقي أنا وأنت؟

ينتظرنا فراقٌ وحزنٌ،

وطائرةٌ ستحملك من جديد إلى بُعدٍ مجهول!...

خريف قلقٌ.

لا معنى ليوم بائسٍ شديد الرطوبة.

ها أنت تخرج - اختفي الحزن، وابتسمت السعادة لي...

لماذا أسمع نداء الشمس الذي يدوي في دمك؟

فأنت حقاً ستطير مغادراً، ولا معنى لحبي...

وإن كنت تملك منزلاً في الجانب الغريب البعيد،

وإن كنت تعلم أنك سترحل، ولكن تكذب عليَّ بشكل حلو،

وتجبرني على أن أعرف أنه ليس في العالم ثمة سعادة أخرى...

وبدونك ستمر الأعوام، وتختفي في الماضي ساعة اللقاء.

ربما دفئتُ في أحضانك للمرة الأخيرة،

دمعة عابرة صغيرة، نسيتها أنت منذ زمن،

لمعت في عينيك...

لو أن كل شيء يصبح مختلفاً.

دائماً على انفرادٍ مع نفسي...

دائماً على انفرادٍ مع نفسي،
سأخدع الحشد...
لماذا جئتَ إلى قدري مسبباً لي الحزن!
لا أستطيع أن أحبك، على الرغم من أنك تسير في القرب،
ولا أستطيع أن أكرهك، وتلك هي خدعة حياتي.
محكوم علي أن أتعذب لأنني تمكنت من أن أشعر،
ولكن لماذا يجب أن ألوم نفسي وحدها؟
لكي أتجاوز مصيبتي، وأصبح حرَّة من جديد،
سأرمي الماضي...
وأنت ابقَ هنا لتعيش!
على أنك حوّلت بعدم حبك سعادتي إلى مأساة،
ودستُ على عاطفتي في الرمال، أسامحك!
بينما كنتُ أنتظر باستسلام الدفء القادم،
انتظرت أن يأتي نهار جديد، ويتراجع الظلام متلاشياً،
من كان يعلم أن مصيري سيتحول في لحظة إلى ليل؟.
لأنك بقيت هناك، ولأنك خنتَ أحلامنا،
سأنساك!
أوه، يا للمصيبة، يا للمصيبة...
تعبت من انتظارك إلى الأبد!
لن أتحول إلى نسيم لكي ألاطفك،
لن أصطاد شبحك الذي تحول لي إلى أمل.
من أجل بلوغ سعادة جديدة، سأنجو في اليوم القادم!
ستناديني باكياً هنا، على هذا الشاطئ،
ستناديني، أنا التي حين وجدتَها، تمكنتَ من أن تفقدها.

من السماء الخريفُ يتدفق...

من السماء الخريف يتدفق-
لا يمكنني إمساكك.
من السماء يتسلل الليل إلى الأرض،
كي أتعذب أكثر.
على كل حال لن تصبح لي
سأكون غيورة عليك أكثر بمائة مرة.
لو كانت في يدي بندقية،
لارتجفت يدي.
كنت لأقبِّلك،
لو أني صادفتك في الطريق مرة أخرى؟
على كل حال لن تصبح لي
سأُطلِقُكَ... طر!
من جديد أسمعُ أغنيتك...
لا، إنها موسيقى المطر.
يا إلهي، هل أنا مريضة اليوم،
أم إن هناك مصيبة أخرى؟
بِرَغْمِ أني انخفضتُ اليوم من السماء كثيراً،
لكني منحتك حريَّة لا حدود لها.

شك

إبريق شاي أبيض تسخنه شعلة زرقاء ضعيفة،
لم يفهم أحد هنا في المنطقة أغنية روحي.
مطبخ. مصباح يضيء ضوءًا خافتاً.
ليلٌ. الساعة الثانية عشرة والنصف. نحن الاثنان.
لماذا، من يجيب، أشعر بالوحدة معك؟
على زجاج النافذة يرسم الحزن صورة بطاقة غريبة،
في المزهرية قرنفلة نائمة: انتهى يوم الثامن من آذار.
غير متغيرة، تنام في الربيع،
في الصيف، في الخريف، في الشتاء،
غير متغيرة في الصباح،
وفي النهار، وفي المساء، وفي الليل-
تنام المدينة- المدينة الميتة.
لا يهمها حَرٌّ ولا بَرْدٌ!
تنام على الطاولة القرنفلة.
من السماء يتدفق الحزن وهجاً.
عليك وعلى القرنفلة لدي عتبٌ،
أنا، مثل بحيرة، أضطرب، حافظة السر في أعماقي...
ربما أختفي مع أشعة الشمس في يوم ربيعي؟
مثل الربيع، الحياة تجري بسرعة، أعلم ذلك منذ زمن.
لذلك نحن وحيدون، نفورون، غير مبالين.
كيف سنعيش الحياة سوية، نحن الاثنان، ونعرف السعادة؟

باويرجان كاراغيزولي

(ولُد عام 1982)



- مؤلف للعديد من الدواوين الشعرية منها: «خريف الحجر الغامض»، «كتاب القلب»، و»نفس الأرض».
- بدأ سيرته المهنية عندما عمل محررًا بالجريدة الجمهورية «صوت ألاش» في الفترة 2003 – 2004، ثم أصبح رئيسًا لفريق المراسلين بمجلة «أستانا» خلال الفترة 2005 – 2008 ثم أصبح الأمين التنفيذي للمجلة ثم نائبًا لرئيس التحرير.
- أصبح في وقت لاحق نائبًا لرئيس تحرير مجلة «مملكة الكتب» التابعة للمكتبة الوطنية الأكاديمية الكازاخية خلال الفترة 2008 – 2011 حتى أصبح مديرًا لمؤسسة «النظام المعلوماتي المكتبي» بمدينة كوكشيتو في الفترة 2011 – 2013.

- في السنوات الأخيرة، أصبح رئيسًا لـ «البوابة الأدبية» في كازكونتنت، ثم رئيسًا لتحرير بوابة «الثقافة»، ثم مديرًا لفرع اتحاد كتاب كازاخستان في أستانا وسكرتيرًا لمجلس شباب الكتاب والشعراء التابع لوزارة الثقافة والرياضة بجمهورية كازاخستان.
- تم تعيينه مستشارًا لوزير الثقافة والرياضة بكازاخستان.
- حصل مرتين على جائزة المهرجان الدولي للشباب المبدع «الإلهام» عامي 2006، 2008.
- حصل على الجائزة الشعرية بالمسابقة الشعرية «أستانا المشهورة عالميًا» عام 2010.
- حصل على جائزة المهرجان الجمهوري الأول للفنون الذي عقد عشية الاحتفال بالذكرى العشرين لاستقلال جمهورية كازاخستان.
- حاز على الجائزة الكبرى في المسابقة الشعرية «حبي لك يا أبى» عام 2011.
- حصل على جائزة «الموهبة الشابة» عام 2012 من العرض الذي أقيم بمدينة أقمولا.
- فاز في العرض الأدبي المكرس للذكرى الـ 150 لميلاد الشاعر والعازف إيمان جوسوبا.
- حاز على منحة الدولة لجمهورية كازاخستان عام 2014.
- حصل على ميدالية «الوطني» عام 2011 تقديرا لإسهاماته في تطوير مدينة أستانا.

الوقت غير موجود

الوقت غير موجود. انظروا بشكل أوسع:
أنا غير موجود في هذا العالم، وأنتم غير موجودين أيضاً،
لا وقتَ لدينا للتفكير.
أعترف بصدق: أسمع كيف تئنُّ الأرض-
ربما الأمر لكم مثير للاهتمام،
ربما لا يعنيكم هذا.
عندما نعدُّ الأيام المقبلة خفيةً،
نسأل أنفسنا: ليس عبثاً غضب الله؟
قد يقول كل واحد منا:
«كل شيء يبدو على ما يرام، أنا بصحة جيدة...»
والفحش؟
ووضع الشروط على الخالق؟
في هذا الجدال لا أجلسُ أنا مكتوف اليدين،
مخترعاً لنفسي مصيبة، جاذباً عذاب الله، مستعيداً الحزن.
أصرخُ «انطلاق!»
لكن يلفني الاكتئاب - الوحش اللعين!
في رحم التفكير أفكر حول الفكرة،
والاجابات معلقة في السماء.
تدور الفكرة في مدارها،
تتوهج مثل نجم، تهمس: «لا تتسرع،
وإلا سأغادر إلى الأبد».

أعرفُ أمام مَنْ تنحني، تتغير، تلوح،
تتظاهر بأنها نجمٌ هاوٍ، تتوحد،
مخترقة سماكة النجوم المنيعة.
وتضيءُ الأعالي!
ذلك هو أيضاً الفكرة اللامعة.
ابعد أيها الخمول البغيض! لا تسمم روحي.
فِيَّ فضاءٌ. نجمٌ هاوٍ في دمي!
صوتٌ من أعلى: «ماذا تنتظر؟ لقد حان الوقت لأن ترى...
في القطرة المنذرة بمطر الخريف،
ترى وجه القدر».
... أجل، أنا متباينٌ، أحمقُ، خمولٌ،
لكني غَيْرُ مُجَرَّدٍ من الخجل.
أُقنعُ نفسي: «انظر إلى الأعلى
من خلال المطر: ما الذي يُضنيكَ من الداخل،
ما الذي يلتهمك؟»...
الفضاء سيرسل إليك فكرةً،
الفضاء سيساعدك!

نَظْرَةُ شَكّ

إذا نظرتَ نظرةَ شكٍّ ...
أنا ذاهبٌ، أبتعدُ عنك أيها القادم!
نحوك أندفع،
وقد دعوتني
لزيارة مفاجئة.
مثل عاشق، أرى في المستقبل ملامحَ عزيزة؛
متألّقاً يغني الحنين في داخلي ناقوساً داوياً،
إذا ابتسم لي الحظ–في تلك اللحظة
سيبتسم لي أيضاً وجه العدل،
حيث يصدح صوت الرحمة، حيث تزدهر المحبة،
يذوب في الساعة الربيعية جليد الحسد البارد.
أغتسلُ بماءٍ حيّ،
أدفنُ تحت الهاوية الحزنَ مع المصيبة
وأصرخ: «أيها القادم، كم أنت رائعٌ!
أحبّكَ بشغف!»
كتبتُ في سلسلة نوتات الرموش الساهرة
أغنيةَ حبٍ بلا حدود،
أغنيةً مع حسرةٍ على الكون،
أغنيةً عن موعدٍ قريبٍ مع القادم!

سيرداريا

هذا الاسم تركه داريوس(1) في الأساطير،
وقدَّس شعبي هذه الجنة.
لا تتزعزع في موطني الخصب
قوة شريان الحياة.
فيه تحوم أروح الأجداد مع أحلام الأطفال،
وبأغنية كوركيت(2) المثيرة تَشفَى الجراح.
سيرداريا في بعض الأحيان مِثْلُ لَعُوبٍ ،
يُسمَع بكاؤها في منتصف الليل،
وتارةً يكون عنيفاً، جبارًا كرجلٍ قويّ حقيقي،
تارةً يحاول مقاومة الموت الصارخ،
وتارةً يتدفق ببطء ويصبُّ
في اليابسة السماوية.
عبر شرياني بصمتٍ تطوف الحقب،
لا تُسمع إلا تنهدات البشرية المريرة،
وبمشيئة الخالق، كما قال المؤرخون،
نجوم القدر تذرف فوقه دموعاً دموية.
ألم تقبلوا بعد، يا كاذبي الغرور؟

(1) داريوس: الملك الأخميني الثالث، حكم في الفترة 521 - 486 ق.م.

(2) كوركيت: ملحن وموسيقي أسطوري ومخترع آلة كوبيز الموسيقية.

رأس منْ ولماذا أغرقتها الملكة تومريس(3) في الدم؟
من أجل الشرف
الذي صقله البرق!»-
قال سيرداريا - بشيرنا:
فِيَّ تَغلِي كبرياء آلاش(4) الموروثة،
ويهدر حزني،
وتتدفق مرارتي وتصب في بحر آرال.
سيرداريا لا يوبخني ولا يلقي باللوم عليّ،
راكباً الموج،
يواصل بمياهه الحية الاندفاع في مجراه نحو الأسفل،
كي يتعامل مع المصيبة العامة،
حتى لا يموت من الحزن
بحر آرال.



(3) تومريس: ملكة الساكا (القرن السادس قبل الميلاد).

(4) آلاش: كازاخ.

حوار مع مؤلف

– أنت، مثل كل العقول السليمة،
كما قلت: «كل شيء رماد، سنرحل نحن أيضاً»،
تلوّح بيديك مسرعاً إلى عالم أفضل.
وأنا أقول: «أنت تكذب! أنت لنْ تموت».

– أنا نفسي للشجاعة أصرخ: «... لا، لن أموت كلّي!»
الموت ليس رحلة إلى المجهول مع اختفاءٍ أبدي.

– لكن ماذا تقول في النهاية عن النعمة الهشة
مع ابتسامة مزيفة مرسومة على الوجه؟
كلي آذان صاغية في انتظار الإجابة.
نمضي جميعنا في رحلتنا الأخيرة،
نغادر بشكل لائق، ولكن على الإطلاق
ليس إلى التراب!

–سأقع في النهاية، في عوالم رهيبة،
حيث لا يطرحُ أي فيلسوف أسئلة.

–أنت من جديد– عن الخلود واللانهاية...
مكركَ ولامبالاتك
لا ينسجمان

مع الأعمى الذي تصوره.

ماذا تقول:

« أنت حقاً لا ترى ؟ »...

ملاحظة: للحقيقة أشير:

السعادة تتجه نحو الشخص الذي في طريقه

يريد أن يجد الحقيقة ليس بالمساومة والمال.

انظر إلى الساعة:

العقارب تدور إلى الوراء،

والوقت يتحرك إلى الزوال!



الأرض

أيتها الأرض، أخشى حزناً مزيفاً،
ومعارك جائرة،
وليالي بلا صلاة،
وكلمات بلا عيون،
ودموعاً بلا خطيئة
في عيون آثمة،
حيث يقبع
ظلامٌ خطير،
وعدد ملعون،
وشخص غير نادم.
فكر الخالق ينحدر من السماء.
اهتمامه
لم يختفِ؟
بعد أن أصبحنا أبناء الأرض -
ظلمات لا حصر لها -
هل نحن أيتامٌ،
أم قديسون،
أم رائعون.
كذلك بالفعل: نحن ثمرة صبرٍ
نما إلى الانتقام!
الله قاضينا. مُنحنا
مصيرًا دنيويًّا واحدًا للجميع:
بقوس قزح مطر تلمع
وتغفو.
الأرض ...

أنـــا

هو رحل. لكنه لم يمت.
ملاحظة

النفَسُ المقدس للقرآن
ينطلق من الكعبة. وبإلهامه
يشعر الفقير:
يراه المكفوف،
ويقرأه الأبكم،
ويسمعه الأصم،
ويختفي غرور الغرور.
النفَس المقدس... هو
الحقيقة ذاتها. في كل مكان ظلامٌ دامسٌ.
تزني الأرواح والأبدان،
وتتحول القلوب إلى غرانيت.
ماذا يحفظنا؟
كنتَ عاشقاً للخالق،
وأسيراً لوصاياه،
لكنك هربت،
نسيت العهود،
وبخنجرٍ
طعنت وعودك.
ومضات قطرات العنبر على القيقب:
تألق الربيع على السيقان الخُضر،

حفيف حزيران لعشبِ المرج؛
أغنية الأوراق المتساقطة،
عواء عاصفةٍ ممل،
تنهد محيط،
همهمة الفضاء في الليل... اصمت!
مع الماضي يسير القادم في عناق،
لا يمكنهما العيش متفرقين-
تارةً يضحكان بصوت عالٍ،
وتارةً يبكيان ذارفين الدموع.
توهجٌ حقيقيٌّ يلمعُ في الدموع.
في ضحك الآخرة، المكسور، والرحمي،
يرتجف رعب!
وهل كانت الصلوات له
عبر العقود، عبر الظلام
غير خالصة، غير معانية؟
أرى: منْ يفتش عن أحدٍ، يجوب الليالي؛
من يريد شيئاً - يضحك حتى الدموع؛
هل ينتظر أحدٌ ما بصدقٍ حقيقة الصالحين؟
أم أنه حزن مزيفٌ
يطلُّ عبر القرون؟
سبحانه...
تحرر من شبكة أفكاره،
توهَّج الشرقُ، وأضاءت روحه
الليالي الدنيوية.
وامتلك الناس من أجل الحب
أفكاراً أخرى.

سبحانه...
بدون إثارة للشفقة زائدة
التي أخشاها،
كما أرى في الواقع:
يتصيد في الليل،
وبصمتٍ يقرأ الصلاة على الموت،
والملائكة ذات الجوهر النقي،
تقبلّه،
وحزنها مشرقٌ،
وأشعر بأسفٍ لا حدود له عليه!



نقطة

تسلحتُ بالروح المقدسة
في البحث عن الكلمة غير المنطوقة.
نظرتُ: ما الذي بإمكاني بلوغه،
إذا كان القدر يضحك ساخراً؟
-هل تريد بالاقترابِ الإساءة إلى القدر؟
-ليس هذا ما أقصده. مرضت روحي
وهي تتجول في الدرب العنيد.
- من القيل والقال، من المشاحنات والفضائح
ينهار ليل حزيران...
- يبدو أنه أزعج أيضاً المتاجرين -
المنطلقين بسرعة، المتوحشين، الجشعين،
الناظرين إلى الفم بشكل دنيء؟!
- أشعر بالأسف على هؤلاء الشبان الذين وقعوا بغير إرادتهم
في مكائد وشجار الكلمات القاسية...
-لذلك أفتش دوماً
عن الطريق القويم ...
- وما حاجتك به؟
إن عثرت عليه - سيكون مباركاً يوم العزلة في عالمي.
-أؤمن، ستمثل أمام الله تعالى
بقلبٍ ملفوفٍ بإحكام وحنانٍ
بقماشٍ دنيويٍ نقيٍّ كالضمير...

تَهليل

هذه الليلة، مثل نفَس أمل بعيد،
تُذَكِّر بالخالقِ في الطريق.
هذه الليلة- ذلك الدرب الذي قادني من قبل،
الطريق الذي لن أعثر عليه الآن.
وأنا نفسي، مثل طفل سمين الوجه،
أتعذب في هذه الليلة بالأرقِ في قبضة الخَرس.
أنا نفسي، مثل حصان في هدوء منتصف الليل،
أصبحتُ رؤيةً لحلم مشرق لم يتحقق.
هذه الليلة أربكتني، فتنتني،
قادتني إلى خداعٍ مريرٍ لا يطاق،
وأغرتني بحلمٍ ماضٍ،
وملأتني بإغراءً الموت...
استيقظتُ،
حولي ضبابٌ كثيفٌ،
تركني الحلم!
وفي المنزل الأبدي
رقصات تعجباتي وكلماتي
بدأت بالرقص!
أقسم أني معها.
محرومٌ بلا رحمة من الكلمات المنقذة.
سنغادر بالقبلات عند الفجر.
وبعدنا سيأتي آخرون ويغادرون.
أيتها الليلة ذات الوجه الأسود، نحن مثل أطفال صغار...
وداعاً، وداعاً، وداعاً، وداعاً!
وأنتِ في الرد،
إذا لم يعثر الصغار في الظلام على أمهم.

إِلْهَامُ اللَيْل

يا لغتي الأم، أنتِ رسالةٌ سماويَّة.
شكراً لك وللقدر القاسي لأنكِ موجودة.
لدينا عائلة كبيرة والكثير من الأسئلة.
اسأل نفسك، ولا تقلق اللّه.
الفكرة تولُد بلحظة، وتندفع إلى اللسان،
بيد أنه ليست كل اللحظات مكتوبة في الكتب.
فلتعدْ، فلتُزهر،
وتنهمرُ لؤلؤاً، وتتألق هنا وهناك.
فليفتح قلبك، ويولُد الفجر.
توكل على اللّه، ولكن توجه بنفسك
مع الأمنيات إلى السماء،
لا تفقد احترامك لنفسك
في ليلة القدر.
أبعد الشكوك! وأي سؤال هذا؟
قطرات من الدموع كافية لأن تمجّد العالم الجديد.
أطلق أفكارك المجنّحة إلى السماء،
فلتصنع المعجزات!

لن يحكم الله على صرخات مصير أقربائك،
محدداً الوقت مسبقاً، قال كلّ شيء وربطه معاً.
يعجبك-أو لا يعجبك؟
لن يقلقك بالنصائح.
من هو مستقيم، ومن هو غير مستقيم؟- الجواب معروف
وكل شيء، كما هو مفترض، مكتوبٌ في السماء.
والآن أنت لنفسك القاضي، اقرأ نفسك!
في ليلة القدر اترك الشهوة.
في مثل هذه الليلة
تهبط من السماء أغانٍ وأشعار
تأملية هادئة.



الجنس البشري

هل استيقظتَ في خوف
من أصوات النجوم؟
أيها الجنس البشري، أنت لم تولُد،
بل رحلتَ بدون لغطٍ زائد!

أيها الجنس البشري، أنت مكسور الروح،
وأصبحتَ دقيقاً للغاية.
تعلَّقت باللّه بسمعك،
هل تعبتَ، أم تخلَّفتَ؟

تستوعب الفضاء بنظرة،
تطير باندفاع.
وإلى هاوية الكلمات، بجانب الجحيم،
تنظر برعبٍ هادئ.

أيها الجنس البشري، أنت لست حراً في أن تعرف
أنك موجود في كل شيء.
أنت يا عزيزي مريضٌ جداً،
هل تريدنا أن ننقذك؟

لا مبالاة

1

إنه الليل - للشعراء السُّكارى
المغرمين بحشو الكلام...
والشتاء لا يُذيب الأحلام -
ينتظر ثياب الربيع الكتَّانية.

وأنت أحرقت الظلام بعينيك،
لا تنامُ، تَحزنُ في الليالي.
والقمرُ في صقيع النجوم،
يتفتح زنبقةً بيضاء.

2

تلاقي قلوبنا
يصنعه الخالق في السماء،
يربطها بالحبِّ الذي أقدسه.
ما تشعر به يغدو حقيقة واقعة.
لقد تغير الكون بشكل مذهل،
تغيَّر... وذُهِل:
«أيُّ ميثاقٍ على شفاه الناس؟
أين ضللتم؟ تسقط سرعة الزوال!
الموت-هراءٌ، الحياة-أبدية!»
الزنبقة البيضاء، كما لو كانت خطيبتي.
تتألق اعترافاتنا لؤلؤةً.
الزمن في الفضاء توقّف.
المجد للخالق! الشكر على هذه النعمة!

3

أستيقظ من الحلم العجيب،
وعنه أتخلى. الربيع
وجَّه عيني. يا لها من وحدة!
في كياناتي السابقة يمرح أطفالٌ،
يباركهم الأجداد.
وماذا عني، أنا الخاطئ، مرة أخرى أدخّن عند النافذة؟
أقول: «لو ينظر جارٌ...»
إلى اللانهاية تنظر معي النافذة.
في المقبرة نظرت السهوب - في نفس الوقت
نفكِّر: «مَنْ لم يبق في الوجود؟»
أشم رائحة الشيح،
أشعر بريح من الجبال الياقوتية،
أشعر بأيامٍ التوبيخ التي لا تعوّض؛
أسمع - على الأشجار العتيقة
أهدت الأوراق الأغصان الجافة كلمات.

التصفير

خارج القياس هو حجم الأسف
على أن الشعر يسقط في اللازمن.

بلحظة مثل أمامي حِدَّةً
بريق حقيقة من خارج كوكب الأرض -
خارج رحم الفكر تدلت الكلمات.
وأنا، كما لو كانت النهاية تهدد العالم،
انفجرت باكياً بلا سبب.
يا أصدقائي، أيها الناس، يا مَنْ بنجاحٍ كبير
تتسلّون بالضحك،
تعالوا نُحَيِّر الناس،
ونبكي معاً.
وإلا سيمرُّ وقتنا
قبيلةً مهملةً.
لا تتعذبوا من المصير المتواضع،
ارموا بعيداً بالخجل العديم القيمة،
ناهيك عن أن
الأطفال يولُدون في بكاء.
املأوا القلوب بالحزن، ولا تتكلموا-
ابكوا!
عندما تنعَّمنا بالجمالِ-

بكينا!
عندما انفطرت من الحزن قلوبنا -
بكينا!
في الجنازة بكينا...
بكينا من أجل الحياة أيضاً.
بقدرة الخالق
نؤمنُ عن وعي،
حمله متعدد الطبقات،
ويستحق البكاء.
دفع بالعصا إلى طبقات،
عهد لنا بالدموع،
غسَلْنا بها نفوسنا،
نسينا الأحزان.
بعد لحظة اختفت حتى التصفير.
لا تخفوا عيونكم المُحْرَجة،
على أنفسكم وعلينا
ابكوا!



ضائِعٌ

1

قرناً وراء قرن
سُمِّي الإنسان إنساناً،
في محاولةٍ للعثور في جوهره الفاني
ما هو غير موجود في الكون.
تعال إليَّ أيها الضائع
وغير الواثق في نفسك.
عندما تبدأ بالخوف من نفسك،
سيبدأ القدر بركلك،
وستصبح غير جديرٍ بالسماء
وخبز الله.
وعندما تتوجه إلى الشعور بالوحدة
باسمه واسم أبيه،
تعال إليَّ، وسأستقبلك كصديق.
في السابق كنت سعيداً بكل شيء،
دعوت أيَّ شخص إلى المأدبة،
لكن العالم زائفٌ ومخادعٌ.
لو ذرف أعمى دمعةً،
مسحت الدمع عن عيْنَي المسكين.
مع الحزنِ والسؤالِ عنا،
لم يخفِ الضائع عينيه.
عندما تبكي، وتشعر بالوحدة-
عبثاً لا تذكر الله.
تعال أيها الضائع، أيتها الروح المسروقة،
والثقة المعذَبة،

نتحدث دون استعجال،
نستقبل الفجر سويةً،
أنتظرك أيها الضائع.
أشكرك سلفاً.

2

لدى أبي أنا لست وحيداً،
كما في الحكاية القديمة.
لم يكن لدى الفتى
عاطفة الأم.
لا أقول أنا وحيد،
أقول بعد الجميع: «اللّه واحدٌ!»
أيها الضائع، أيُّ نبوءات
أغرقتك وأغرقتني في الوحدة؟
أراكَ وأرى نفسي في الكابوس،
لذلك أستعرُ في السُّكر المشؤوم،
أنا نفسي لا أتماشى مع نفسي،
أتجول بين النجوم،
أتنقل، وأمسّدُ
مسبحةً من الدموع.
بعد أن سحبت مسبحة الدموع،
أيها الضائع،
أفتش عنك.

3

عندما تكون لديك مصيبة،
بحر الأصدقاء الوهميين يتبخر دون أن يترك أثراً.
عندما تكون لديك مصيبة،
المدهش أن القمر يرتفع،
وهو رائع، كما هو الحال دوماً.
ويُنسى كذب الصداقة،
وتهدأ رعشة الخيانة
من الشعور بالجمال الدنيوي،
والنظر من هذا العلو
إلى حياتك التي لا قيمة لها،
وإلى الوهن المفرط.

تَئِنُّ وتكابدُ في صمتٍ
من أجل خلاص الروح.
عندما يمرر الليل بلطفٍ كفه السوداء
على جبهتك الشعثاء -
لا تحبس دموع الدعاء-
مباركة تلك اللحظة.

4

مرَّ الوقت، نفذَ،
أسرعَ على الأمواج، في السماء،
وخار بكل قواه.
«ما هو الأكثر أهمية: الله أم الإسلام؟»
سألتَ-

وأصبحتَ نفسَك،
وعاد الألم إليك من جديد،
أيها الضائع...
عدتَ... على الرغم من...
بنظرة القلب استوعبت العالم:
مثل النجوم البعيدة!
من أجل فرحة الطيور والزهور،
درتَ الكونَ كله.
أيها الضائع، هل رأيت هناك
مَنْ فتنَ العالم بأسره؟
شعرت بداخلي
أن جدالنا لن ينتهي على خير.
غلَّف السهوب ليلٌ خانقٌ.
قضايا الضمير تمسكك
من حنجرتك. والضمير
بشكل خاطئ يتحول للحظة:
حيث سقطت الدموع تنبتُ الورود،
حيث موج الحواس المراوغ- هناك توهجُ العقل ولمعان نجوم،
واندماج كلماتك ودموعك.
هنا لا علاقة بمصيرك.
أيها الضائع، عد إلى رشدك!

5

أيها الضائع،
لنجفف دمعة الظلام المنيع،
لا تدع روحك تضعف،
ليفتح الزمن الجروح السابقة-
بدون ألمٍ حارقٍ لن تستطيع العيش.

لا تُكَرِّم من لا يعيرك اهتماماً.
فليُكَرِّمك بصيحات المديح!

أيها الضائع،
لقرون ونحن نعاني تائهين،
في الخداع تُهنا وفي الضباب،
اليوم الحشد الصارخ
و
وأبطال الأبدية الجديرون
أرادوا البعثَ
آباي، آباااي!
الصدى المزدهر
سيخلّد الصعود المجنّح إلى الأبد
ويتحطم مع الرعد على الصخور...
انتهى عمل سيزيف.
وبشكلٍ جميل.
لن ندنس قطّ تلك المشاعر
التي ترفرف مثل فراشات رقيقة،
وبالتالي لن تخنق الكلمات
في الدموع، والروح المقدسة لن ينكسر.
وروح الشاعر هي اسمه.
الخالق نطق هذا الاسم.
أفقْ، أيها الضائع!

6

أيها الضائع،
أنت نفسك مذنب في كل شيء.
في الظلام الدامس

انشطرت روحك.
دفعت بالبريء إلى الهاوية،
وتتلعثم حول الوداعة،
وتقذف من فمك القذر
كلمات مشاعر قلبية،
مساوياً بين السمّ
والبُغض الزاحف.
كفي!
وحقاً إنه ليس طريقنا،
الذي يقود من العتبة
إلى العدم...
مصيرك التائه
لم يرحمه الغراب.
روحك خدعتها أباطيل الغرور؟!
كرامتك تلاشت؟!
محطمةً الأحلام،
ذهب روحك إلى حيث لا أخبار...
أحلامك
جوفاء فارغة.
والشرف؟
ضائعٌ،
مصلوبٌ،
في قرن كبشٍ معقوف.
كبرياؤك
لا أفهمها الآن!



ظِلُّ الوقت

حتى مات جسدي الفاني،
كنتُ، مثلك، أشعر بالوحدة.
حديث الولادة، تنفست في هذا العالم بجرأة،
وبشراهةٍ، وعدتُ أن أحبه إلى الأبد.
تحت سماء الخريف استيقظتُ للمرة الأولى،
وقبَّلني الخالق على جبيني؛
عن الحياة، وعن الضوء حوَّلت وجهي للمرة الأولى،
وبكيت للمرة الأولى، الله وحده يعلم لماذا.
حياتي، محكوم عليَّ أن أحزن على ما مضى؛
حياتي، لا يمكنني أن أنجو من الأحزان.
كرِّس لي أغنية وداعٍ للذكرى،
في الوقت الذي يجب أن أفترق فيه مع موتي.



يرلان جونيس

(ولُد عام 1984)



- تخرج في كلية اللغات العالمية جامعة دولاتي في تاراز.
- عام 2001 صدر أول ديوان شعري له تحت عنوان «طفل الشعر»، وفي السنوات اللاحقة صدرت دواوين شعرية أخرى مثل «صلوات الليالي المقدسة»، «مصدر الحياة».
- تتميز أشعار جونيز بتنوعها وجمالها حيث تمتزج فيها التحولات وروح الزمن.
- كما أن ظهور سمات وخصائص ما بعد الحداثة يمكن فهمها من خلال دخول المؤلفين الكازاخ المعاصرين ضمن دوامة العملية الأدبية والثقافية العالمية.
- إن الشاعر الذي يدرك نفسه باعتباره ممثلا لعهد جديد يظل في البحث التقلي دي عن أدوات أكثر حيوية للتعبير ويقوم بتجربتها أحيانا في أشعاره بشكل واضح.
- إذا كانت أفكاره سريالية، فإن القارئ سينظر إليها في بداية الأمر على أنها غير مستساغة وفي هذه الحالة سيواجه هذا الشاعر خيارين إما الرفض أو توسيع آفاق الادراك.
- حصل على الجائزة الكبرى من المهرجان الدولى «الإلهام» في تخصص الأدب عام 2006.

يا وُرَيْقتي!

يا وُرَيْقتي، أين صيفك...
أغنية الصيف -
كم هو مؤلمٌ وقاسٍ أنها لم تُغَنَّ!
والمشاعر هي تألُّق الألوان:
الأصفر، والأسود، والأبيض،
الأخضر والأحمر والرمادي.
حفظتها في قلبي لسنوات.
ولكن وسط الألوان المختلفة تلك
لم أتمكن من أن أجد ذلك اللون،
كي أحفظك إلى الأبد.
أوه، يا وريقتي...
في عينيك ابتسامة الشمس،
صعب أن أودعك، مرٌّ.
لكن ألم تعلمي أنك ستبقين لدى الصيف،
وأنني وحيداً سأستقبل الخريف...

تَرَقُّب...

قريباً من الخريف أردتُ العودة،
لكنني لم أستطع، على الرغم من أنني وعدتكِ أنتِ وأصدقائي.
على الرغم من أن روحي تندفع صوبكِ.
لكن الحياة تسير في اتجاه آخر.

قبل الخريف اصفرَّت السهوب،
الدرب لا يمكنه الوصول إلى هناك.
الطير يدور ويندفع إلى الطيران:

سكان المنزل المتطرف ينتظرونني.
عندما تذرف من السماء الممطرة عيناكِ الدموع،
وبعد أن تقومي بخطوة واحدة،
ربما ألقيتِ مرة أخرى نظرتكِ إلى الطريق،
دون أن تقرري أن تدفعي ستائر النافذة...



في متجر بيع الكتب

المدينة.

الخريف.

المساء.

متجر بيع كتب.

«لا تنظر، يا صاحب المتجر، إلى ساعتك!»

أنا أفهم أن عائلتك تنتظرك، فأنت لست وحيداً...

لكن ليس لدي مكان لأذهب إليه.

مدينتك اليوم تعيشُ عيداً،

هواء المدينة فوَّاحٌ! ...

هناك- دفءٌ، فرحٌ، المدينة تحتفل،

وهنا لا يوجد سوى الحكمة والهدوء.

حكمة أبدية -

بين دفتي الكتب،

على الرغم من أنها تشعر نفسها بالملل.

وغداً حتماً، اعذرني،

سوف آتي إلى هنا ...

أشعر، يا صاحب المتجر،

سآتي مرة أخرى

لأجتمع مع الحكمة في هدوء.

ستبيع الكتب للفتيات،

وتحصل على مكاسب متواضعة.

لاهتمامك وطيبتك

ستباركك أمي!

أرفف الكتب مثل خصر حسناء،

جميلة هنا،

حكمتها تجذب الكلاسيكيين...

يداي، مثل عروسين، لطيفتان
لا تتعجل أصابعي للانغماس في الوعاء،
حابساً رغبة صافية في القلب،
أمسّد الكتاب بلطف من جديد:
أسمعُ نَفَسَ الكلمة،
كلَّ نَفَسٍ،
إيقاعات الكلام أشعر بها في نفسي.
روحي تشعر بالقلق-
غبار الحقبِ السابقة
في القلب لدى الواقف في الحشد.
الحكمة هي الصمت،
مجرد هدوء،
لا تصرخ إلا على صفحات الكتب!
بالنسبة للكلاسيكيين العظام حياتنا مُضحكة،
يرمونني من علوٍ:
«يا لك من غبيٍّ جاهلٍ، مسكين
لأنك تودُّ أن تقف بيننا!»
ويهزّون أكتافهم،
وكأنهم سيفهمون
شيئاً ما ليس بإمكاني أن أفهمه.
ليس بمقدورهم أن يُخرجوا أحداً إلى النور،
هم أنفسهم تحولوا إلى ظلام.
في الرَّدِّ أعترف لكبار السن بحبي،
لأنهم لم يحبوا في الحياة سوى الحلم.
كيف أبلغُ الخلود والحكمة، أجبني!
الموت سأتعلمه بنفسي!
فكري-أبي،
أمي -الحزن،
روحٌ سامية تعيش في روحي!

جوم آباييف صديق لي،
يسينين صديقي،
بورخس وإيلوار –
صديقاي!
حافظ نفسه– قريبٌ لي،
ولموطني
سأقدِّم كلَّ شيء دون أسف.
وموليايف –
قصيدةٌ غير مسبوقة
مثل نظرة العشق، يأسرني.
مَنْ ينظر بغطرسة
الآن إلى الآخرين،
هل مثلَ هذه الأغنيةً
يؤلِّف؟
وفي الفضاء أغاني أيام كثيرة تطير،
تخمد، وتتحلل في الفراغ.
وتلك التي خمدت، في السماء تتبخرُ،
مُقَدّرٌ عليها أن تحلِّق أعلى من النجوم!
المدينة.
الخريف.
المساء.
متجر بيع كتب.
عند خروجي أُغلِقُ الباب.
كل شيء بقي في الماضي. في العالم أنا وحيد.
الآن صديقي الشعور بالوحدة!

قالت زهرة الزنبق...

قالت زهرة الزنبق: «أنا أحب فتاة واحدة!»
حسناً، أَحبّي، لن يلومكِ أحدٌ على ذلك.

فالقلوب العاشقة وحدها تملك العالم، أعْلَم!
أضافت الزهرة: «رؤيتها بالنسبة لي هي رؤية الجنَّة!»

حسناً، حسناً، لنجرِّب الآن أن نرى معاً صديقتك،
فإن لم تَريها، سيبدأ العالم بأكمله يشيخُ بالنسبة لنا.

زهرة الزنبق تقول: «قَدِّمْني هديةً إلى تلك الفتاة»
حسناً، أنا رغبت في أن أُعطِي حسنائي زهرةً!

... أخذتُ الزهرة، «أنا أحبك!» في الرَّد قالت لي،
يا إلهي، أنا لست زهرةً، وما ذنبي في هذا؟!

لدى العالم الكثير من النزوات، أنت تعرف

لدى العالم الكثير من النزوات، أنت تعرف:
كل شيء يبدو غالباً بستاناً رائعاً للزهور...

الزهور في كل مكان مرئيةٌ للزهرة...
من هو المذنب أن كل شيء مختلفٌ إلى الأبد؟

للحجر الأسود كلُّ ما حوله أسود،
فجأةً يرى التوت البسيط حجراً.

«لسنا بحجارةٍ نحن!»،- صرخت القلوب الفتية
التي لم تجفف كأس الحزن حتى النهاية.

كن طويل القامة للارتفاع المحدود،
بحيث يحبك الآخرون، وأنت تحبهم.

من الحجر الأسود لا تصنع إبريقاً،
لا تؤذِ الزهرة البيضاء كالثلج!

شُحُوبٌ (ظِلالٌ)

... ألا ترى بلدةً أمامك؟
إذا لم ترَ، توقف، سوف أخرج!
من المناقشات الفارغة تمكنتُ أن أخرج،
أشرب حزني المؤلم، كما في هذيان!
فلْتَخطُ مع الابتسامة لمقابلتي،
مُشِعّةً بالجمال، فتاة!
الصديق يُلقي كلمةَ ترحيب،
ويُحضر كوب النبيذ المتلألئ!
«جاء الشاعر إلينا!» ويرغي الكوب
رغوةً حمراء، مثل شفاه فتاة.
وكي تلمع نظرتها العاشقة،
وعيناي لا ترمشان للحظة هناك...
الشعاع الساطع يهمس: «لا تندم على الماضي!»
سأبقى صامتا، فالصمت دائماً من ذهبٍ.
صديقي المايسترو بموسيقاه العجيبة،
يجبر حتى منْ لا روح له على البكاء!
هو يعزف، وكل شيء حوله يبكي،
ظِلُّ الأمل، ظِلُّ التبَصُّر، ظِلُّ الحلم.
أنت لا تستطيع الكتابة مثلي، يا صديقي القديم،
أنا أستطيع الكتابة كما تعزف أنت.
كتبتُ وكنت أمام العالم مذنباً
دموع المرارة تدفقت من عينيّ دائماً ...

في العالم مُحقٌّ وحده الغني بضميره،
والقويُّ هو وحده الذي عرف قوة الخجل!
... إيه، أيتها الفتيات، اقرأن القصائد بصوتٍ عالٍ،
وإلا ستموت الأحلام الرائعة!
فالشاعر يخشى تعفُّن الحياة،
والحسناوات تنقرنَ عليه وحده! ...
حسناً، مايسترو، كاف، صمت!
يكفي موسيقى، وأطفئ الشموع!
كتبتُ، حزنتُ، أحببتُ، غرقتُ حتى القاع...
سئمت كلَّ شيء، أود أن أكون في صمت!
شربتُ من الكأس، كما لو كنت أشربُ من القلبِ دماً،
كما لو كنت من كأس، شبت مرارة دموعي من عينيّ.
كُنتُ أُسَمَّى «عظيم»، غنَّيتُ الحبَ،
رغم أنني لم أصدِّق ذلك في بعض الأحيان!
الآن لا تقترب مع الكأس مني!
عن أماكن الشراب أظَلُّ بعيداً!
...ألا ترى بلدةً أمامك؟
ربّما هناك روحٌ عزيزةٌ تنتظرني؟

في بعض الأحيان أُفكّر...

في بعض الأحيان أفكر- أحقاً في العالم موجودٌ أنا،
وسط أوراق شجر، حبة رملٍ وقطرة مطر...
ربما أنا واحدٌ منها،
وربما بطلٌ حزينٌ لكتاب خفيّ.
أهيمُ روحاً تائهةً، مُذيباً الحزن،
طريقي كلّه
من أحلام،
وترقُّبات،
وآمالٍ.
بكلِّ كياني أحببتُ هذه الحياة الغريبة،
كلَّ عمري حفظت مُثلي العليا في روحي.
أوه، يا إلهي، كم هو غريبٌ أننا حياةً نسمّي
كيف نمشي، وكيف ننظر، وكيف نحبُّ، وكيف نعيشُ في الدنيا.
يغدو حلمنا شبيهاً بالحقيقة،
وجمالها يجبرك على أن تصدِّق نفسك.
هل سأصبحُ طيراً، أو زهرة مرج-
وأظلُّ لنفسي مألوفاً، وربما غريباً.
في منام فتاة شابة أُومِضُ رؤيةً،
وأغرقُ حزناً في عيني صديقة لطيفة...
لا، حقاً ربما أنا موجودٌ في العالم،
ولكن في مكان ما في الظلام الدامس تسكنُ روحي.

هل أنا ومضتُ في عيني فتاة شابة؟
هل أنا غرقت في قلب صديقة لطيفة؟
والناس ربما في الحشد يميزونني،
منذ زمنٍ نسيت عدَّ الأيام المتماثلة...
لكني أرغب على الأقل أحياناً أن أغنّي الحياة،
وأني حقاً في هذا العالم موجود؟!
المنافقون،
المتعاطفون،
الذين معهم عشت أيامي-
أود أن يكشفوا أرواحهم.
إيه، أيها الناس، يا إخواني،
...ساعدوني على أن أفهم...
هل أنا موجود في هذه الحياة، أم ربما غير موجود؟!
من أين أتيت، ومع من منذ ولادتي كنت؟
هل بنيت للقمر قصوراً، وفتحت للشمس معبداً؟
أم ربما أنا أُقلِقُ بالأشعار قلبي،
منذ أن تنهَّد العالم بعد الولادة ترَقُّباً للنهاية؟...

دمعة

الشعور بالذنب الثقيل عن الأيام التي عشتها،
يحوم غيمةً سوداء معلَّقة فوقي،
على الرغم من أني تعلمتُ منذ زمن أن أعيش معه،
فوق دمعتي الشاهقة.

أحلام الطفولة المبكرة تمرح في السهوب
تحت أمطار الربيع المبتهجة،
مرارة الدمعة الأولى للحب التَّعِس
أحفظها في قلبي.

لو أني كنت أعلم كم من الأيام الحزينة،
وكم من المصائب ينتظرني،
وأن الحياة ستتغير، والشِّعر معها،
والناس ستنسى القصائد!

وعلى أن الأيام الخوالي لن تعود،
بكيتُ في ساعة حزنٍ.
مثل ليلة سوداء، من حزني
سقطت قطرة الدمع تلك...

ومن هذه الدمعة، ارتعد العالم في صمت
ارتجفت الحقول والغابات!-

تغيرت الطبيعة في موطني الأصلي،
تغيرت قلوب الناس...

كما لو أن كلمتي سُمِعتْ،
لكنها بدت مغايرة.
التغير إلى الأبد كما تملي الحياة،
كان ذلك مُقدَّراً على كلمتي!

... وعندها تعلَّمتُ الوقوف أعلى
من تلك الدمعة الأقوى من العاصفة.
الجبال والسهوب واصلت بكاءها،
ردًّا على هدير الدمعة.

ما حدث، لم يفهمه أحدٌ،
ولم يطرح عليَّ أحدٌ سؤالاً.
وأصبح يسمو بروحه
مَنْ يسمع شعر الدموع.

...وحتى الآن، حتى لا تسقط دمعة من جديد،
منذ ذلك الحين أتحَكَّمُ بنفسي!
على الماضي لا أحزن، لا أنظر إلى الوراء.
يا إلهي، هَبْني السلام المنشود!

العينان القريبتان

هاتان العينان قريبتان لي،
هاتان الشفتان غاليتان جداً.

بروح فتية لم تفتر،
بقلب لم تحرِّقه العاطفة من قبل،

أمضيت مع محبوبتي ليلة بلا خطيئة،
تلك الليلة حفظتها ذاكرتي.

هل تحفظين بقلبك تلك الذكرى-
ساعة الفجر المبارك؟

أذكر نظرتك الحزينة والعميقة-
أبيات ملحمةٍ لم تُقرأ.

وكيف فجأةً عانقتني،
وفي أحضانك ضغطتني إلى قلبك!

«تعالَ!» -قلت مودِّعةً،
لكني لم أفِ بالوعد.

أفكارك غدت قريبة لي،
وكلماتكَ أصدقائي إلى الآن.

خرجت مبتعداً عن عتبتك،
اخترتُ طريقاً خاطئاً.

منْ يحب بتفانٍ،
لن يغادر وقت الفجر.

أما أنا- خرجت ولم أعدْ،
العالم منذ ذلك الحين تحول لي إلى جهنَّم.

أنا نفسي غريب لنفسي، أعيش في الدنيا،
أصبحت أنا عدواً لنفسي، لا نتيجة!

لحظة الحب

بينما يطير الضوء من النجم،
أكون قد اشتقتُ إليكِ،
عندما بالكاد تغادرينني في الفجر،
أكون قد اشتقتُ إليكِ،
بينما ترفرف الفراشة بجناحيها،
أكون قد اشتقتُ إليكِ،
ما إن تشعل المدينة نور الليل،
أكون قد اشتقتُ إليكِ،
ما إن يسقط المطر قطرة على الزجاج،
أكون قد اشتقتُ إليكِ،
أشعل عود ثقاب، ويظهر الضوء فجأة،
أكون قد اشتقتُ إليكِ،
في الوقت الذي أتخلى فيه عن فكرة سخيفة،
أكون قد اشتقتُ إليكِ،
في الوقت الذي أقول فيه كلمة خفية،
أكون قد اشتقتُ إليكِ،
طائر يحلِّق إلى السماء،
أكون قد اشتقتُ إليكِ،
ما دامت المشاعر حارَّة فيَّ،
أكون قد اشتقتُ إليكِ،
ما دمت لم أعرف الحزن منك،

أكون قد اشتقتُ إليكِ،
قبل أن تقع الأعباء عليّ،
أكون قد اشتقتُ إليكِ،
قبل أن أذهب إلى المحطة ،
أكون قد اشتقتُ إليكِ،
قبل أن أفهم الحقيقة،
أكون قد اشتقتُ إليكِ،
قبل أن أسمح للمشاعر،
أكون قد اشتقتُ إليكِ،
قبل أن أنساكِ،
أكون قد اشتقتُ إليكِ.



إذا تأملت طويلاً في المطر العابس...

إذا تأمَلْتَ طويلاً في المطر العابس،
اليوم كله سيندمج في التدفق المتواصل،
... لم أجرؤ قط على أن أشتم قدري،
خجلت أمام الأعلى بروحي.

مع الوابل سقط نور الشمس على الأرض،
ذكَّرني بما لا ينبغي أن يكون.
...لم أقل للنذل إنه نذل،
خجلت من إهانة النبلاء.

في كل قطرة اكتشفت شعوراً جديداً،
كي تُزهر في القلب أكثر.
... عن الحسناوات أبعدت نظري باستمرار -
خجلت من محبوبتي.

الملاك المشرق الذي هبط عليّ من السماء،
أهدى روحي السكينة.
لم أصرخ قط على مَنْ هو أصغر مني،
خجلت من أنْ أُذنب أمام الكبار.

من الأعالي طار وهبط على الأرض المطر،
هذا المطر ذكَّرني بالموت.
... لم أقل في أشعاري كذباً قطْ -
خجلت من أن أكذب في الأوقات القادمة.

صُنْ قلبي...

صُنْ قلبَكَ،... صُنْ قلبي،
في هذه الأيام المجنونة،
في هذه الأيام المجرّدة من المعنى!
القلب ضروريٌّ لنا جداً في النهار،
وفي الليل نحتاج إليه.
هو ضروريٌّ إلى الأبد،
حتى للزهرة البسيطة!
لا تُسمِّم قلبك ... لا تُسمِّم قلبي،
إن كنت غير قادر على أن تحب...
دعني أعيش لعاشقي.
احمِ قلبك ... احمِ قلبي،
يَدق بهدوءٍ متزايد،
مليئاً بظلامٍ قادم.
استمع إلى قلبي ... أستمعُ الى قلبك،
لا تدفع به إلى الهاوية ... لا تسلّمْه للأحزان.
لتعرف قلوبنا
الرحمة والحب حتى النهاية.
القلب ...أنت الرائعة،
القلب ...أحلام الشاعر.
صُنْ قلبك ... صُنْ قلبي،
يا إلهي، سوف يرى الطريق مَنْ
يعيش بلا قلب!

إليك...

سأطير إليك، والفجر لتوه يحمَرُّ،
في الجبال، في السهوب- سأجدك بالرغم من كل شيء،
سأفتحُ نافذتك
وسأضع لك على الوسادة
زهرة جبلية رائعة تتألق بندى الصباح.

سأصل إليك قبل أن يخيم الظلام على الجبال،
قبل أن تنطفئ كل النوافذ في المدن الكبرى،
سأرتب سريرك
وسأضع لك على الوسادة
زهرةً فواحةً تُزهرُ في سهوب كازاخستان.

سآتي إليك بشكل أسرع مني نفسي،
أسرع من الحنين والصبر، أسرع من كل شيء،
لكني سأسمع اسمي من شفتَيْ حبيبتي،
وفي بؤبؤيها لن أتمكن من رؤية انعكاسي.

سأصل إليك بشكل أسرع من عواصف القدر،
من الأعوام التي تحمل العبء الصعب للصراع،
أسرعَ من كلِّ بؤس وما يجري بعده،
أسرعَ من أسرِ الوحدة لا يمكن الهروب منه.

سأصل إليك قبل الأمل والحلم المشرق،
وتفاهة الحياة وفراغها الأبدي،
سآتي إليك قبل الغروب الحتمي للحياة،
قبل جيرانك الذين كنتِ غير مفهومة لهم.

أسرع من الدموع التي ذرفتها في الليل
من الخسارة المريرة لأنهم تمكنوا من أن يُحزنوك.
سأصبح حاميك من الشمس، من الظلام، من الحزن،
مثل الملاك الحامي، سأمهِّد لك الطريق.

سأتحدى الزمن القاسي،
وسيكون الاقتراب منك للمصيبة عبثاً،
ومهما كنت بعيداً عنك في هذا الوقت،
ستشعرين بأنِّي قريبٌ أكثر من أي وقت مضى.

عندما آتي إلى أحلامك، اعلمي أن كل شيء على ما يرام،
في أي حشدٍ كنتُ دائماً أجدك.
وإذا اخترق شعاع ضوءٍ هذه السماء المظلمة،
اعلمي أنِّي سبقت الجميع، وجئت إليك اليوم...



إنها لمعجزة !

إنها لمعجزة- شخص أعرفه منذ سنوات عديدة!
مستعدٌّ إلى الأبد لأن أتنفس معه بنفَسٍ واحدٍ!
حتى ليلة آب بحاجة لأن تكبر،
كي تفهم الأفكار الخجولة بدون كلمات.
كيف يمكن فك هذه الأفكار كألغاز؟
من سيفك لغز الشامة على الخد؟
الليلة التي تبلغ ثماني عشرة، ستفكر
ولكن بماذا - لن يعرف الناس ولا بأي شكل.
ليلة الثماني عشرة-ليلة ملتهبة!
صديقتك العفريتة الفتية؟!
بينما كان يهطل المطر الصيفي الدافئ الأخير،
وسط الزهور الأخيرة شاهدتُ طويلاً:
كنتما ترفرفان مثل طائرين بالقرب مني،
وقفتُ وتنعمتُ بهذا الجمال.
كبُرت الليلة بشكل متهور، مُومِئةً بالأفق لي
وفي روحي صدحَتْ بقلقٍ قصيدة عشق...

أنتِ تعرفين كلَّ شيء...

أنتِ تعرفين كل ما بقي وراءنا،
منه في القلب عواصفُ وأمطار...

كيف عادت الطيور في الربيع متأخرةً،
كيف تعذَبت روحي عندها،

تعرفين الكلمة التي شَفَتْنِي،
تعرفين موسيقى اليوم المُضني.

تعرفين ذلك الخريف الذي ذبلت فجأة فيه الزهور،
وبعد ذلك عبثاً انتظرتِني.

تعرفين الأغنية التي غنَّاها الصيف لنا،
تعرفين كيف ألهب القدر قلبينا،

كيف شعرتُ للحظة بالغرام،
وكدتُ أن أقع في جنونه.

تعرفين كيف أرجحَنا القدر،
(مثل بركان، هدأتُ الآن).

كيف حدَّقتُ تحت الوابل الغزير في ظلمة السماء،
تعرفين أنتِ الكلمات التي همستُ بِها لك.

تعرفين أنتِ ما الذي يُحزِن روحي،
تعرفين كيف أستطيع أن أتنفس بِهدوء.

الدعاءَ الذي أقرأه في كل صباح،
الكتابَ الذي أقرأه في كل مساء-

كلّ شيء تعرفينه أنتِ وحدك، يا فتاتي،
لكِ وحدكِ أستطيع أن أفتح قلبي،

في أي ليلة أي منام رأيت،
وما إذا كان تفسيره سهلاً.

تعرفين كل ما لا ينبغي لأحدٍ أن يعرفه،
تعرفين كل ما لا أستطيع أنا نفسي أن أفهمه.

الرموز التي لم أكشفها لأحد،
الأشعار التي لم أضعها في كتبي.

تعرفين أن أشعاري حزينة دوماً،
لماذا هي مليئة بالحزن دوماً.

... أنا مذنبٌ في أنك بعد أن عرفتِ كل ذلك،
لا تعرفين أنّي بحاجة إليك، أنا بحاجة إليك



حقوق التأليف والنشر

إنّ توفير الحماية لكافة حقوق المُلكيّة الفكريّة يُعدّ من الحقوق التابعة لحقوق الإنسان العالميّة؛ حيث أشارت المادة 27 من إعلان حقوق الإنسان إلى حق توفير الحماية للمصالح الماديّة والمعنويّة الخاصة بالأفراد والمرتبطة بالمُؤلفات الفنيّة أو الأدبيّة أو العلميّة.

وتعتمد هذه الحماية على أهميتها المرتبطة مع الحاجات الإنسانيّة التي تسعى إلى الابتكار والإبداع في المجالات الحياتيّة المُختلفة؛ حيث يُساهم كلّ منهما في تعزيز التطور الثقافيّ، والاقتصاديّ، والعلميّ، والتقنيّ، وتُساعد جميعها على تحسين حياة الإنسان المعيشيّة.وهناك العديد من أنواع الانتهاكات التي أثّرت على حقوق المُلكيّة الفكريّة، وتختلف وفقاً لطبيعة الحقوق التي تُهاجمها، فالحقوق الخاصة بالمؤلفين مثل المُصنفات الفنيّة والأدبيّة من الممكن أن تتعرّض للهجوم والسرقة؛ عن طريق بيعها أو تأجيرها أو نشرها بطُرقٍ غير مُرخصةٍ من قبل صاحب المُصنفات، أمّا الحقوق الخاصة بالعلامات التجاريّة، والتصميمات الصناعيّة، والاختراعات، فتتعرّض للهجوم من خلال تقليدها بطُرقٍ غير مشروعةٍ أو قرصنتها.

وفي هذا الخصوص، يعلن المكتب الوطني للترجمة في كازاخستان، بأن صحفات هذا الكتاب تعتبر محمية بموجب حقوق التأليف والنشر، حيث يحتفظ الناشر بجميع حقوق الطبع والنشر وحقوق الملكية الفكرية وغيرها من المعلومات الواردة في هذا الكتاب.

لذلك، يمنع منعا باتا أي استخدام غير مصرح به، والاستنساخ أو طباعة المعلومات والمواد بطرق عادية أو إلكترونية، كما لا يمكن أستخدام أي نصوص أو مقتطفات من محتويات هذا الكتاب دون موافقة خطية من الناشر.

© Ұлттық аударма бюросы» қоғамдық қоры
(NATIONAL BUREAU OF TRANSLATIONS) 2019

تم إصدار هذا الكتاب بتكليف من وزارة الثقافة والرياضة في جمهورية كازاخستان

يتشرف "**المكتب الوطني للترجمة في كازاخستان، وميديا هب إنترناشيونال، دبي**"،

بتقديم أسمى آيات الشكر والتقدير والاحترام والعرفان إلى:

السيد / مارات تازين، رئيس اللجنة الوطنية لبرنامج "روحاني جانجيرو"،

والسيدة/ عايدة بالاييف، أمين اللجنة الوطنية، لبرنامج "روحاني جانجيرو".

وذلك على ثقتهما الغالية، ودعمهما اللامحدود، مما ساهم بشكل كبير في إصدار هذا العمل الأدبي الكازاخي الرائع، وما حققه من نجاحات عالمية.

والشكر موصول أيضاً إلى الأشخاص التالية أسماؤهم:

الإشراف والمتابعة: **محمد القصبي**

المترجم الرئيسي: **عماد محمود طحينة**

الترجمة المساعدة: **د. محمد رياض غلوش - د. عامر محمد أحمد**

المراجعة الأدبية: **الدكتور ماجد الصعيدي**

المراجعة اللغوية: **ناهد عبد الحق - علي عادل**

التصميم: **منال عبد القادر - عبد الغني إسماعيل**

الطباعة: **دار روائع الكتب للطباعة والنشر والتوزيع - أسطنبول/تركيا**

ISBN 978-967-14301-5-6

تم طباعة ١٠ آلاف نسخة من هذا الكتاب

NATIONAL BUREAU OF TRANSLATIONS

ميديا هب MediaHub International LLC

RÝHANI
JAŃǴYRÝ

مُختارات مِنَ الشِّعرِ الكازاخي المُعاصِر

تم نشر كتاب مختارات من الأدب الكازاخي (كتاب الشعر وكتاب القصص - النثر)، باللغات الست المعتمدة لدى منظمة الأمم المتحدة، كما تم طباعة وتوزيع 120 ألف نسخة، وتسليمها إلى الجامعات والمكتبات الوطنية ومراكز الأبحاث المنتشرة في 93 دولة حول العالم.

وقد تم نشر وتوزيع هذه الكتب عبر المؤسسات التالية:

- اللغة الإنجليزية من قِبل مطبعة (جامعة كامبريدج).
- اللغة الصينية من قِبل دار نشر (الإثني لجمهورية الصين).
- اللغة الفرنسية من قِبل دار نشر (ميشيل دي مولي).
- اللغة الروسية من قِبل مطبعة (جامعة موسكو الحكومية).
- اللغة الإسبانية من قِبل (دار نشر فيسور ليبروس).

الثقافة الكازاخية
المعاصرة في عصر العولمة

NATIONAL BUREAU OF TRANSLATIONS

تم إنجاز هذا العمل بإشراف ومتابعة من
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألسكو)

ميديا هب
MediaHub International LLC